

المراكز الإسلامية في إيطاليا

ودورها في الدعوة إلى الله

مركز دار السلام بـ: روما أنموذجاً

الواقع والمأمول



محسن مبارك عبد العظيم عرفة

الألوكة

www.alukah.net



الجامعة الإسلامية العالمية

للدراسات الشرعية و الانسانية

مكتب جمهورية مصر العربية

الدراسات العليا

المراكز الإسلامية في إيطاليا

ودورها في الدعوة إلى الله - مركز دار السلام ب: روما

أنموذجا - الواقع والمأمول -

أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير)

بالجامعة الإسلامية العالمية

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الباحث

محسن مبارك عبد العظيم عرفة

تحت إشراف

د. ياسر لمعي عبد المنعم أ.د. أحمد منصور سبالك

أستاذ الدراسات الإسلامية

مدرس الإدارة والتنمية البشرية بقسم

ورئيس الجامعة الإسلامية العالمية

الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة
والمستشار الدولي في إدارة الأعمال

2015م - 1435هـ



أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
 كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَبَابِ الَّذِينَ
 يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ
 يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
 رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
 وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ
 عُقْبَى الدَّارِ [الرعد: 19-22].

المقدمة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونسترضيه، ونستلهمه - سبحانه - الرشد والصواب، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.

الحمد لله، القائل في كتابه العزيز -: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} 1 والقائل: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} 2

والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه - القائل: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه. قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجو أن يعطاها، فقال أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا يشتكى عينيه يا رسول الله. قال فأرسلوا إليه فأتوني به فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية فقال علي يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». (3)

1- القصص أية 56

2- الاعراف أية 178

3- رواه البخارى كتاب الجهاد والسير باب المناقب عن على بن أبى طالب .

المتأمل في كتاب الله - تعالى - يجد أن الهداية تنقسم إلى قسمين

1- **هداية التوفيق والإلهام:** وهي من الله - سبحانه وتعالى - لعباده بأن يهديهم سبيل الرشاد، والتي قال عنها لمحمد - صلى الله عليه وسلم - : **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** 1، والتي منه سبحانه للكائنات التي قال عنها: **الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** 2.

2- **هداية الدلالة والإرشاد:** وهي الهداية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، منطلقين من بيوت الرحمن التي هي مظان وجودها، وورث هذه الهداية عنهم العلماء والدعاة والصالحون الذين تربوا في هذه المساجد.

والمتأمل في المسجد ودوره في هداية الدلالة والإرشاد يلحظ من خلال تأمله أن الدور الأعظم في هداية البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإسلام، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاوة إلى السعادة، ومن الذل إلى العزة، ومن الضعف إلى القوة؛ إنما يقوم به المسجد، لأن المسجد جامعة للهداية، تخرج منها الخليفة الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، والثاني عمر الفاروق - رضي الله عنه -، والثالث عثمان ذو النورين - رضي الله عنه -، والرابع علي أبو السبطين - رضي الله عنه - 3.

ولما كان المسجد مدرسة للدلالة والإرشاد، وقلعة للعلم والتعلم، وعنوان للعزة والكرامة؛ جعله النبي - صلى الله عليه وسلم - الركيزة الأولى لإقامة الدولة الإسلامية في المدينة.

ولو بحثت في مصانع الدنيا، وتأملت في إنتاجات البشر، ونظرت في مؤسسات العالم، وقرأت في صفحة الكون؛ لن تجد مصنعاً يصنع فيه الرجال مثل المسجد.

لأن المالك هو رب العزة: **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** 4.

ولأن حجر الأساس هو التقوى والرضوان: **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ** 5.

1- آية 56 القصص .

2- آية 50 طه

3- زاد المعاد (ج3/ص247).

4- آية 18 الجن ،

5- آية 109 التوبة .

ولأن المنهج المقرر هو القرآن: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ¹

إن ثمة إشكالات عميقة تعترى واقع المسلمين في الغرب، وأنه يتوخى إثارة بعض جوانبها، وإمالة اللثام عن المسكوت عنه من قضايا المسلمين بالمهجر، ليكشف عن الوجه الحقيقي للإسلام أمة وتاريخاً وحضارة، وهو وجه يخالف مطلقاً ما عليه حال أغلب المسلمين الآن، أو ما تظهره وسائل الإعلام المختلفة من رؤى وتحاليل وآراء تسيء إلى الإسلام والمسلمين. ويحدث ذلك نتيجة جهل بعض وسائل الإعلام الغربية بحقيقة الإسلام، أو تجاهله لتلك الحقيقة باعتبار أنه منخرط في صراع حضاري محموم مع هذا الوافد عليه، الذي راح يتغلغل في الحياة اليومية الغربية مزاحماً ببريق ثقافته المتميزة ثقافة الآخر، ومصادماً بقيمه الخاصة عادات وتقاليد الآخر.

والحالة التي يبدو عليها الإسلام في الغرب، تقتضي التنقيب عن الأسباب الخفية والمعلنة التي تقف وراء ذلك. وهذا التنقيب يبدأ من نقد الذات الإسلامية التي لا تمثل نفسها خير تمثيل في الغرب، مما يصعد من النظرة المهينة والمحتقرة للمسلمين. لقد أصبحنا بفعل هذه الصراعات أمام صورة لإسلام مهشم، لا يمثل من الإسلام الحقيقي الخالص إلا الطقوس والعبادات واللباس، أما ذلك الوجه الحضاري والعلمي والأخلاقي فلا نلمسه إلا عند أفراد منعزلين يحيون خارج أسوار المجتمع.

ولقد جاءت فكرة هذا البحث في كيفية تفعيل دور المركز الإسلامي بما فيه من مسجد وخدمات دعوية في الغرب للمساهمة في نشر دين الله .

1- أیه 9 الاسراء .

عنوان البحث :

(إدارات المراكز الإسلامية في إيطاليا ودورها في الدعوة إلى الله - مركز دار السلام بـ :
روما أنموذجاً -)

حدود البحث :

الحدود المكانية : مركز دار السلام بروما إيطاليا

أدوات البحث

تم هذا البحث من خلال ملاحظتي كخطيب وإمام مسجد دار السلام بروما ومن خلال بعض المقابلات الشخصية مع مرتادي المركز الإسلامي بروما مع المسلمين وغير المسلمين مع فئات عمرية مختلفة وقدمت إستبيانا لفئة حاملي المؤهلات العليا من جنسيات مختلفة .

منهج البحث :

سيكون منهجي - بإذن الله - منهجاً استقرائياً، ولا أدعي التمام أو الكمال فيه، لكنني أسأل الله التوفيق والسداد، وأن يلهمني الرشد، والصواب، مسترشداً بإشارات شيعي، ومشرقي، وأستاذي.

الدراسات السابقة :

لم أجد - حتى الآن - بحثاً بهذا العنوان قد سُجِّل، أو تناول الموضوع، وإن شاء الله سأقف على الدراسات السابقة، مع كتابة فصول هذا البحث.

عملي في البحث:

- 1- جمع وعزو الآيات الكريمة إلى سورها.
- 2- إثبات الآيات بخط المصحف تبركاً.
- 3- تخريج الأحاديث والآثار من مظانها، والحكم على ما جاء منها من غير الصحيحين، بالاعتماد على ما ذكره أئمة الحديث في هذا العلم.
- 4- ذكر الآثار المفسرة للآيات التي تم التعرض لها، إن وجدت.

- 5- عزو الأقوال المنقولة لمصادرها، وذكر اسم المؤلف وصاحبه، ورقم الجزء والصفحة، مع تمييز المنقول بمعقوفين.
- 6- إعداد بعض الاسئلة للمقابلات الشخصية

وقد عقدت هذا البحث في تمهيد و فصلين:

التمهيد وفيه:

التعريف بعنوان البحث وملخص له.

الفصل الأول بعنوان: "المراكز الاسلاميه ودورها فى الغرب خمسة مباحث:

المبحث الأول : فضل الدعوة الى الله

المبحث الثاني : ثمرة نشر الدين الاسلامى الحنيف

المبحث الثالث : دعوة عصاة المسلمين

المبحث الرابع : دعوة غير المسلمين

المبحث الخامس : دراسة حالة المراكز الاسلاميه " مركز دار السلام "

الفصل الثانى بعنوان: الاندماج الفكرى والثقافى فى الغرب يشتمل على أربع مباحث:

مباحث:

المبحث الأول : دراسة واقع المسلمين فى الغرب

المبحث الثانى : حدود العلاقه بين المسلم وغير المسلم

المبحث الثالث : الاندماج الفكرى وأثاره

المبحث الرابع : التوصيات والنتائج بعنوان المأمول

الفهارس:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الموضوعات.

الباحث : محسن مبارك عبد العظيم عرفه

روما فى 10 يناير 2015

إهداء

إلى من تجرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب إلى من كلت أنامله
من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير
(والدي العزيز)

إلى من أروضتني الحب والحنان إلى رمز الحب وبلسم الشفاء
إلى القلب الناصع بالبياض (والدتي الحبيبة)

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي (إخوتي)
إلى الأرواح التي سكنت قلبي (زوجتي وأبنائي)

و في عرض البحر الواسع المظلم بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا
يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة البعيدة إلى الذين أحببتهم
وأحبوني (أصدقائي) ،،،،

أهدي للجميع هذا البحث

شكر وتقدير

في مثل هذه اللحظات يتوقف القلم ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات وتعَب في محاولة تجميعها سطوراً شاكرين لمن ساهم في إخراج هذا البحث من إشراف وتوجيه وتعديل وتصويب ومراجعة ومساهمة

فواجب علينا شكرهم

ونخص بالجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا وإلى من صبر علي وأعطاني من حصيلة فكره لينير دربي أتقدم بالثناء والتقدير للمشرفين على هذا البحث :

فضيلة الدكتور ياسر لمعي عبد المنعم و فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد منصور آل سبالك بالجامعة الإسلامية العالمية - للتعليم عن بُعد - بمصر و الذين كان لآرائهما وتوجيهاتها أعظم الأثر في إنجاز هذا البحث ، فجزاهما الله تعالى خير الجزاء .

تمهيد

تمهيد

إن الحمد لله تعالى ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونؤمن به ونتوكل عليه فهذا البحث المتواضع في دور المراكز الإسلامية في أوروبا في الدعوة إلى الله والاندماج الفكري والثقافي للمسلمين في الغرب وأثاره الإيجابية والسلبية .

ولقد قمت بإختيار هذا الموضوع بسبب تخلي كثير من أبناء الأمة عن ثقافتهم ودينهم في أوروبا وزوبانهم في المجتمعات الأوروبية وتقصيرهم في الدعوة إلى الله بحجج واهية ودعوى باطلة يغنى بطلانها عن إبطالها

إن التقصير في الدعوة إلى الله مرض خطير من أمراض أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا التقصير جعل الأمة وراء الركب بعد أن كانت الدليل الحازق الأرب والقائد الأمين في الدروب المتشابكة والصحراء المهلكة.

والتقصير جعل الأمة غثاء لا وزن لها ولا قيمة عند أمم الأرض

إن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أوثق عرى الإسلام ومن أكد متطلباته ومن أشرف وسائله ومنطلقاته فلا حرج من إعادة مثل هذا الكلام تأكيدا وتذكيرا لتعيها أذن واعية

ومن ثم كان القصد وراء هذا البحث المتواضع تذكرة الإخوان بما جاء عن شريعة الإسلام، من دعوة إلى إبلاغ هذا الدين بأجمل صورة .

فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا هو الأصل الأول للدعوة.

وقد بلغ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغ وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم ولهذا أرسله الله تعالى :

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾. آية 46 الاحزاب

فهو صلى الله عليه وسلم الداعي الأول إلى الإسلام فالداعي إذن هو الأصل الثاني للدعوة

والذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وبلغهم رسالته هم العرب وغيرهم لأن رسالته عامة إلى جميع البشر غير مقصورة على العرب، قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾. آية 28 سبأ

فالمدعو إلى الإسلام إذن هو الأصل الثالث للدعوة.

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب والمناهج التي أوحى بها الله إليه والثابتة في القرآن والسنة النبوية الكريمة.

وهذه الوسائل والأساليب وما يتصل بها هي الأصل الرابع للدعوة

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وفصلين الفصل الأول بعنوان المراكز الإسلامية ودورها في الغرب و يحتوى على خمسة مباحث والفصل الثانى بعنوان الاندماج الفكرى والثقافى فى الغرب ويحتوى على أربعة مباحث ، فأما المقدمة فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع وبعض أسباب اختياره ، ، ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث ، ثم ثبت بأهم المراجع والمصادر التي رجعت إليها أثناء البحث

ففي هذا التمهيد سوف نتناول البلد المضيف لهذه المراكز على محاور أربعة.

1- جغرافية إيطاليا

2- كيف وصل الإسلام إلى إيطاليا

3 - المسلمون في إيطاليا

4 - المراكز والهيئات الإسلامية

والله - تعالى - أسأل أن يجعل هذا العمل اليسير مباركاً، نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه - تعالى - خير مسئول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

جغرافيتا إيطاليا



تقع إيطاليا في أوروبا، وتضم شبه الجزيرة الإيطالية، والأراضي الواقعة بين شبه الجزيرة وجبال الألب، وعدداً من الجزر بما فيها صقلية وسردينيا تبلغ مساحة البلاد 301.230 كم² (116.310 أميال مربعة) منها 294.020 كم² يابسة، و 7.210 كم² مياه. (1)

(خريطة تفصيلية لإيطاليا)

(شبه الجزيرة الإيطالية):

بالإيطالية (Penisola italiana : أو شبه الجزيرة الأبينينية) بالإيطالية Penisola appenninica هي واحدة من أشباه الجزر الثلاث في جنوب أوروبا) والأخريان هما شبه جزيرة أيبيريا، وشبه جزيرة البلقان (وهي تمتد لـ 1000 كم من وادي بوشمالاً إلى وسط البحر المتوسط جنوباً. لشبه الجزيرة الإيطالية اسم مستعار هو (الجزمة)، وذلك بسبب شكلها الفريد الذي تسهم في تكوينه ثلاثة أشباه جزر فرعية، هي: كالابريا، وسالينتو، و غارغانو)2

يقع معظم شبه الجزيرة الإيطالية ضمن دولة إيطاليا، ويستثنى من هذا سان مارينو ومدينة الفاتيكان. بينما تعد كل من صقلية ومالطا جزراً مقابلة لشبه الجزيرة؛ وبالتالي جغرافياً تتبع لها.

1- <http://ar.wikipedia.org/wiki> نقلاً عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة رابط)

2- <http://ar.wikipedia.org/wiki> نقلاً عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة رابط)

يحد شبه الجزيرة البحر التوريني من الغرب، والبحر الأدرياتيكي من الشرق، والبحر الأيوني من الجنوب. يتشكل معظم الجزء الداخلي من شبه الجزيرة من سلسلة جبال الأبينيني التي تعطي شبه الجزيرة اسمها. الجزء الشمالي هو عبارة عن سهول في غالبه.

(جزيرة صقلية):

بالإيطالية Sicilia : "تلفظ: سيشيليا"، هي أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا. الجزر الصغرى حولها مثل الجزر الإيولية هي جزء من صقلية. اسمها الرسمي هو منطقة الحكم الذاتي الصقلية.

خلال معظم تاريخها كانت صقلية موقعاً إستراتيجياً حاسماً. يعود ذلك في جزء كبير لأهميتها في طرق التجارة المتوسطية.

اعتبرت المنطقة جزءاً من ماجنا غراسيا، حيث وصف شيشرون سيراكوزا بأنها أعظم وأجمل مدينة في اليونان القديمة.

أرخميدس (1) وهو أحد أعظم العلماء والرياضيين في العالم القديم، صقلي الأصل، وولد في مدينة سيراكوزا.

كانت الجزيرة دولة في حد ذاتها في إحدى مراحل تاريخها.

كما أن نفوذها امتد من باليرمو على جنوب إيطاليا وصقلية ومالطا، وأصبحت لاحقاً جزءاً من الصقليتين تحت حكم البوربون، والتي كانت مملكة عاصمتها نابولي، وضمت الجزيرة، ومعظم مناطق جنوب إيطاليا.

1 أرخميدس هو عالم قديم ولد في مدينة صقلية في سنة 287 ق.م ودرس في جامعة الاسكندرية -

من أشهر إكتشافاته، طرق حساب المساحات والأحجام والمساحات الجانبية للأجسام، وأثبت القدرة على حساب تقريبي دقيق وهي العلاقة بين محيط (Pi 3.14) للجذور التربيعية واخترع طريقة لكتابة الأرقام الكبيرة. وهو نفسه الذي حدد قيمة (بي) الدائرة ونصف قطرهما بدقة عالية. أما في مجال الميكانيكا فأرخميدس هو مكتشف النظريات الأساسية لمركز الثقل للأسطح المستوية والأجسام الصلبة واستخدام الروافع ومخترع قلاووظ أرخميدس : توفي أرخميدس ح. 212 ق.م. أثناء الحرب البونيقية الثانية، عندما استولت القوات الرومانية تحت قيادة الجنرال ماركوس كلاوديوس مرسلوس بالإستيلاء على مدينة سيراقوسة بعد حصار دام سنتين

أدى توحيد إيطاليا عام 1860 إلى حل هذه المملكة، وأصبحت صقلية منطقة ذات حكم ذاتي في مملكة إيطاليا.

صقلية اليوم إقليم حكم ذاتي في إيطاليا. تبلغ مساحة صقلية 25.708 كم2 لتكون بذلك أكبر الأقاليم الإيطالية مساحة، ويبلغ تعداد سكانها ما يزيد قليلاً على خمسة ملايين نسمة.

تمتلك صقلية ثقافة غنية وفريدة من نوعها، وخاصة فيما يتعلق بالفنون والموسيقى والأدب والمطبخ والعمارة واللغة، حيث كانت مهذاً لبعض من أعظم الشخصيات، وأكثرها تأثيراً في التاريخ. يعتمد الاقتصاد الصقلي إلى حد كبير على الزراعة (البرتقال والليمون أساساً).

جلب هذا الريف الإيطالي والجمال الطبيعي الصقلي السياح بكثرة في العصر الحديث. تأتي أهمية صقلية أيضاً من المواقع الأثرية والقديمة، مثل: نكروبوليس بانتاليكا ووادي المعابد.

صورة جزيرة صقلية



(جزيرة سرديانية أو سردينيا)

بالإيطالية (Sardegna)؛ هي ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط) بعد صقلية وقبل قبرص. (هي إقليم ذاتي الحكم من إيطاليا، ويجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية).

يعود الاسم سردينيا إلى الاسم "سارد" ما قبل الروماني (باللاتينية ساردوس ومؤنثه ساردا). يعتقد أن لهذا الاسم دلالة دينية؛ بسبب استخدامه أيضاً كصفة للبطل الإله سردوس باتر "الأب السرديني" من الميثولوجيا السردينية يساء فهمها من جانب الكثير من السردنيين والطلين بأنها "الأب سردوس"، فضلاً عن كونها أصل الصفة "ساردونيك" "تهكمي".

دعيت سردينيا "إكنوسا" وهو اللفظ اللاتيني لـ"هيكنوسا" اليونانية، ودعيت أيضاً سنداليون وسردينيا وساردو من قبل الإغريق والرومان.

وهذه صورة خريطة سردينيا



كيف وصل الإسلام إلى إيطاليا؟

وصل الإسلام إلى ثلاث مناطق تتبع إيطاليا حالياً، المنطقة الأولى جزيرة صقلية، وذلك في سنة (212هـ - 827 م)، عندما فتحها إبراهيم بن الأغلب. 1



درهم أغلبي ضرب عام 189 هـ في عهد إبراهيم بن الأغلب
لاحظ كلمة غلب (وهي تدل على الأغلبية) أعلى ظهر الدرهم (الصورة على اليسار)،
وإبراهيم (أي إبراهيم بن الأغلب)
إبراهيم بن الأغلب مؤسس الإمارة الأغلبية التابعة للخلافة العباسية في ولاية إفريقية (تونس).

محتويات 2

1 ويكيبيديا الموسوعة الحرة رابط <http://ar.wikipedia.org/g/wiki> نقلا عن

2 إبراهيم بن الأغلب مؤسس الإمارة الأغلبية التابعة للخلافة العباسية في ولاية إفريقية (تونس)

أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب : (242 - 249 هـ)، كان من أفضل بني الأغلبية سمعة، فقد كان فاضلاً وعادلاً رحيماً بأهل دولته، ولذلك تمتعت البلاد في عهده بالأمان والعدل، الأمر الذي ساعد على إنجاز عدة أعمال إنشائية منها بناء خزان المياه في القيروان وسوسة وإدخال التحسينات على جامع الزيتونة وبناء صور حول مدينة صفاقس. كما قام ببعض الأعمال الجهادية فاستولى على حصن يانة أعظم حصون صقلية، كما قضى على ثوار البربر من الخوارج الصفرية في طرابلس عام 245 هـ، ومات سنة 249 هـ بعد حكم دام ما يزيد عن سبع سنين، فخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله بن محمد ويكيبيديا الموسوعة الحرة رابط

2 ويكيبيديا الموسوعة الحرة رابط <http://ar.wikipedia.org/g/wiki> نقلا عن

1- نسبه

2- نشأته

3- سيرته

4- حكم إفريقية

نسبه:

إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، تنتمي أسرته إلى قبيلة تميم النجدية التي نزلت في خراسان منذ الفتح.

نشأته:

كان والده الأغلب بن سالم من البارزين بين رجال الدعوة العباسية في مدينة مرو الرُّوذ، إلى جانب أبي مسلم الخراساني، ثم أصبح من أعوان أبي جعفر المنصور الذين أجهزوا على أبي مسلم، فبعثه المنصور أحد القواد في حملة محمد بن الأشعث التي وجهها إلى إفريقية سنة 144هـ/761م، على أن يكون خلفاً لابن الأشعث إذا ما حدث أمر ما.

وبعد نجاح الحملة في مهمتها، عين قائدها الأغلب بن سالم، حاكماً لطبنة كبرى مدن الزاب (منطقة الأوراس جنوب قسنطينة).

وفي سنة 148هـ/765م أجبر الجند ابن الأشعث على الخروج من القيروان، فعين الخليفة المنصور الأغلب مكانه؛ لصد هجمات الخوارج، وقمع اضطرابات الجند في تونس، ولقي الأغلب حتفه تحت أسوار القيروان سنة 150هـ/767م، عندما كان يصد هجوماً لجند تونس يقوده الحسن بن حرب الكندي.

كان إبراهيم بن الأغلب آنذاك في العاشرة من عمره. ويبدو أن أسرته كانت قد انتقلت إلى مصر، إذ يرد ذكره بين الدارسين في حلقة الليث بن سعد (ت 175هـ/791م).

سيرته:

لما شب إبراهيم انخرط في صفوف جند مصر، وأضحى من وجوههم، ولم يلبث أن اشترك مع اثني عشر رجلاً منهم في هجوم على بيت مال مصر، وأخذوا منه مقدار حقهم فيه، ثم غادرها إبراهيم إلى إفريقية في ولاية الفضل بن روح المهلب (177-178هـ/792-793م)، وبسبب

العداوة القديمة بين أسرته وأسرة المهلبي نزل إبراهيم في الزاب، حيث كانت ذكرى والده لا تزال حية.

وسمت مكانته بين جندها حتى أضحى كأنه الحاكم الفعلي لها. وعندما تغيرت الأمور في القيروان بحلول هرثمة بن أعين محل الفضل (179هـ/795م)، لطف إبراهيم هرثمة بالهدايا، وكتب إليه يعلمه أنه فعل ما فعل لحاجة لا لمعصية أو نبذ طاعة، فولاه هرثمة ناحيته.

حكم إفريقية؛

جاءته الفرصة المواتية لحكم إفريقية كلها، عندما ثار بتونس تمام بن تميم التميمي على واليها بعد هرثمة محمد بن مقاتل بن حكيم العكي، وانتزع منه العاصمة القيروان في رمضان 183هـ/ تشرين الأول 799م فسار إبراهيم بن الأغلب من الزاب قاصداً القيروان، وأخرج الثائر منها، وأعاد واليها العكي.

وعندما أعاد الثائر الكرة بجموعه التي حشدها في تونس وهاجم القيروان، تصدى له إبراهيم بن الأغلب على مقدمة جيش العكي وهزمه، ثم لاحقه إلى معقله تونس، حيث استسلم له على الأمان في أوائل المحرم سنة 184هـ/ شباط 800م.

وكتب يحيى بن زياد صاحب البريد إلى الخليفة الرشيد بما فعله إبراهيم، فعينه أميراً على إفريقية بمشورة هرثمة بن أعين، لكفايته وإخلاصه في الطاعة وقبول الناس له، وتم ذلك في جمادى الآخرة 184هـ/ تموز 800م.

اعتمد إبراهيم لتوطيد حكمه واستقراره قاعدة التدرج في الأعمال التي تحقق الهدف، فكان أول ما فعله التخلص من القادة الذين أنفوا من الخضوع له، كالعكي وثلاثة من وجوه الجند، فنقلهم إلى حاضرة الخلافة، حيث أودعوا السجن، وأعد العدة بالطريقة نفسها لمجابهة القوى الأخرى، ولاسيما قوة البلديين من مشاركة ومغاربة، وقوة الجند القادمين مع القادة والولاة لإخماد الثورات الخارجية، فبادر إلى تأليف جيش من العبيد، وراح يشتريهم جماعة بعد أخرى متعللاً بتوفير الوسائل لخدمته، واستكثر منهم حتى وصل عددهم لديه، بحسب قول البلاذري، إلى رقم مبالغ فيه على الأرجح وهو خمسة آلاف عبد.

وفي عام 185هـ/ 801م بنى ابن الأغلب قاعدة له ولعبيده على ثلاثة أميال جنوبي القيروان، وبنى فيها مسجداً وقصراً، وانتقل إليها في السر ليلاً مع أهله وعبيده والموثوقين من جنده وأقطع أتباعه أرباضها، فغدت مدينة ملكية دعاها العباسية، وعُرفت كذلك بالقصر الأبيض أو القصر القديم. وربما دعيت بهذا الاسم بعد أن بنى أحد خلفاء ابن الأغلب مدينة الرقادة.

وفي غمرة انشغال إبراهيم بعمله هذا واجه ثورة البلديين (186هـ/ 802م) التي اجتمع فيها العرب والبربر بقيادة خريش بن عبد الرحمن الكندي (في رواية ابن الأبار)، أو حمديس (في رواية ابن الأثير والنويري)، وقد خلع أتباعها السواد تعبيراً عن رفض طاعة بني العباس.

وعد إبراهيم بن الأغلب هذه الثورة أخطر ثورة في إفريقية، فلم يكف يده عن أصحابها إلا بعد أن أبادهم، وربما بالغت الرواية في عددهم عندما وصلت به إلى عشرة آلاف رجل. ولم يكذب إبراهيم يستقر في قاعدته الجديدة حتى ثار عليه في القيروان أعوانه السابقون وجندهم من خراسان والشام، وعلى رأسهم عمران بن مجالد، وصاحب شرطته عامر بن المعمر، فبسطوا سلطانهم على القيروان، وسعوا إلى استمالة الفقهاء إلى صفوفهم، ولكن كبير هؤلاء أسد بن الفرات رفض ذلك، واستمرت حرب المتمردين مع إبراهيم بن الأغلب نحو سنة كانت الغارات متبادلة فيها بين القيروان والقصر القديم، إلى أن تمكن إبراهيم من استمالة الجند إليه بالمال الذي أمده به الخليفة الرشيد، فاضطر الثوار إلى الانسحاب إلى الزاب، ودخل ابن الأغلب القيروان، وخلع أبوابها وتلّم أسوارها؛ كي لا تصلح بؤرة مقاومة منيعة.

وشملت خدمات إبراهيم بن الأغلب للدولة العباسية المغرب الأقصى، كذلك حيث قامت دولة الأدارسة. ففي سنة 186هـ/802م سعى إبراهيم إلى اغتيال المولى راشد المدبر لشئون تلك الدولة منذ نشأتها، وظل يكيد لإدريس الثاني، محاولاً استمالة البهلول بن عبد الواحد المدغري من كبار زعماء البربر، وكسبه إلى جانب الدعوة للعباسيين، إلا أنه خضع في أواخر أيامه لمشورة أتباعه بالكف عن إدريس الثاني، بعد أن توطدت إمارته، ونال من الخليفة كل ما كان يريده. وراح يعمل على أن يكون الحكم في أولاده من بعده وقد هيأهم لذلك، وضمن لهم الاستقرار في ذلك البلد المضطرب، ووفر على الخلافة أموالاً طائلة كانت ترسل إليها معونة من مصر.

كانت وفاته في حاضرة إمارته، وخلفه في الإمارة ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم. (1)

وقاد عملية الفتح أسد بن الفرات. 2

1 - نقلًا عن ويكيبيديا، الموسوعة الحرة رابط <http://ar.wikipedia.org/wiki>

2 - هو أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم بن قيس، كنيته أبو عبد الله. قال أبو العرب: أوله من خراسان من نيسابور. وولد بحرّان من ديار بكر سنة (142هـ). دخل القيروان مع أبيه في جيش ابن الأشعث (سنة 144هـ) وهو ابن سنتين، ثم رحلوا إلى تونس، وبعدما حفظ القرآن اختلف إلى علي بن زياد، فلزمه وتفقه بفقهاءه، ثم رحل إلى المشرق سنة (172هـ)، فلقي مالكا وواظب عليه. وسمع منه الموطأ وغيره، ثم ذهب إلى العراق فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن، وغيرهما، ثم رحل بعد وفاة مالك إلى مصر، فلقي ابن القاسم وكتب عنه الأصدية، وقدم بعدها إلى القيروان.

ولي قضاء القيروان سنة (203هـ)، ثم إمارة الجهاد لغزو صقلية مع ولاية القضاء، وتوفي وهو محاصر لها من جراء جراحات أصابته سنة (213هـ) ودفن هناك

أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، قاضي القيروان، تلميذ مالك بن أنس. ولد سنة 142 هـ /759م، وأصله من نيسابور. رحل أبوه من حرّان إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث عام 144هـ/761م، وأخذه معه وهو طفل فنشأ بها، وتفقّه فيها.

تلقى العلم بإفريقية عن علي بن زياد، ثم ارتحل إلى المشرق في طلب العلم سنة 172هـ /788م، وأخذ عن الإمام مالك، ثم ارتحل إلى العراق، وأخذ عن أبي يوسف، والشيباني مذهب أبي حنيفة.

ثم ارتحل إلى مصر، فقابل أئمة الفقه من أصحاب مالك، فأخذ عن ابن القاسم. اشتغل بعد رجوعه بالتدريس ونشر العلم.

فكان يدرس المذهبين الكبيرين السائدين في العالم الإسلامي إذ ذاك، مذهب أهل الحديث في المدينة النبوية، ومذهب أهل الرأي في بغداد. فتتلمذ عليه الكثير أمثال سحنون بن سعيد. وهو أول من أدخل مذهب الإمام مالك إلى الجزائر.

اتخذ ابن الفرات القيروان مقراً له بعد عودته، فأقبل عليه الناس من كل مكان، من المغرب والأندلس، فاشتهر أمره، وظهر علمه، وارتفع قدره، وجاءته الأسئلة من أقصى البلاد ليحيب عنها فكان يجلس إليه أتباع مذهب مالك، وأصحاب المذهب العراقي، فيأخذ في عرض مذهب أبي حنيفة، وشرح أقوال العراقيين، فإذا فرغ منها صاح صائح من جانب المجلس: "أوقد المصباح الثاني يا أبا عبد الله"، فيأخذ في إيراد مذهب مالك، وشرح أقوال أهل المدينة، فكان هذا نهجاً جديداً في دراسة الفقه المقارن.

القضاء والإمارة:

وفي سنة 204هـ /819م ولي قاضياً على القيروان، وبقي بهذه الخطة إلى أن عزم زيادة الله بن إبراهيم فتح صقلية فعينه أميراً على الجيش والأسطول، ووجهه لفتح جزيرة صقلية سنة 212 هـ /827م فخرج بتسعمائة فارس وعشرة آلاف راجل، ووصل بعد خمسة أيام إلى "مرسى مزاراً" في جنوب غرب صقلية الموافق يوم الثلاثاء 18 ربيع الأول سنة 212 هـ /17 يونيو 827م وفتحها. انهزم البيزنطيون ممن كانوا في هذه المدينة وهربوا إلى مدينة أخرى تسمى "قصريانة".

توفي أسد بن فرات بمرض الطاعون أثناء حصاره لمدينة سرقوسة، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة 213هـ / 828م ودفن في قصر يانة.

من أشهر مؤلفاته: "الأسدية في فقه المالكية" نسبة لاسمه.⁽¹⁾

وكان للأغالبة أسطول قوي في البحر المتوسط.

المنطقة الثانية هي جزيرة سردينيا، واحتلت في سنة (194هـ - 809 م)، وورث الفاطميون حكم سردينيا عن الأغالبة في سنة (297هـ - 909 م)؛ أي بعد أن حكمها الأغالبة مدة قرن تقريباً، وبقيت سردينيا في أيدي الفاطميين قرناً آخر حتى استولى عليها ملوك الطوائف المسلمون بالأندلس في سنة (406هـ - 1015 م)، وحاول أن يستولي عليها مجاهد العامري ولكنه فشل في استعادة الجزيرة؛ وذلك بسبب قوة الحلف المسيحي الذي سيطر على سردينيا في سنة (406هـ - 1015 م)، وهكذا دام الحكم الإسلامي لجزيرة سردينيا أكثر من قرنين، وانتشر الإسلام خلالها في الجزيرة، وفي نهاية الحكم الإسلامي لسردينيا حكمها أمراء مسلمون من أبنائها، ولكن التحالف المسيحي الذي تكون من دولة بيزا وجنوه سيطر في النهاية على الجزيرة، وعندئذ تغير وضع المسلمين، فمذ الاستيلاء على سردينيا ظهر التحدي للمسلمين بالجزيرة، فكثرت الهجرات الإسلامية منها، وشنت حرب الإبادة على المسلمين بسردينيا، وكان السبب الرئيسي في إخلاء الجزيرة من المسلمين.

المنطقة الثالثة هي شبه جزيرة إيطاليا، والتي وصلها الإسلام، فقد توجه الأغالبة إلى

هذه المنطقة بعد احتلالهم جزيرة صقلية، فهاجم المسلمون مدينة برنديزي سنة (221هـ - 836م) ثم استولوا على نابولي في السنة التالية لها، واستولوا على كابوه في سنة (227هـ - 841م)، واحتل المسلمون تارانتوا، ودخلت جيوش محمد الأول الأغلبى مدينة روما سنة (232هـ - 846 م) وأجبرت البابا على دفع الجزية.

وبعد فترة استطاع التحالف المسيحي استرجاع بعض المدن الإيطالية على إثر الخلافات التي نشبت بين القوة الإسلامية في المشرق والمغرب، فاسترجعت قوات التحالف المسيحي مدن برنديزي في سنة (257هـ - 870 م) وباري، وتارنتوا، وحاول الحفصيون والفاطميون استعادة احتلال جنوبي إيطاليا في مستهل القرن الخامس الهجري، فهاجم الحفصيون نابولي

1 - نقلًا عن ويكيبيديا، الموسوعة الحرة رابط <http://ar.wikipedia.org/wiki>

وجاتييه، وهاجم الفاطميون جنوه في سنة (322هـ - 934م)، كما حاول الأتراك العثمانيون الاستيلاء على جنوبي إيطاليا في سنة (886هـ - 1481م).⁽¹⁾

المسلمون في إيطاليا:

الحضور الإسلامي في إيطاليا ليس وليد العقود القليلة الماضية — كما يظن البعض — بل تعود أصوله إلى عام (809 م) حيث حكم المسلمون الأغلبية ثم الفاطميون جزيرة (سردينيا) حتى عام (1015 م). فيما بسط القائد العربي المسلم (أسد بن الفرات) سيطرته على جزيرة (صقلية) عام (827م) خلال فترة ولاية الأمير (زيادة الله الأغلبي). وفي عام (863م) أحكم المسلمون الأغلبية قبضتهم على مدينة (برندزي) الإيطالية ثم (نابولي) عام 837 م، ثم (كلابريا) و(تارنتو) وصولاً إلى ضواحي (روما) عام (846م) في زمن إمارة (محمد بن الأغلب). إلا أنهم انسحبوا منها بعد أخذ الجزية من أمرائها. وعندما استطاعت جيوش التحالف المسيحي استرجاع المدن الإيطالية عاود المسلمون السيطرة على مدينتي (نابولي) و(جاتيه) عام 934م. كما شهد عام (1481م) محاولات عثمانية للاستيلاء على الجنوب الإيطالي. وخلال الفترات المذكورة انتشر الإسلام على نحو محدود في صفوف الإيطاليين، ولكن بعد سقوط المدن بيد قوات التحالف المسيحي تمت تصفية جميع المظاهر الإسلامية فيها. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تقاطرت على إيطاليا جاليات إسلامية قدمت من المستعمرات الإيطالية، فضلاً عن بعض المهاجرين المسلمين الذين غادروا (أوروبا الشرقية)، و(شمال إفريقيا) أما في العقدين الأخيرين فقد استقبلت البلاد هجرات مسلمة متنوعة من منطقة الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا فضلاً عن الآلاف من الطلاب المسلمين الدارسين في الجامعات الإيطالية.

ويتوزع في الوقت الحاضر (700) مركز إسلامي في المقاطعات الإيطالية العشرين أقدمها على سبيل المثال (المركز الثقافي الإسلامي في روما)، ويعود تأسيسه إلى عام 1966م، ويضم مسجداً كبيراً وقاعة للمؤتمرات، وهو المنظمة الإسلامية الوحيدة التي تحظى بالاعتراف الحكومي القانوني، ويدار من قبل مجلس إدارة يضم سفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى كل من: روما، والفاتيكان، ويلييه (اتحاد الطلاب المسلمين بإيطاليا) الذي تأسس عام 1971، ثم

1- [المسلمون في أوروبا. د/ علي بن المنتصر الكتاني، الناشر دار الكتب العلمية، سنة 2005 م 1426 هجرية، الطبعة الأولى].

(اتحاد الجاليات والجمعيات الإسلامية في إيطاليا) الذي تأسس عام 199. أما الجمعية الإسلامية التي تقتصر على الإيطاليين المتحولين إلى الإسلام فهي: (الرابطة الدينية الإسلامية في ميلانو) ويرأسها إيطالي مسلم هو الشيخ (عبد الواحد بلافيتشيني)، فيما يعمل نجله إماماً وهي تنشط ثقافياً في تنظيم الندوات والمؤتمرات والدروس، وتسوق نفسها على أنها تمثل (الإسلام الإيطالي المعتدل)، وهي تحاول جاهدة للحصول على الاعتراف القانوني بها من قبل السلطات الإيطالية. أما بخصوص استجابة المجتمع الإيطالي المسيحي لاندماج المسلمين به فتفاوت مستوياته تبعاً للمواقف الإيطالية المبدئية من الإسلام نفسه، حيث التشنج الذي يبديه حزب رابطة الشمال، والتوجس والحذر الذي يكتنف توجهات اليمين المسيحي، والإيجابية التي تتبناها أحزاب اليسار في مفارقة ربما تكون غريبة. فالمسلمون الإيطاليون من جانبهم قلقون مما وصفوه بسياسات التضييق التي تمارس بحقهم، والتحديات التي تضعها السلطات المختصة على أدونات بناء المساجد، وازدراء الإيطاليين للحجاب الإسلامي.

والحق... أن هناك أصواتاً إيطالية حكيمة ومتفهمة لمتطلبات التعايش والتنوع القومي والديني، فمثلاً صرح وزير الداخلية الإيطالي الأسبق (جوليانو اماتو) في مناسبات عدة بأن إله المسيحي، وإله المسلم، إنما هو إله واحد، وهو لا يمكنه القبول بالظلم والعنف؛ لذا فهو يرفض التمييز تحت أي ذريعة أو شعار. ويرى (اماتو) أن الحل يكمن في الحوار والتفاهم وتنظيم أوضاع المسلمين وفقاً لقانون جديد، وليس وفقاً لقانون العبادات الصادر في ثلاثينيات القرن الماضي، كما اقترحت المستشارة اليسارية لدى محافظة (نابولي) (إيزادورا دايمو) بناء مسجد كبير في المدينة.

فيما دعا الحاخام الأكبر في روما (ريكاردو دي سيني) مسلمي إيطاليا إلى تطبيق النموذج اليهودي في الاندماج، مناشداً الوعاظ المسلمين إلى استخدام اللغة الإيطالية في خطبهم، مطالباً إياهم بالتحلي بالصبر، وتوحيد تمثيلهم أمام الدولة الإيطالية.

أما وزير الخارجية الأسبق (فرايني) فقد دعا إلى اعتبار الجاليات الإسلامية بمثابة حليف وثيق للإيطاليين منوهاً بإمكانية بناء إسلام أوروبي خلال العقود القادمة، وأن تنصب الجهود لبلورة نموذج اندماجي ناجح.

ويعلل البعض التردد الرسمي الإيطالي في التعاطي المفتوح مع المسلمين بتشتت الصوت الإسلامي، وتعدد صور الإسلام من زاوية النظر الإيطالية، حيث المذاهب الإسلامية المتنوعة، وحيث الإسلام السلفي المتشدد، والإسلام الصوفي، والإسلام التقليدي.

وتشكل الجالية المسلمة أكبر مصدر بشري؛ حيث نسبة الإنتاج مرتفعة، فالجالية الإسلامية جالية شابة منتجة ذات مستقبل واعد، حتى إن بعض الصحف جعلت عنوانها: (شكرًا للمهاجرين الذين يزيدون عدد سكان إيطاليا)، وهذا هو السبب الرئيس الذي يتخوف الغرب منه بأن يصبح الإسلام الوريث لهذه البلاد.

المراكز والهيئات الإسلامية:

ينتشر في إيطاليا حتى نهاية 2008 وبداية 2009 ما يزيد على 783 مركزًا إسلاميًا على كافة المساحة الإيطالية من الشمال إلى الجنوب، عبر مقاطعاتها العشرين، وذلك حسب إحصائية وزارة الداخلية. (1)

أهم مشكلات المسلمين في إيطاليا.. يمكن حصر المشاكل في النقاط التالية:

- 1- عدم اعتراف الدستور الإيطالي الرسمي بالدين الإسلامي.
- 2 - عدم تجانس الجالية عرقياً وقومياً: تتألف الجالية الإسلامية في إيطاليا من عرقيات مختلفة من العالم الغربي والإسلامي، وتغلب عليها الكثافة المغاربية؛ وهذا ما ينتج عنه في أحيان كثيرة عدم الانسجام في الطباع، والثقافة، وطريقة الحياة.
- 3- حمل الخلافات الدينية والعرقية إلى الغرب، والعناية بها، والحرص عليها، وغالبًا ما تكون هذه الخلافات فرعية.
- 4- الممارسات الخاطئة لكثير من أبناء العرب والمسلمين، سواء المقيمين هناك أو السياح، الذين جعلوا صورة المسلم تتمثل في رجل مترف عابث، لا يبحث إلا عن الشهوة.
- 5- من أبرز المشكلات التي تواجه الجالية في الغرب: ضياع الناشئة الذين يولدون في المجتمعات الغربية، فيتعلمون لغة القوم، ويدرسون في مدارسهم، وينتقفون بثقافتهم، خصوصًا من تكون أمهاتهم غير مسلمات، فهؤلاء في صراع نفسي وازدواج ثقافي كبير، غالبًا ما تكون الغلبة فيه للمجتمع وثقافته، وإن هذه المؤثرات وغيرها أوجدت انفصامًا في مسلمات الأسرة

المسلمة في الغرب، وبدأت المشاكل العائلية بالظهور بين ديانتين وثقافتين متناقضتين.

6- ضعف العلم الشرعي فمعظم الجالية الإسلامية من غير المؤهلين شرعياً.

7- غياب الدور الرسمي للدول الإسلامية، ذلك أن رعاية السفارات والقنصليات العربية والإسلامية محدودة جداً في التأثير على سلوك الجاليات وثقافتها.

8- قص الكتب المترجمة عن الإسلام والقرآن للغة الإيطالية.

10- الحاجة إلى مدارس إسلامية لتعليم الدين الإسلامي لأبناء المسلمين⁽¹⁾.

غير أن هناك المؤسسات ذات الصفة الوطنية، والتي تضم العديد من المراكز الإسلامية الأعضاء إلى جانب مركزها الرئيسي أول وأضخم هذه الهيئات الإسلامية: اتحاد الجاليات الإسلامية في إيطاليا، والذي يضم حوالي 150 مركزاً إسلامياً تنتشر في معظم المقاطعات الإيطالية، ومقره الرئيسي بمدينة روما، وإن كان أعضاء الهيئة الإدارية العليا يقيم أغلبهم خارج روما، فعلى سبيل المثال يقيم الرئيس الدكتور محمد نور دشان بمدينة أنكونا، ويقيم المسئول الإعلامي عز الدين الزير في مدينة فيرنسا، والمسئول الثقافي وجيه سعد بمدينة ريجو إيميليا.... يليه الرابطة الإسلامية في إيطاليا، وهي مؤسسة وطنية معنية بالجانب التربوي يرأسها الدكتور أبو الخير بريغيش، ومقرها ميلانو المعهد الثقافي الإسلامي برئاسة الشيخ أبو عماد ومقره ميلانو.

المركز الإسلامي بروما، تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي، وقد تأسست جمعية الاتحاد الإسلامي في الغرب لرعاية اللاجئين من أوروبا الشرقية، وهي أول جمعية إسلامية بإيطاليا ومركزها روما. وقامت الجمعية بتأسيس مدرسة إسلامية بمساعدة رابطة العالم الإسلامي.

وأنشأ المركز الإسلامي في روما سنة (386 هـ - 1966م). ويتكون مجلسه التنفيذي من السفراء العرب والمسلمين، ويصدر المركز الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية.

إلى جانب العديد من المراكز والجمعيات الإسلامية ذات الصفة المستقلة.

فيما يلي رقم القانون المخصص
على أثرة أرض المركز
الإسلامي الكبير بروما

La moschea di Roma fu voluta e
finanziata dal re Faysal dell'Arabia
Saudita

Come si legge nell'epigrafe
esterna, la sua costruzione ha richiesto più di vent'anni: la donazione del terreno fu deliberata dal
Consiglio Comunale romano nel 1974, ma la prima pietra fu posta dieci anni dopo, nel 1984 (anno
1362 dell'Egira), alla presenza dell'allora Presidente della Repubblica Sandro Pertini, e

1 l'inaugurazione avvenne il 21 giugno 1995, (3)



صورة المركز الإسلامي الثقافي بإيطاليا ومقره روما

صورة المركز الإسلامي
بإيطاليا من الداخل



ثم يأتي بعد المركز الإسلامي في إيطاليا مركز دار السلام بروما، من حيث نشاطه المميز في
الدعوة إلى الله، وشكله الحضاري المعماري الذي سوف يكون موضوع بحثنا إن شاء الله،
والذي أشرف به إماماً ورئيساً لمجلس إدارته.

فهو مركز إسلامي يدعو إلى نشر عقيدة أهل السنة والجماعة بين أبناء الجاليات الإسلامية
بشتى جنسياتها، الداعي إلى السلام، وإلى المحبة والوئام، والأخوة والمعاملة الحسنة والتعاون،

. <http://www.interno.gov.it/mininterno/export/sites/default/it/temi/immigrazione> -1

والساعي إلى ترشيد الحوار بين الديانات السماوية، وإبراز العقيدة الإسلامية الصحيحة الهادفة إلى الحوار والتعايش مع هذه الأديان؛ انطلاقاً من قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}. (1)

وقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. (2)

ذلك أننا نعتقد أن التعريف بحقيقة الإسلام، وسماحته، وعدله، وشموله لجميع العبادات والمعاملات، والأخلاق الحميدة، وتمسك المسلمين بهذه المبادئ الأساسية، وإعطاء المثل الأعلى بأنفسهم بها ستؤدي إلى صلاح البشرية وإلى السلام بجميع أشكاله، بما فيه السلام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والأمن الغذائي.

وطريقنا في الدعوة إلى الإسلام الصحيح هو الحجة والإقناع بالعلم، وبالْحِكْمَةِ، وبالقدوة الحسنة، وبالبعد عن الخلافات السياسية، والعقائدية، والمذهبية.

إذ لا يخفى أن الحوار بصفة عامة هو موجه من أتباع الديانات السماوية كلها، والمؤمنون جميعاً إلى الناس كافة، انطلاقاً من قول الله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}. (3)

فما أسعد الإنسان أن تتاح له فرصة التمازج والتناصح في جو من الثقة يسوده روح التسامح إلى العقل، والقيم الإنسانية الفكرية والروحية الخالدة.

ومما يشجعنا على نجاحنا في مهمتنا الصعبة، العلاقات الطيبة المميزة القائمة بين المركز الإسلامي الثقافي بروما وبين مختلف المراكز الثقافية والمعاهد المنتمية للديانات السماوية الشرقية، وغير ذلك من المراكز والمعاهد الثقافية والعلمية.

1 - سورة النحل، آية: (125).

2 - سورة آل عمران، آية: (159).

3- سورة البقرة، آية: (136).

وذلك لكثرة عقد المؤتمرات، والاجتماعات، والتوافق، والتوحد حول الهدف، والعمل الجاد حول توحيد كلمة المسلمين وصفوفهم ومن يمثلهم، وهذا ما بدأناه منذ أكثر من خمس سنوات إذ إننا جادون في المساهمة الفعالة في ترشيد الحوار الهادف البناء، بالرغم من أن الطريق طويل وشاق، على أساس من الاحترام المتبادل للثوابت والمقدسات، طبقاً للشرائع السماوية من دون تطرف ولا تعصب؛ لأن العقيدة الإسلامية لا مجال فيها للغلو ولا للتطرف. يقول الله تعالى:

لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {1}

الفصل الأول

المراكز الإسلامية ودورها في الغرب

المبحث الأول

فضل الدعوة إلى الله:

الدعوة لغةً واصطلاحاً:

جاء في مختار الصحاح: دعا الدعوة إلى الطعام بالفتح، ويقال كنا في دعوة فلان، ومدعاة فلان وهو مصدر، والمراد بهما: الدعاء إلى الطعام، و(الدعوة) بالكسر في النسب، و(الدعوى) أيضاً هذا أكثر كلام العرب، وعدي الرباب يفتحون الدال في النسب، ويكسرونها في الطعام، و(الدعي) من تبنيته، ومنه قوله تعالى: {وما جعل أدياءكم أبناءكم}. (1)

قال محمد أمين حسن: ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم في آيات كثيرة، وبمعانٍ متعددة يهمننا هنا معنيان، الدعوة بمعنى التبليغ والبيان، ونقل هداية الله إلى الناس، وقد ورد بهذا المعنى آيات كثيرة منها قوله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً} (2)، وقوله تعالى: {قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً}. (3)

وقوله تعالى: {قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة}. (4)

فمفهوم الدعوة من خلال مدلولها اللغوي يشير إلى النداء والطلب للاجتماع على شيء أو الاشتراك فيه، فدعا الرجل ناداه أو طلبه، والاصطلاح هو الذي يعين ويحدد المراد من النداء أو الطلب، وبغير بيان المقصود يبقى المعنى عاماً شاملاً.

الدعوة في لسان الشرع قد وردت فيها عدة تعاريف، نذكر منها:

1- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية (5) - رحمه الله - :
(الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا).

2- تعريف د. السيد محمد الوكيل (6):

1- مختار الصحاح للرازي، مكتبة لبنان - ص 205 عام 1986..

2- سورة فصلت، آية: 224.

3- سورة نوح، آية: 35.

4- سورة يوسف، آية: 4108.

5- انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج15/ 157.

6- انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاء، للدكتور السيد محمد الوكيل، ص9 دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1.

الدعوة إلى الله هي جمع الناس إلى الخير، ودلائلهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير}.⁽¹⁾

3- تعريف الشيخ الصواف:⁽²⁾

الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه - سبحانه - .

{إن الدين عند الله الإسلام}⁽³⁾، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرضَ بغيرها بديلاً عنها: {ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.⁽⁴⁾ وخالصة التعاريف فإننا نقول بأن الدعوة إلى الله هي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة (أمة الدعوة وأمة الاستجابة) وفق الأسس والمنهج الصحيح، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين ويلائم أحوال وظروف المخاطبين.

الدعوة إلى الله - تبارك وتعالى - هي أعظم مهمات رسولنا - صلى الله عليه وسلم - وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى، قال سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.⁽⁵⁾

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}.⁽⁶⁾

وقال سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.⁽⁷⁾

وقال تعالى: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ}.⁽⁸⁾

وقال تعالى: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.⁽⁹⁾

وقال عز من قائل: {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبُ} (1).

1- سورة آل عمران، آية 103.

2- انظر: الأسلوب التربوي للدعوة في العصر الحاضر، خالد الخياط، ط1 (دار المجتمع: جدة ، 1412هـ)، (ص 163).

3- سورة آل عمران، آية: 19.

4- سورة آل عمران، آية: 185.

5- سورة يوسف، آية: 108.

6- سورة الأحزاب، آية: 45- 46.

7- سورة النحل، آية: 125.

8- سورة الحج، آية: 67.

9- سورة القصص، آية: 87.

وهي الميزة التي فضل الله - تعالى - بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (2)، وقال تبارك وتعالى أمراً بها وحثاً عباده على القيام بها: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (3)؛ لذا كان الداعية إلى الله - تعالى - العامل بما يدعو إليه، من أحسن الناس قولاً، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (4).

بل إن الداعية له أجره من الله الكريم، وله كذلك أجر من دعاهم إلى الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً».

والله - سبحانه - يحفظ أهل القرى من عذابه عامة؛ بسبب وجود الدعاة المصلحين فيها، الذين يدعون إلى سبيل الله، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} (5). والدعوة بحمد الله ونعمته غير محصورة بوقت ولا مكان ولا طريقة، ما دام أنها وفق الشريعة، وغير مخالفة لطريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة إلى الله.

فمن جهة الوقت: هذا نوح - عليه الصلاة والسلام - يدعو قومه في الليل والنهار: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} (6).

ومن جهة المكان: هذا يوسف عليه السلام يدعو في السجن: {يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ أَتُفَرِّقُونَ خَيْرَ أُمَّةٍ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (7).

ومن جهة الطريقة: هذا نوح أيضاً يدعو إلى الله ودينه بطرق متنوعة: {ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} (8).

1- سورة الرعد، آية: 36.

2- سورة آل عمران، آية 110.

3- سورة آل عمران، آية: 104.

4- سورة فصلت، آية: 33.

5- سورة هود، آية: 117.

6- سورة نوح، آية: 5.

7- سورة يوسف، آية: 39.

8- سورة نوح، آية: 9.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره، وهذا هو طريق جميع الأنبياء، فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم المصطفى - صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر، ولم يضعف، حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه، ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله، وإلى توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد. 1

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. وإذا كانت الدعوة إلى الله، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضاً على كل واحد، كان الواجب على كل واحد بحسب مقدوره.

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم. وعلى القادر ببذنه ويده، أو ماله، أو جاهه، وقوله، أعظم مما على من ليست له تلك القدرة. قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} (2)، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين» (3).

الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد:

قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه مفتاح دار السعادة:

"الوجه الثلاثون بعد المائة: وهو قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (4) قال الحسن: (هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله)، فمقام الدعوة

1- القول السديد (ص: 32-33)..

2- سورة التغابن، آية: 16.

3- القول السديد (ص: 32-33)، تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تقديم الشيخ صالح بن فوزان، (الطبعة الأولى - دار ابن القيم).

4- سورة فصلت، آية: 33.

إلى الله أفضل مقامات العبد، قال تعالى: {لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} (1)، وقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (2).

جعل - سبحانه - مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن، هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية... إلخ" (3).

الدعوة إلى الله أعظم المراتب وأجلها عند الله:

يذكر الإمام ابن وضاح القرطبي - رحمه الله - في كتابه: "البدع والنهي عنه" (2) أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات فقال: (اعلم - أي أخي - أنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهار عيبيهم، والطعن عليهم، فأذلهم الله بذلك وصاروا ببدعتهم مستترين. فأبشر - أي أخي - بثواب ذلك، واعتد به أفضل حسناتك، من الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد.

وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله، وإحياء سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: أخبرني سهيل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أفأنتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى

1- سورة الجن، آية: 19.

2- سورة النحل، آية: 125.

3- مفتاح دار السعادة (1/153)، لابن قيم الجوزية، الناشر: رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت الطبعة الأولى.

2- محمد بن وضاح القرطبي، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، عام 1416 هجرية.

تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : (... اعلم أن أعظم المراتب وأجلها عند الله الدعوة إليه، التي قال الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾ وفي الحديث: «والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»⁽²⁾.
وقال - رحمه الله - مبيناً أن الدعوة إلى الله ودينه الحق وسنة رسوله واجبة:

".. ويجب علينا تعلم أربع مسائل، الأولى: العلم؛ وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة؛ الثانية: العمل به؛ الثالثة: الدعوة إليه؛ الرابعة: الصبر على الأذى فيه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾"^{(3)·(4)}.

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله.⁽⁵⁾

فإذا كان قد جرى في عهد النبوة من يطعن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويكفر أصحابه، فلا يبعد أن يجيء في آخر هذه الأمة من يقول بقولهم، ويرى رأيهم؛ والذين هاجروا إلينا وبايعونا ما ندري عن حقيقة أمرهم؛ وعلى كل حال: إذا عملتم بالتوحيد، وأنكرتم الشرك والضلال، وفارقتم البدع، فلا يلزمكم هجرة عن الوطن والمال؛ بل يجب عليكم الدعوة إلى الله، وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله، وتأمل كلام الشيخ في مصنفاته، فإنه - رحمه الله - بين وحقق، والسلام.⁽⁶⁾

والدعوة إلى الله جهاد، وأكمل الخلق تكمياً لمراتب الجهاد بفضل الله هو قوتنا - صلى الله عليه وسلم - يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد:

فصل:

- 1- سورة فصلت، آية: 33.
- 2- البخاري (1077/3، 1357) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب من حديث سهل بن سعد
- 3- سورة العصر، آية: 1-3.
- 4- الدرر السنية من الأجوبة النجدية (63/1). تأليف. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الطبعة السادسة لعام 1317 هجرية 1996 م.
- 5- الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله، حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، ولد سنة (1192) هـ في الدرعية، وتوفي بالرياض سنة (1285) هـ. له مؤلفات ورسائل، من أشهرها (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد).
- 6- الدرر السنية من الأجوبة النجدية (226/3)، تأليف. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة لعام 1317 هجرية 1996 م.

وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله - صلى الله عليه وسلم -؛ فإنه كمل مراتب الجهاد، وجاهد في الله حق جهاده، وشرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله - عز وجل - فإنه لما نزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ * وَتِيَابِكَ فَطَهَّرٌ﴾ (1).

شمر عن ساق الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، ولما نزل عليه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (2).

فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس.

ولما صدع بأمر الله، وصرح لقومه بالدعوة، وناداهم بسب آلهتهم، وعيب دينهم؛ اشتد أذاهم له ولمن استجاب له من أصحابه، ونالوه ونالوهم بأنواع الأذى، وهذه سنة الله - عز وجل - في خلقه، كما قال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (3).

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (4).

وقال: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَصَّوْا بِهِ بِلِ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ (5).

إلى أن قال: "فمن آمن بالرسول وأطاعهم، عاداه أعداؤهم وآذوه، فابتلي بما يؤلمه. وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم، عوقب في الدنيا والآخرة، فحصل له ما يؤلمه، وكان هذا المؤلم له أعظم ألماً وأدوم من ألم اتباعهم، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة".

والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء، ثم يصير إلى الألم الدائم. وسئل الشافعي - رحمه الله -: أيما أفضل للرجل، أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: (لا يمكن حتى يبتلى).

1- سورة المدثر، آية: 4.

2- سورة الحجر، آية: 94.

3- سورة فصلت، آية: 43.

4- سورة الأنعام، آية: 112.

5- سورة الذاريات، آية: 52.

والله - تعالى - ابتلى أولي العزم من الرسل، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطع يسير، وأشقاها من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر.

فإن قيل: كيف يختار العاقل هذا؟ قيل: الحامل له على هذا النقد والنسيئة.

والنفس موكلة بحب العاجل.. {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ} (1)، {إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} (2).

وهذا يحصل لكل أحد، فإن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم، آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب، تارة منهم، وتارة من غيرهم، كمن عنده دين وتقى حل بين قوم فجار ظلمة، ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم، أو سكوتهم عنهم، فإن وافقهم، أو سكت عنهم، سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم، فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم، فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت عائشة أم المؤمنين لمعاوية: (من أَرْضَى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أَرْضَى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً).

ومن تأمل أحوال العالم، رأى هذا كثيرًا فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة، وفيمن يعين أهل البدع على بدعهم هربًا من عقوبتهم، فمن هداه الله وألهمه رشده، ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبر على عدوانهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم، كالمهاجرين والأنصار، ومن ابتلي من العلماء، والعباد، وصالحي الولاية، والتجار، وغيرهم.

ولما كان الألم لا محيص منه البتة، عزى الله - سبحانه - من اختار الألم اليسير المنقطع على الألم العظيم المستمر بقوله: {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (3).

1- سورة القيامة، آية: 20.

2- سورة الإنسان، آية: 27.

3- سورة العنكبوت، آية: 5.

فضرب لمدة هذا الألم أجلًا، لا بد أن يأتي، وهو يوم لقائه، فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمّل من الألم من أجله، وفي مرضاته، وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الألم في الله والله، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه، ليحمل العبد اشتياقه إلى لقاء ربه ووليه على تحمل مشقة الألم العاجل (1).

وقال أيضًا هذا الإمام الرباني ابن القيم - رحمه الله -:

"فصل: الموطن الثالث والعشرون من مواطن الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - عند تبليغ العلم إلى الناس... لأنه موطن لتبليغ العلم الذي جاء به ونشره في أمته، وإلقائه إليهم، ودعوتهم إلى سننه وطريقته - صلى الله عليه وسلم - وهذا من أفضل الأعمال وأعظمها نفعًا للعبد في الدنيا والآخرة".

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (2).

وقال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} (3)، وسواء كان المعنى أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، أو كان الوقف عند قوله: {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} (5) ثم يبتدئ: {عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} (6).

فالقولان متلازمان؛ فإنه أمره - سبحانه - أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله، فمن دعا إلى الله - تعالى - فهو على سبيل رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله - تعالى - هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله - سبحانه - قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم، بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له.

وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا. وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من

1- زاد المعاد في هدي خير العباد (12/3-16). المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار.

2- سورة فصلت، آية: 33.

3- سورة يوسف، آية: 108.

الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله - تعالى - منهم بمنه وكرمه".⁽¹⁾

والدعوة إلى السنة أمر بالمعروف، وإنكار البدعة نهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان الشريعة، وبهما يحفظ الدين، وتستقيم العقائد والعبادات. وللاّمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط يجب أن تتوافر فيه، فيكون أمره بالمعروف معروفاً، ونهيه عن المنكر كذلك.

قال شيخ الإسلام وشامة الشام ابن تيمية - رحمه الله -:

(ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر) وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أنثى الله على الصالح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله وليس عليه هداهم، وهذا من معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾⁽²⁾.

والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات؛ لم يضره ضلال الضال، وذلك يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد. فأما القلب فيجب بكل حال؛ إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وذلك أدنى أو أضعف الإيمان»⁽³⁾.

وقال: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»⁽⁴⁾.

1- جلاء الأفهام، (ص: 414-415). لابن قيم الجوزية، تقديم مشهور بن حسن آل سليمان ط - 1 دار بن الجوزي.

2- سورة المائدة، آية: 105.

3- مسلم (69/1) (49)، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أبي سعيد الخدري

4- صحيح ابن حبان (72/14). باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من حديث أبي سعيد الخدري

وقيل لحذيفة رضي الله عنه: (من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا) (1).

وهذا هو المفتون الموصوف بأن قلبه كالكوز مجخيًا في حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - في الصحيحين: «تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير...» (2).

وهنا يغلط فريقان من الناس: فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلًا لهذه الآية، كما قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في خطبته: "أيها الناس! إنكم تقرأون هذه الآية: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} (3) وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (4).

وقال ابن تيمية - رحمه الله -:

"ومن الأمر بالمعروف كذلك الأمر بالانتلاف والاجتماع، والنهي عن الاختلاف والفرقة وغير ذلك، وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، فأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلهًا آخر كالشمس، والقمر، والكواكب، أو كملك من الملائكة، أو نبي من الأنبياء، أو رجل من الصالحين، أو أحد من الجن، أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله - تعالى - أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله.

ومن المنكر؛ كل ما حرمه الله؛ كقتل النفس بغير الحق، وأكل أموال الناس بالباطل، بالغصب، أو بالربا، أو الميسر، والبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وتطيف المكيال والميزان، والإثم والبغي، وكذلك

1- مصنف ابن أبي شيبة (504/7). أبي محمد إسامة بن إبراهيم بن محمد، دار النشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

2- رواه مسلم باب الإيمان عن حذيفة بن اليمان برقم 211

3- سورة المائدة، آية: 105.

4- الاستقامة (211/2-213). ابن تيمية د، محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - .. وغير ذلك، والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".⁽¹⁾

ويؤكد العلامة ابن القيم - رحمه الله - أن من أسباب فشو البدعة تقصير أهل الحق في إظهار السنة والهدي، فقال: "ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال كان من أسبابه: التقصير في إظهار السنة والهدي".⁽²⁾

وهكذا بدعوة المخالفين لأهل السنة تظهر السنة وتموت البدعة، ويوقى العامة شرها، ويظهر ضعف حجة المخالف، ويذب عن حياض الدين، وينكشف ما يلبسه المخالفون على العامة، وبهذا يجتمع الناس على الهدى والاعتصام بحبل الله.. وهو المقصد الشرعي العظيم من دعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة من أهل البدع.³

1- الاستقامة ابن تيمية (210/2). د، محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.
2- الصواعق المرسله (1133/3). لابن القيم، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر دار العاصمة 1408 هـ، الطبعة الأولى.
1- الصواعق المرسله (1133/3)، لابن القيم، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر دار العاصمة 1408 هـ، الطبعة الأولى.

المبحث الثاني

ثمرة نشر الدين الحنيف:

- (1) حفظ الدين
- (2) حفظ النفس
- (3) حفظ العرض
- (4) حفظ العقل
- (5) حفظ المال
- (6) السلام النفسي والعالمي

مقاصد الشريعة في حفظ الدين:

1- العمل بالدين:

أوجب الله - تعالى - حدًّا أدنى يحفظ به هذا الدين على كل فرد من أفراد المسلمين، وهو فرض العين الذي لا يسقط عن أحد ما دام قادرًا على إقامته قدرة عقلية وقدرة فعلية، وذلك مثل أصول الإسلام والإيمان⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام: "والتحقيق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً، الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان، فيجب على كل من كان قادرًا عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهذه هي الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب المصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس"⁽²⁾.

وهناك حد أدنى من المحرمات حظرها الله - تعالى - على كل فرد فهي محرمات عينية مطلوب من كل فرد اجتنابها، وهي المحرمات التي حظرت لذاتها؛ لما يلحق الفرد والمجتمع من الضرر؛ بسبب ارتكابها كالزنا وشرب الخمر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وغيرها، فإنه يحرم على كل فرد من الأمة؛ أي محرم منها إلا ما اضطر إليه مما لا حياة له من دونه مما يمكن تناوله كأكل الميتة، وقد رتب الله - تعالى - على امتثال أمره واجتناب نهيه السعادة

1- الإسلام وضرورات الحياة، (ص31).

2- مجموع فتاوى ابن تيمية، (314/7).

في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، كما رتب على عصيانه الشقاء في الدنيا والآخرة كما قال - سبحانه وتعالى - : {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ} (1).

قال ابن كثير: "فاستثنى من جنس الإيمان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم {وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ}، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات" (2).

2. الحكم بالدين:

قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} (3).

قال ابن السعدي: "الحكم هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء، والأعراض، والأموال، وسائر الحقوق، وفي العقائد، وفي جميع مسائل الأحكام" (4).

وقال تعالى: {فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}.

قال ابن كثير: "أي: فاحكم - يا محمد - بين الناس، عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم" (5).

قال الشيخ عبد الله قادري: "إن المراد بحفظ هذا الدين أن يؤدي غرضه في الأرض، وأن يحكم تصرفات البشر، وأن يقضي لصاحب الحق بحقه، ويرد على صاحب الباطل باطله. إن الناس يعتدي بعضهم على بعض في هذه الضرورات التي لا حياة لهم بدونها، ويعتدون على دينهم، وعلى نسلهم، وعرضهم، ونسبهم، وعقلهم، ومالهم، ونفوسهم، وليس هناك مبدأ من المبادئ الموجودة في الأرض قادر على حفظ هذه الضرورات حفظاً يكفل لهم الحياة السعيدة إلا هذا الدين، فالحكم بما أنزل الله ضرورة من ضروريات حفظ الدين" (6).

1- سورة العصر، آية: 1-3.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (585/4)، وانظر: الإسلام وضرورات الحياة (ص 32).

3- سورة النساء، آية: 105.

4- تيسير الكريم الرحمن (ص 199). تفسير السعدي [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان]، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي الناشر: موقع أم الكتاب www.omelketab.net

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (105/2).

6- الإسلام وضرورات الحياة (ص 40)، بتصرف يسير.

3- الدعوة إلى الدين:

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (1).

قال ابن جرير: "أي: ومن أحسن - أيها الناس - قولاً ممن قال: ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاى إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك؟! (2).

وقال تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (3).

قال ابن كثير: "يقول تعالى: {ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون} (4).

قال شيخ الإسلام: "إن صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (5)، وقال تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}، وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (6)، وقال - تعالى - عن بني إسرائيل: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (7)، وقال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (8). فأخبر الله - تعالى - أن العذاب لما نزل نجي الذين ينهون عن السوء، وأخذ الظالمين بالعذاب الشديد (9).

1- سورة فصلت، آية: 33.

2- جامع البيان للطبري (109/11). (تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي)، الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان عام 1422 هجرية الطبعة الأولى).

3- سورة آل عمران، آية: 104.

4- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (398/1).

5- سورة آل عمران، آية: 110.

6 - سورة التوبة، آية: 71.

7- سورة المائدة، آية: 79.

8- سورة الأعراف، آية: 165.

9- مجموع فتاوى ابن تيمية (306/28 - 307).

4. الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (1).

قال ابن جرير: "يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة، يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان". (2)

وقال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا}. (3)

قال ابن سعدي: "وهذا يدل على حكمة الجهاد؛ فإن المقصود منه إقامة دين الله، أو ذب الكفار المؤذنين للمؤمنين البادين لهم بالاعتداء عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله وإقامة الشرائع الظاهرة". (4)

وقال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}. (5)

قال ابن كثير: "أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده، بعد قيام الحجة عليه". (6)

قال شيخ الإسلام: "ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد، كتاب يهدي به وحديد ينصره، فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين". (7)

1- سورة الأنفال، آية: 39.

2- جامع البيان للطبري (200/2).

3- سورة الحج، آية: 40.

4- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص 489).

5- سورة الحديد، آية: 25.

6- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (315/4).

7- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (36/35).

5- رد البدع والأهواء:

عن عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»⁽¹⁾.

قال النووي: "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات"

وظهور البدع له مضار على الدين نفسه، مثل خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله، والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع، والثاني سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها، ويتجلى هذا في بدع أهل الطرق وغيرها، مما يصور الدين تصويراً ياباه ما للدين من جمال وجلال، وكثيراً ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين من النفوس، وتصير هي الدين المتبع عند الناس، وبقدر ذبوعها يكون اندراس الدين، وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة وانحرف عنها المتدينون⁽²⁾.

6- إقامة حد الردة:

عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من بدل دينه فاقتلوه»⁽³⁾. قال شيخ الإسلام: "وأما المرتد فالمبيح عنده (يعني عند أحمد) هو الكفر بعد الإيمان، وهو نوع خاص من الكفر، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص، ويمنعهم من الخروج عنه"⁽⁴⁾.

1- أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح جور (2697)، عن عائشة أم المؤمنين
2- البدعة: أسبابها ومضارها (ص 57)، محمود شلتوت، بواسطة علم أصول البدع، ص 287 لعلي بن حسن الحلبي. (الناشر مكتبة ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى، عام 1408 هجرية).

3- أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمحاربين، باب قتل المرتد والمرتدة: (6922). من حديث بن عباس
4- مجموع فتاوى ابن تيمية، (102/20).

مقاصد الشريعة في حفظ النفس:

حقّ النفس حقّ مقدس في نظر الشريعة الإسلامية، فلقد خلق الله الإنسان، وألبسه ثوب الكرامة، وفضّله على كثير ممّن خلق بالعقل، والعلم، والبيان، والنطق، والشكل والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، والقامة المعتدلة، وشمله بالرعاية والعناية وهو نطفة في داخل الرحم وفي جميع أطواره إلى أن صار خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (1).

وهذا الوعيد الذي اشتملت عليه هذه الآية، كافٍ في حرمة النفس، وعدم جواز الاعتداء عليها، والآيات المحرمة لقتل النفس بغير حق كثيرة، ولكن وعيد هذه الآية أشد من غيرها من الآيات، فلنكتفٍ بها [راجع تفسير الآية في كتب التفسير، ومنها الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير].

حفظ النفس هو حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً؛ لأنّ العالم مركّب من أفراد الإنسان، وفي كلّ نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم، وليس المراد حفظها بالقصاص، كما مثّل بها الفقهاء، بل نجد القصاص هو أضعف أنواع حفظ النفوس؛ لأنّه تدارك بعد الفوات بل للحفظ أهمية عن التلف قبل وقوعه، مثل مقاومة الأمراض السارية، وقد منع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الجيش من دخول الشام لأجل طاعون عاموس، والمراد النفوس المحترمة في نظر الشريعة، وهي المعبر عنها بالمعصومة الدم.

ويشتمل أمر المحافظة على مصلحة النفس على طريقتين:

الطريق الأوّل: في طرق المحافظة على النفس من جانب الوجود. ويتضمّن وضع الضمانات لوجود وحياة الإنسان واستمراره، وبيان المصالح والمضار له في تحصيل مطالبه، وبيان حالات الضيق والسّعة، والانتقال من العسر إلى اليسر بمقتضى ما وضع له من مبادئ وقواعد في الشريعة الإسلامية.

وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم الاعتداء على النفس، والوعيد عليه، من ذلك: حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : «أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال: «لا

3- سورة النساء، آية: 93.

يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»⁽¹⁾.

والطريق الثاني: في المحافظة على مقصد النفس من جانب عدم، ويتضمن تحريم الاعتداء على الأنفس، والأطراف، ومشروعية القصاص في الأنفس والأطراف، وأحكام القتل الخطأ وعلاقتها بالمحافظة على النفس، وتحريم الانتحار وغيرها.

فقد حرّمت الشريعة الإسلامية الاعتداء على النفس بغير حق، واعتبرت هذا الفعل من أعظم المفاسد على ظهر الأرض، ومن أكبر الكبائر، وأنكر المنكرات بعد الكفر بالله، وجاء ذلك التحريم في آيات كثيرة، وأحاديث عديدة ومتنوعة نذكر منها: قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}⁽²⁾، وقال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ}⁽³⁾. وقال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}⁽⁴⁾. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}⁽⁵⁾.

وروى عبد الله بن عمر، - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - : «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دماً حراماً». وقال ابن عمر: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»⁽⁶⁾.

وفي حديث معاوية - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - : «كل ذنب عسى أن يغفره الله إلا الرجل يقتل المؤمن متعمداً، أو الرجل يموت كافراً»⁽⁷⁾.

قال العلامة ابن العربي: [وأهم قواعد الشرائع حماية الدماء من الاعتداء، وحياطته بالقصاص كفاً وردعاً للظالمين الجائزين].

فبعد أن أوضحت الشريعة الإسلامية جريمة الاعتداء على النفس وحرمتها تحريماً قاطعاً -

1- رواه البخاري (38/8)، كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله عن ابن عباس

2 سورة الإسراء، آية: 33.

3 سورة الإسراء، آية: 31.

4 سورة النساء، آية: 94.

5 سورة المائدة، آية: 87.

6 - رواه البخاري (35/8)، وراجع فتح الباري (188/12). باب الدييات عن عبد الله بن عمر

7 رواه النسائي (75/7) باب تحريم القتل عن معاوية بن صخر برقم 3341

صار معلوماً بالضرورة للجميع، رتبت بعد ذلك العقوبات المناسبة لكل فعل مع ملاحظة الدوافع والآثار. قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} (1)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ} (2). وقال تعالى: {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا} (3). فهذه الآيات بيّنت حكم القصاص في النفس والأطراف والجروح، فلولا القصاص لأهلك الناس بعضهم بعضاً اعتداءً واستيفاءً، فكان القصاص دفعاً لمفسدة التعدي على الدماء بالجناية.

عقوبة قتل النفس:

قتل النفس بغير حق من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، ولا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً، وهو ذنب عظيم موجب للعقاب في الدنيا والآخرة.

1- قال الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (4).

2- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أكبر الكبائر: الإشراف بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال: وشهادة الزور» (5).

3- عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة» (6).

* المؤمنون تتكافأ دماؤهم، فهم متساوون في الدية والقصاص، فليس أحد أفضل من أحد، لا في النسب، ولا في اللون، ولا في الجنس.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (1).

1 سورة البقرة، آية: 179.

2 سورة البقرة، آية: 178.

3 سورة المائدة، آية: 45.

4- سورة النساء، آية: 93.

5- أخرجه البخاري برقم (6871)، كتاب الادب باب عقوق الوالدين عن أنس بن مالك

6- أخرجه البخاري، باب ما يباح به دم المسلم برقم 6878. عن عبد الله بن مسعود

فإن قتل النفس بغير وجه حق، من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وقد نهى الله - تعالى - عنه في كتابه فقال: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}. (2)

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: اجتنبوا السبع الموبقات... - وعدّها منها -... قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

فمن قتل مسلماً متعمداً قتلته، فإنه ينتظره من الوعيد ما ذكره الرب - عز وجل - في قوله: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. (3)

والقصاص واجب على من قتل مسلماً، إلا أن يعفو أولياء القتيل، أو يقبلوا بالدية، وإن كان القتل خطأ أو شبه عمد فإن الواجب الدية، والكفارة، وهي: تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، قال تعالى: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}. (4)

تحرير الانتحار:

لا يخفى أن حق الحياة حق خالص لله تعالى؛ ومن هنا حرّم على الفرد أن يعرض نفسه للتهلكة، كما حرّم الانتحار؛ لأنّ حياة الإنسان ليست ملكاً خالصاً له، وإنما هي حق لباريها وخالقها. ولقد جاءت الآيات والأحاديث بتحريم جميع وسائل الانتحار، مع التهديد والوعيد الشديد لمن يلج إليه. قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (5)، وقال تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (6) وقال - صلى الله عليه وسلم - : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَنْتَخِعُ بِهَا بَطْنُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ

7- سورة الحجرات، آية: 13. 1

1 سورة الإسراء، آية: 33 ..

2- سورة النساء، آية: 93 ..

3- سورة النساء، آية: 92 ..

5 سورة النساء، آية: 29.

6 سورة البقرة، آية: 195.

قَتَلَ نَفْسَهُ بِسَمِّ فَسْمُهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ فَوْقِ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». (1)

فهذا الحديث يدل على حُرمة قتل الإنسان نفسه، ويدل على الوعيد الشديد المترتب على قتل النفس.

قال الإمام الشاطبي: [ونفس المكلف داخلة في هذا الحق، أي حق الله الخالص إذ ليس له التسليط على نفسه، ولا على عضو من أعضائه بالإتلاف]، وخلاصة القول: إن الشريعة الإسلامية وضعت تشريعات حكيمة للمحافظة على أنفس الناس وأطرافهم من الاعتداء عليها، وجعلت لذلك عقاباً رادعاً زاجراً هو القصاص.

كما رتب على القتل الخطأ بعض العقوبات التي تجعل الإنسان يُراعي في تصرفاته وأفعاله الحكمة واليقظة، ويترفع عن التساهل وعدم الحيطة، كما حرمت قتل النفس - الانتحار - تحريماً قاطعاً، وبهذا التشريع الحكيم حافظ الشرع على نفوس الناس، وأعضائهم.

مقاصد الشريعة في حفظ العرض والنسل:

المراد بالعرض الشرف، والأصل أن المؤمن مصون شرفه لا يجوز تناوله بما يقدر فيه؛ فلا يجوز سب المؤمن أخاه المؤمن، بل يجب تنزيه لسانه عن السب واللعن والشتيم، حتى لغير المسلم، كما تدل على ذلك عموم الأدلة.

روى أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه -: أن رسول الله - عليه صلاة الله وسلامه - قال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً» (2).

وفي حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه -: أن رسول الله - عليه صلاة الله وسلامه - قال: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء» (3).

ولذلك نهى الله - سبحانه - عن التنازع بالألقاب والسخرية والغيبة والنميمة. كما قال تعالى: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ

6- رواه وأخرجه الإمام البخاري برقم (1282) في باب تحريم قتل النفس من حديث أبي هريرة

1- رواه مسلم، في كتاب الشهادات عن أبي هريرة

2- رواه البخاري في الادب المفرد برقم 332 عن ابن مسعود.

يُنْتَبِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ. (1)

وقد حرم الله - سبحانه - الأعراض كما حرم الدماء والأموال، وخطب بذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - في آخر حياته والمسلمون في أعظم اجتماع لهم في حجة الوداع. ومما قال في خطبته تلك: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب». (2)

ومن أشد السب ما يمس العرض من القذف بالزنا الذي هو من كبائر الذنوب، حرمه الله - تعالى - وحرمه رسوله - عليه صلاة الله وسلامه - وفرض الله على متعاطيه عقوبة زاجرة في الدنيا؛ وهي جلد القاذف ثمانين جلدة، إذا لم يأت بأربعة شهودٍ عدلٍ يشهدون على صدق ما يقول، وإهانتة بين الأمة بالحكم عليه بالفسق، وعدم قبول شهادته لسقوط عدالته. فأصبح هو فاقداً للشرف، بدلاً ممن أراد الطعن في شرفه، جزاءً وفاقاً. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (3)

وحذر الله - سبحانه - المؤمنين من الوقوع في عرض المسلم ورميه بما ليس فيه، وبين أن مرتكب ذلك ينال جزاءه في الآخرة، وليس في الدنيا فقط. فقال تعالى: ﴿إِذِ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. (4)

وهذه الآيات نزلت في قصة أم المؤمنين التي رماها رأس النفاق عبد الله بن أبي، وقلة ممن تبعه من الصحابة الذين تابوا إلى الله، وهي توجب على الحاكم المسلم أن يقيم الحدين على من

3- سورة الحجرات، آية: (11.12)..

1- رواه البخاري برقم (1-37)، كتاب الفتن عن ابن عباس

2- سورة النور، آية: 4..

3- سورة النور، الآيات: (15-19)..

يتهمها - رضي الله عنها - بما برأها الله منه: حد القذف، وحد الكفر بآيات الله الصريحة في تبرئتها - رضي الله عنها -.

والقذف فيه جناية على الرجل والمرأة المتهمين، وعلى أسرتهم، وأقاربهم، وعلى المجتمع بأسره، وفيه طعن في نسب الولد الذي اتهمت أمه بالزنا؛ ولذلك ناسب ذكر هذا المبحث في نهاية هذا الفصل بعد إثبات أن حفظ العرض ضروري يجب حفظه، كما يجب حفظ النسل.

قال ابن قدامة - رحمه الله -: "القذف هو الرمي بالزنا، وهو محرم بإجماع الأمة. والأصل في تحريمه الكتاب والسنة".

أما الكتاب فقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. (1)

وأما السنة فقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». (2)

1. الترغيب في تكثير النسل:

عن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «لا»، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم» (3).

قال الطيبي: "وفيه فضيلة كثرة الأولاد؛ لأن بها يحصل ما قصده النبي - صلى الله عليه وسلم - من المباهاة" (4).

قال المناوي: "لا ينتظم أمر المعاش حتى يبقى بدنه سالمًا، ونسله دائمًا، ولا يتم كلاهما إلا بأسباب الحفظ لوجودهما، وذلك ببقاء النسل، وقد خلق الغذاء سببًا للحيوان، وخلق الإناث محلًا

1- سورة النور، آية: 23.

2- المعنى، لابن قدامة (9-83)، والحديث رواه البخاري (3-195) عن أبي هريرة .

3- أخرجه أبو داود في النكاح (2050)، باب الترغيب في تكثير النسل عن معقل بن يسار

4- شرح الطيبي على المشكاة (6/226). اسم المؤلف: الحسين بن محمد الطيبي.

للحراثة، لكن لا يختص المأكول والمنكوح ببعض الأكلين والناكحين بحكم الفطرة، ولو ترك الأمر فيها سدى من غير تعريف قانون الاختصاصات لتهاوشوا وتقاتلوا، وشغلهم ذلك عن سلوك الطريق، بل أفضى بهم إلى الهلاك، فشرح الله قانون الاختصاص بالأموال في آيات نحو المبيعات، والمداينات، والمواريث، وموجب النفقات والمنكاحات ونحو ذلك، وبين الاختصاص بالإناث في آيات النكاح ونحوها" (1).

2. الترغيب في النكاح:

قال الإمام البخاري: "باب الترغيب في النكاح؛ لقوله تعالى: {فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} (2) (3).

قال الحافظ: "وجه الاستدلال بالآية أنها صيغة أمر تقتضي الطلب، وأقل درجاته الندب فنثبت الترغيب"

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لنا النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء». (4)
قال النووي: "وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه، وتاقت إليه نفسه، وهذا مجمع عليه" (5).
قال الغزالي في بيان فوائد النكاح: "الفائدة الأولى وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل، وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس" (6).

3. التحذير من التبتل والرغبة عن النكاح:

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: ردَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا (7).

1- فيض القدير (242/3). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994 م.

2- سورة النساء، آية: 3.

3- صحيح البخاري في كتاب النكاح (5/9) مع الفتح.

4- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من استطاع الباءة فليتزوج» (5065). من

حديث بن مسعود

5- شرح صحيح مسلم، (172/9). كتاب النكاح عن بن مسعود

6- إحياء علوم الدين (75/2)، أبو حامد الغزالي: دار المعرفة - بيروت ط 1.

7- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء (5073). من حديث سعد بن أبي وقاص

قال الحافظ: "والحكمة في منعهم من الاختصاص إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل، فيقل المسلمون بانقطاعه، ويكثر الكفار، فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية"

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (1).

قال الحافظ: "وقوله: «فليس مني» إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى «فليس مني» أي: على طريقي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتنتعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى «فليس مني» ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر، وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه"

هذا بالنسبة لمن ترك النكاح تنبلاً، وانشغالاً بالعبادة، فأما من تركه لعدم القدرة البدنية، أو المالية، فبين العلماء حكمه كما يلي.

قال ابن قدامة: "القسم الثالث: من لا شهوة له؛ إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين، أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه، ففيه وجهان: أحدهما: يستحب له النكاح.

والثاني: التخلي له أفضل؛ لأنه لا يحصل مصالح النكاح، ويمنع زوجته من التحسين بغيره ويضر بها، ويحبسها على نفسه، ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها، ويشغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه، والأخبار تحمل على من له شهوة لما فيها من القرائن الدالة عليها" (2).

1 - أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (5063). عن أنس بن مالك

2 - المغني لابن قدامة (343/9).

4. تحريم قتل الأولاد وإجهاض الحوامل:

قال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }.

وقال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقِ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا

كَبِيرًا } (1).

قال القاسمي: " { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } لإفضائه إلى تخريب العالم، وأي خطأ أكبر

من ذلك" (2).

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ } (3).

قال ابن كثير: "قوله: { وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ } هذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية

يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين كما يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح

نفسها؛ لئلا تحبل إما لغرض فاسد، أو ما أشبهه" (4).

وقد أوجب الشرع الضمان على من قتل جنيناً في بطن أمه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرح

جنينها فقاضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها بغرة عبدٍ أو أمة (5).

وعن المغيرة بن شعبه عن عمر - رضي الله عنه - أنه استشارهم في إملاص (6) المرأة، فقال

المغيرة: قضى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالغرة عبد، أو أمة، قال: انت من يشهد معك،

فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي - صلى الله عليه وسلم - قضى به (7).

1- سورة الإسراء، آية: 31.

2- محاسن التأويل (224/10). تأليف محمد جمال الدين القاسمي - تحقيق محمد باسل عيون السود، (الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط- الأولى عام 1418 هجرية).

3- سورة الممتحنة، آية: 12.

4- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (379/4).

5- أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة (6904)، ومسلم في كتاب القسامة (1681). عن أبي هريرة

6- الإملاص: قال ابن الأثير: "هو أن تزلق المرأة الجنين قبل وقت الولادة" (البداية والنهاية لابن كثير (356/4). تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر دار الحديث القاهرة ط- الأولى).

7- أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة (6905). عن المغيرة بن شعبه

قال ابن تيمية في الجواب عن قضية امرأة تعمدت إسقاط الجنين إما بضرب، أو شرب دواء: "يجب عليها بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتفاق الأئمة غرة: عبد، أو أمة، تكون لورثة الجنين غير أمه" (1).

وينبه هنا إلى أن إسقاط الحمل على نوعين كما يأتي.

قال الشيخ محمد بن عثيمين: "أما استعمال ما يسقط الحمل، فهو على نوعين:

الأول: أن يقصد من إسقاطه إتلافه، فهذا إن كان بعد نفخ الروح فيه، فهو حرام بلا ريب؛ لأنه قتل نفس محرمة بغير حق، وقتل النفس المحرمة حرام بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، وإن كان قبل نفخ الروح فيه فقد اختلف العلماء في جوازه، فمنهم من أجازوه، ومنهم من منعه، ومنهم من قال: يجوز ما لم يكن علقه، أي: ما لم يمض عليه أربعون يوماً، ومنهم من قال: يجوز ما لم يتبين فيه خلق إنسان، والأحوط المنع من إسقاطه حينئذ، إلا إن مضى عليه زمن يمكن أن يتبين فيه خلق إنسان فيمنع.

الثاني: ألا يقصد من إسقاطه إتلافه، بأن تكون محاولة إسقاطه عند انتهاء مدة الحمل، وقرب الوضع، فهذا جائز بشرط ألا يكون في ذلك ضرر على الأم ولا على الولد، ولا يحتاج الأمر إلى عملية" (2). (3)

والإجهاض له آثار على النسل، فمن ذلك:

- 1) هلاك عدد غير معلوم من أفراد البشرية قبل أن يخرجوا إلى نور الحياة.
- 2) ذهاب عدد غير يسير من الأمهات ضحية الموت أثناء عملية الإجهاض.
- 3) حدوث مؤثرات مرضية للمرأة لا يستهان بعددها تؤدي إلى عدم الإنجاب مستقبلاً. (4)
- 5- الوعيد الشديد على نفي النسب أو إثباته على خلاف الواقع:

قال تعالى: {أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} (1).

1- مجموع الفتاوى (161/34). المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد للطباعة عام النشر: 1416هـ/1995م.
2- رسالة في الدماء الطبيعية ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (332/11 - 333).
3 رابط (www.islamport.com).
4- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص 276).

قال ابن كثير: "أمر - تعالى - برد أنساب الأعدياء إلى آبائهم إن عرفوا، فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضاً عما فاتهم من النسب".⁽²⁾

وقال الشوكاني: "صرح - سبحانه - بما يجب على العباد من دعاء الأبناء للأبائ".⁽³⁾

وعن أبي ذرٍ - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار»⁽⁴⁾ وعن وائلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن من أعظم الفري أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يقل»⁽⁵⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر»⁽⁶⁾.

وعن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة - رضي الله عنهما - كلاهما يقول: سمعته أذناي ووعاه قلبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»⁽⁷⁾.

قال الحافظ: "وفي الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف، والادعاء إلى غيره"

قال بعض الشراح: "سبب إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله، كأنه يقول: خلقتي الله من ماء فلان، وليس كذلك لأنه إنما خلقه من غيره"

1 - سورة الأحزاب، آية: 5.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (514/3).

3- فتح القدير للشوكاني (261/4)، الناشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت عام 1414 هجرية الطبعة الأولى.

4- أخرجه البخاري في كتاب المناقب، (3508)، ومسلم في الإيمان (61). من حديث أبي ذر رضي الله عنه

5- أخرجه البخاري في الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه (6768)، وعن وائلة بن الأسقع

6- أخرجه البخاري في الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه (6768)، ومسلم في الإيمان (62). عن أبي هريرة

7- أخرجه البخاري في الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه (6768)، ومسلم في الإيمان (63). عن سعد بن أبي وقاص

5- تحريم الزنا وإيجاب الحد فيه:

قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (1).

قال ابن جرير: "وساء طريق الزنا طريقاً؛ لأنه طريق أهل معصية الله والمخالفين أمره، فأسوأ به طريقاً يورد صاحبه نار جهنم" (2).

قال ابن سعدي: "ووصف الله الزنا وقبحه بأنه كان فاحشة أي: إثماً يستفحش في الشرع، والعقل، والفطر؛ لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله، وحق المرأة، وحق أهلها، أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفساد" (3).

وقد أوجبت الشريعة الحد في هذه الجريمة.

قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِيَ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} (4).

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (5).

قال شيخ الإسلام: "وأما الزاني فإن كان محصناً فإنه يرمم بالحجارة حتى يموت، كما رجم النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن مالك الأسلمي، ورجم الغامدية، وغير هؤلاء، ورجم المسلمون بعده، وإن كان غير محصن فإنه يجلد مائة جلدة بكتاب الله، ويغرب عاماً بسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -" (6).

ومن مقاصد الشريعة في تحريم الزنا:

(1) تحقيق العبودية لله - تعالى - والاستقامة على شرعه.

1 - سورة الإسراء، آية: 32.

2- جامع مع البيان محمد الشيرازي الشافعي (80/15). تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى عام 1424 هجرية.

3- تيسير الكريم الرحمن (ص 456). للسعدي تحقيق عبد الرحمن بن معلا الويحق (الناشر دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ط - الأولى 1422 هجرية 2010 م).

4- سورة النور، آية: 2.

5- أخرجه مسلم في كتاب الحدود، (1690). عن عبادة بن الصامت

6- مجموع فتاوى ابن تيمية (333/28)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف المدينة المنورة عام 1416 هـ).

(2) تطهير المكلف من الذنوب والآثام وردع غيره من الوقوع فيها.

(3) حماية الفرد والمجتمع.⁽¹⁾

6. تحريم اللواط وإيجاب الحد فيه:

قال شيخ الإسلام: "وأما اللواط فمن العلماء من يقول: حده كحد الزنا، وقد قيل: دون ذلك، والصحيح الذي اتفق عليه الصحابة أن يقتل الاثنان الأعلى والأسفل، سواء كانا محصنين أو غير محصنين، فإن أهل السنن رووا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽²⁾

وروى أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في البكر يوجد على اللوطية قال: (يرجم)⁽³⁾ ولم يختلف الصحابة في قتله، ولكن تنوع فيه، فرُوي عن الصديق - رضي الله عنه - أنه أمر بتحريقه، وعن غيره قتله، وعن بعضهم أنه يلقي عليه جدار حتى يموت تحت الهدم، وقيل: يحبسان في أنتن موضع حتى يموتا، وعن بعضهم أنه يرفع على أعلى جدار في القرية ويرمى منه، ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط، وهذه رواية عن ابن عباس، والرواية الأخرى قال: يرجم، وعلى هذا أكثر السلف، قالوا: لأن الله رجم قوم لوط، وشرع رجم الزاني تشبيهاً بقوم لوط، فيرجم الاثنان، سواء كانا حريين أو مملوكين، أو كانا أحدهما مملوكاً، والآخر حرّاً إذا كانا بالغين، فإن كان أحدهما غير بالغ عوقب بما دون القتل، ولا يرجم إلا البالغ⁽⁴⁾.

7. تحريم القذف وإيجاب الحد فيه:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}⁽⁵⁾.

1 - حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب، تأليف د. عابد بن محمد السفيناني، ص 42 وما بعدها.

2- أخرجه أبو داود في الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط (4462)، الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط (2561) عن ابن عباس

3- أخرجه أبو داود في الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط (4463)، وصححه الألباني من حديث ابن عباس

4- مجموع الفتاوى، (334/28-335).

5- سورة النور، آية: 23.

قال ابن كثير: "هذا وعيد من الله - تعالى - للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات" (1) والقذف كبيرة من الكبائر المنصوص عليها.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (2).

قال الحافظ: "في الآية بيان كون القذف من الكبائر بناء على أن كل ما توعد عليه باللعن، أو العذاب، أو شرع فيه حدٌ فهو كبيرة وهو المعتمد، وبذلك يطابق الحديث الآية المذكورة، وقد انعقد الإجماع على أن حكم قذف المحصن من الرجال حكم قذف المحصنة من النساء".
ولذا شرع الله - تعالى - الحد في هذه الجريمة؛ حفاظاً على أعراض المؤمنين والمؤمنات.
قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (3).

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة، وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلاً فكذاك يجلد قاذفه أيضاً، وليس فيه نزاع بين العلماء" (4).

وقال أيضاً: "فأوجب على القاذف إذا لم يبق البيعة على صحة ما قال ثلاثة أحكام أحدها: أن يجلد ثمانين جلدة، والثاني: أنه ترد شهادته أبداً، والثالث: أن يكون فاسقاً ليس يعدل لا عند الله ولا عند الناس" (5).

قال شيخ الإسلام: "ومن الحدود التي جاء بها الكتاب والسنة، وأجمع عليها المسلمون حد القذف، فإذا قذف الرجل محصناً بالزنا، أو اللواط، وجب عليه الحد ثمانون جلدة، والمحصن هنا هو الحر العفيف" (6).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (287/3).

2- أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب في المحصنات (6857)، ومسلم في كتاب الإيمان (146). من حديث أبي هريرة

3- سورة النور، آية: 4.

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (275/3).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (275/3).

6- مجموع فتاوى ابن تيمية (342/28).

فالقذف فيه جناية على الرجل والمرأة المتَّهمين، وعلى أسرتهما، وأقاربهما، وعلى المجتمع بأسره، وفيه طعن في نسب الولد الذي اتهمت أمه بالزنا؛ لذا جاء الشرع بتحريمه، وإيجاب الحد فيه صيانةً لشرف الفرد والمجتمع⁽¹⁾.

مقاصد الشريعة في حفظ العقل:

1. جعل الله العقل مناط التكليف:

قال الآمدي: "اتفق العقلاء على أن شرط المكلف أن يكون عاقلًا فاهمًا للتكليف؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال كالجماد، والبهيمة، ومن وجد له أصل الفهم لأصل الخطاب دون تفاصيله من كونه أمرًا، ونهيًا، ومقتضيًا للثواب، والعقاب، ومن كون الأمر به هو الله - تعالى - وأنه واجب الطاعة، وكون الأمور به على صفة كذا وكذا كالمجنون والصبي الذي لا يميز، فهو بالنظر إلى فهم التفاصيل كالجماد، والبهيمة، بالنظر إلى فهم أصل الخطاب، ويتعذر تكليفه أيضًا (1).
وإذا كان العقل هو مناط التكليف في الشريعة الإسلامية، فإن حفظه إذن ضرورة لا غنى عنها، ولا تستقيم حياة الناس من دون ذلك (2).

2. تحريم ما يفسد العقل:

مما يدل على عناية الشريعة الإسلامية بحفظ العقل، أنها حرمت كل ما من شأنه إفساد العقل، وإدخال الخلل عليه، وهذه المفسدات على قسمين:
أ- مفسدات حسية:

وهي التي تؤدي إلى الإخلال بالعقل، بحيث يصبح الإنسان كالمجنون الذي لا يعرف صديقًا من عدو، ولا خيرًا من شر، فيختل كلامه المنظوم، ويذيع سره المكتوم، وهذه المفسدات هي: الخمر، والمخدرات، وما شابهها (3).

قال تعالى: {لِيَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟ (4).

1- (الإحكام في أصول الأحكام -138/1-139)، المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد، حققها الشيخ أحمد شاكر ط-1، الناشر دار الأفاق بيروت).

2- الإسلام وضرورات الحياة (ص 112). د- عبد الله بن أحمد الأهدل ط - 2 (1410 هجرية 1990 م).

3- (مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص 237). محمد سعد بن أحمد مسعود اليوبي. الناشر دار الهجرة -

ط. 1 عام 1418 هجرية 1998 م).

4- سورة المائدة، الآيات: 90، 91.

قال الأستاذ سيد قطب في الظلال: إن غيبوبة السكر بأي مسكر تنافي اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم؛ ليكون موصولاً بالله في كل لحظة، مراقباً لله في كل خطوة، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملاً إيجابياً في نماء الحياة وتجديدها، وفي صيانتها من الضعف والفساد، وفي حماية نفسه، وماله، وعرضه، وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعته ونظامها من كل اعتداء، والفرد المسلم ليس متروكاً لذاته ولذاته، فعليه في كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة، تكاليف لربه، وتكاليف لنفسه، وتكاليف لأهله، وتكاليف للجماعة المسلمة التي يعيش فيها، وتكاليف للإنسانية كلها ليدعوها ويهديها، وهو مطالب باليقظة الدائمة لينهض بهذه التكاليف، وحتى حين يستمتع بالطيبات فإن الإسلام يحتم عليه أن يكون يقظاً لهذا المتاع فلا يصبح عبداً لشهوة أو لذة، إنما يسيطر دائماً على رغباته فيلبيها تلبية المالك لأمره، وغيبوبة السكر لا تتفق في شيء مع هذا الاتجاه.

ثم إن هذه الغيبوبة في حقيقتها إن هي إلا هروب من واقع الحياة في فترة من الفترات، وجنوح إلى التصورات التي تثيرها النشوة أو الخمار، والإسلام ينكر على الإنسان هذا الطريق، ويريد من الناس أن يروا الحقائق، وأن يواجهوها، ويعيشوا فيها ويصرفوا حياتهم وفقها، ولا يقيموا هذه الحياة على تصورات وأوهام... إن مواجهة الحقائق هي محك العزيمة والإرادة، أما الهروب منها إلى تصورات وأوهام فهو طريق التحلل، ووهن العزيمة، وتذابوب الإرادة، والإسلام يجعل في حسابه دائماً تربية الإرادة، وإطلاقها من قيود العادة القاهرة والإدمان، وهذا الاعتبار كاف وحده من عمل الشيطان، مفسد لحياة الإنسان" (1).

فالخمر من أعظم أسباب التعدي على الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحمايتها، فكم حصل بسببها من سفك للدماء المحرمة، وانتهاك للأعراض، وإتلاف للأموال، وإفساد للعقول، وتقويت لمصالح الدين، ومنشأ ذلك هو اختلال العقل المدرك للقائد للإنسان إلى مصالحه. (2).

1- في ظلال القرآن ، (977/2).

2- مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، المؤلف: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، الناشر دار الهجرة. ط-1 (ص 223، 229).

ب- مفسدات معنوية:

وهي ما يطرأ على العقول من تصورات فاسدة في الدين، أو الاجتماع، أو السياسة، أو غيرها من أنشطة الحياة، فهذه مفسدة للعقول من حيث كون الإنسان قد عطل عقله عن التفكير السليم الذي يوافق الشرع، فعقله من هذه الحيثية كأنه فاسد لا يفكر، بل كأنه معدوم بالمرة؛ لذا نعى الله في كتابه على الكفار، حيث عطلوا عقولهم عن التفكير في آيات الله القرآنية وآياته الكونية، فلم يستفيدوا منها في الوصول إلى الحق، قال تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} (1).

قال ابن سعدي: "سجل - تعالى - على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول والأسماع، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة التي لا تسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، بل هم أضل من الأنعام" (2).

فالعقل إن لم يجعل مطية للوصول إلى فهم كلام الله، وكلام رسوله، والتدبر في خلق الله وبديع صنعته فإن وجوده كعدمه، فيجب تسخير العقل في الوصول إلى الحق، والمحافظة عليه من كل دخيل، أو مذهب هدام، أو نحلة باطلة تغير مفهوماته الشرعية (3).

3- عقوبة شرب المسكر:

قال الإمام البخاري في صحيحه: "باب ما جاء في ضرب شارب الخمر"، ثم أخرج بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين (4).

وعن السائب بن يزيد - رضي الله عنه - قال: كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإمرة أبي بكر فصدراً من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا، ونعالنا، وأرديتنا حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين، حتى إذا عتوا أو فسقوا جلد ثمانين (5).

1- سورة الفرقان، آية: 44.

2- تيسر الكريم الرحمن للسعدي، (ص 584).

3- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص 243-244).

4- صحيح البخاري: كتاب الحدود (6773)، وأخرجه مسلم - أيضاً - في الحدود (1706). من حديث أنس

5- أخرجه البخاري في الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال (6779). من حديث السائب بن يزيد

قال ابن قدامة في المغني: "يجب الحد على من شرب قليلاً من المسكر أو كثيراً، ولا نعلم بينهم خلافاً في ذلك في عصير العنب غير المطبوخ" (1).

وقال ابن حزم: "واتفقوا أن من شرب نقطة خمر وهو يعلمها خمرًا من عصير العنب وقد بلغ ذلك حدَّ الإسكار، ولم يتب ولا طال الأمر وظفر به ساعة شربها، ولم يكن في دار الحرب أن الضرب يجب عليه إذا كان حين شربه لذلك عاقلًا مسلمًا بالغًا غير مكره ولا سكران، سكر أو لم يسكر" (2).

وقال ابن حزم أيضًا: "واتفقوا أن الحد أن يكون مقدار ضربه في ذلك أربعين، واختلفوا في إتمام الثمانين، واتفقوا أنه لا يلزمه أكثر من ثمانين" (3).

مقاصد الشريعة حفظ المال:

للمال في الإسلام مكانة فريدة وفلسفة متميزة انفرد بها عن باقي المذاهب والأديان، فالملكية الحقيقية للمال في الإسلام إنما هي لله جل شأنه، قال تعالى: {وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} (4) وقد أضاف الله - تعالى - المال إلى نفسه {مالِ اللَّهِ}، وهي إضافة تشريف وتعظيم، تعطي دلالة على أهمية هذا المال ومكانته ومدى حرمة.

وفي الوقت ذاته أعطى الله - تعالى - لعباده حرية التصرف في هذا المال، ومنحهم إرادة الاختيار في ضوء الأحكام الشرعية، والمقاصد الكلية، والقواعد الفقهية التي تضبط التعامل به؛ كي لا يتحول نعمة، أو يكون أداة قهر وظلم للناس بين بعضهم البعض، بل يكون نعمة كما أراد الله تعالى، ينعم بها الإنسان في الدنيا، وتدخر له الأجر يوم الحساب، قال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (5) وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ

1- المغني لابن قدامة، (497/12).

2- مراتب الإجماع (ص133)، ابن حزم، الناشر دار بن حزم بيروت ط.1 (1419هـ - 1998م).

3- مراتب الإجماع، (ص133).

4- سورة النور، آية: 33.

5- سورة البقرة، آية: 188.

مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا⁽¹⁾ وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».⁽²⁾

في مجال التعامل بين الناس بالأموال نسب الله - تعالى - المال إلى بني البشر {أموالكم} - كما سبق في الآيات الكريمة - كي يحرصوا عليه ويراعوا حق الله، وحق الناس فيه، ويحرصوا عليه من التبذير والهدر الحرام.

وإلى ذلك جعل الله - تعالى - الناس مستخلفين في هذا المال ضمن خلافتهم الكبرى في هذا الكون، قال تعالى: {آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}.⁽³⁾

وإذا كان المال مال الله، وكان الناس جميعاً عباد الله، وكانت الحياة التي يعملون فيها ويعمرونها بمال الله، هي لله، كان من الضروري أن يكون المال - وإن رُبط باسم شخص معين لجميع عباد الله، يحافظ عليه الجميع، وينتفع به الجميع، وقد أرشد إلى ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} ⁽⁴⁾ فلا يجوز شخص بالمال على شخص، ولا يمنع الغني حق الفقير، بل كفل الإسلام للفقير أن يطالب بحقه، ولم يعد ذلك من خوارم المروءة، أو مما يذهب بماء الوجه.

وإذا كان المال هو عصب الحياة، وقد أراد الإسلام ألا يكون دُولَةً بين الأغنياء دون الفقراء، فقد فرض الإسلام على الغني حقاً في ماله يُردُّ إلى الفقير، وفي الوقت ذاته لم يمنع الغني من تملك المال، ما دام يؤدي حق الله فيه.

ولعل بهذا - كما يقول الإمام محمود شلتوت في مجلة الوعي الإسلامي ⁽⁵⁾ بحق - يظهر معنى "الوسطية" التي حل بها الإسلام المشكلة المالية، تلك المشكلة التي ظل بها العالم في أمسه وحاضره، يتردد بين طرفي الإفراط بالطغيان المالي، والتفريط بإلغاء الملكية الفردية، وبذلك تقطعت أواصر الرحم الإنساني، وسخر الأغنياء الفقراء، وثار الفقراء على الأغنياء، ونشبت

1 سورة النساء، آية: 29.

2 رواه البخاري من حديث عمرو بن العاص، باب الأدب المفرد، رقم 297، وأخرجه أحمد عن عمرو بن العاص برقم 17417.

3 سورة الحديد، آية: 7.

4 سورة البقرة، آية: 29.

5- مجلة الوعي الإسلامي، بتاريخ 3 سبتمبر 2010.

الحروب المدمرة، وأفلست دعاوى المدعين الذين يخدمون أنفسهم في واقع الأمر، ويتظاهرون بخدمة المجتمع الإنساني.

مكانة المال في الإسلام:

هذا، ومما يوضح مكانة المال الكبيرة في الإسلام أن علماءنا جعلوه من الكليات الخمس، أو الست على خلاف - لمقاصد الشريعة الإسلامية - وهي كليات ليست خاصة بالإسلام فحسب، إنما هي موجودة في كل ديانة وكل ملة، ولا تقوم الحياة إلا بها، يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى -: تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية.

والثاني: أن تكون حاجية. والثالث: أن تكون تحسينية. فأما الضرورية، فمعناها: أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين. والحفظ لها - يتابع الشاطبي - يكون بأمرين أحدهما: ما يقيم أركانها، ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود .

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع، أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

ويعلق الشيخ عبد الله دراز على ذلك قائلاً: "مراعاة الضروريات من جانب الوجود تكون بفعل ما به قيامها وثباتها، ومراعاتها من جانب العدم تكون بترك ما به تنعدم، كالجنايات، فلا يقال: إن مراعاتها من جانب الوجود بمثل الصلاة، وتناول المأكولات مثلاً هو مراعاة لها من جانب العدم، إذ بفعل هذه الأشياء التي بها الوجود والاستقرار لا تنعدم مبدئياً أو لا يطرأ عليها العدم، فما كان مراعاة لها من جانب الوجود هو أيضاً مراعاة لها من جانب العدم بهذا المعنى⁽¹⁾

1- مقاصد الشريعة، تأليف حمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، الناشر - دار الهجرة السعودية عام 1418 هجرية ط - الأولى.

وسائل حفظ المال من جانب الوجود:

ولقد شرع الإسلام وسائل لحفظ المال إيجاباً وتحصيلاً، كما شرع له وسائل لحفظه بقاءً واستمراراً. (1)

أو بتعبير الشاطبي: "جانب الوجود، وجانب العدم"، فمن وسائل الحفاظ على المال إيجاباً وتحصيلاً: (2)

1- الحث على السعي لكسب الرزق وتحصيل المعاش، فقد حث الإسلام على كسب الأموال، باعتبارها قوام الحياة الإنسانية، واعتبر السعي لكسب المال – إذا توفرت النية الصالحة وكان من الطرق المباحة – ضرباً من ضروب العبادة، وطريقاً للتقرب إلى الله قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} (3) وقال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ}. (4)

2- أنه رفع منزلة العمل، وأعلى من أقدار العمال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من عمل يده، وإن نبيَّ الله داودَ كان يأكلُ من عمل يده». (5)

وقرر حق العمل لكل إنسان وجعل من واجب الدولة توفير العمل لمن لا يجده، كما قرر كرامة العامل، وأوجب الوفاء بحقوقه المادية والمعنوية، يقول – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً ولم يوفه حقه». (6)

3- إباحة المعاملات العادلة التي لا ظلم فيها ولا اعتداء على حقوق الآخرين؛ ومن أجل ذلك أقر الإسلام أنواعاً من العقود كانت موجودة بعد أن نقاها مما كانت تحمله من الظلم، وذلك كالبيع، والإجارة، والرهن، والشركة، وغيرها، وفتح المجال أمام ما تكشف عنه التجارب

1- مقاصد الشريعة، تأليف حمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، الناشر – دار الهجرة السعودية عام 1418 هجرية ط – الأولى.

2- مجلة الوعي الإسلامي، عدد رقم 532، بتاريخ 3 سبتمبر 2010.

3- سورة الملك، آية: 15.

4- سورة الجمعة، آية: 10.

5- (رواه البخاري ج 3 – برقم 541). كتاب البيوع عن المقدم بن معدى كرب

6- رواه البخاري، في كتاب البيوع باب إثم من باع حراً برقم 1587 عن أبي هريرة

الاجتماعية من عقود، شريطة أن لا تتطوي على الظلم، أو الإجحاف بطرف من الأطراف، أو تكون من أكل أموال الناس بالباطل.

وكما شرع الإسلام تدابير شرعية لحفظ المال من ناحية الوجود، والتحصيل فقد شرع تدابير أيضاً لحفظ المال من ناحية البقاء والاستمرار، أو من ناحية العدم كما عبر الشاطبي، ومن ذلك:

1- ضبط التصرف في المال بحدود المصلحة العامة؛ ومن ثم حرم اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضر بالآخرين، ومنها الربا لما له من آثار تخل بالتوازن الاجتماعي، قال تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (1) وقال: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} (2).

2- كما حرم الاعتداء على مال الغير بالسرقة، أو السطو، أو التحايل، وشرع العقوبة على ذلك قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} (3).

وأوجب الضمان على من أتلف مال غيره قال - صلى الله عليه وسلم -: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، مَالُهُ، وَعَرْضُهُ، وَدَمُهُ، حَسَبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». (4)

3- منع إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة، وحث على إنفاقه في سبل الخير، وذلك مبني على قاعدة من أهم قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي، وهي أن المال مال الله، وأن الفرد مستخلف فيه ووكيل، قال تعالى: {وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} (5) {وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} (6)؛ ومن ثم كان على صاحب المال أن يتصرف في ماله في حدود ما رسمه له الشرع، فلا يجوز أن يفتن بالمال فيطغى بسببه؛ لأن ذلك عامل فساد ودمار، قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا} (7)، ولا يجوز له أن يبذر في غير طائل قال تعالى: {وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} (8)

1- سورة البقرة، آية: 375.

2- سورة البقرة، آية: 188.

3- سورة المائدة، آية: 38.

4- صحيح مسلم باب تحريم الظلم برقم 2564 عن أبي هريرة.

5- سورة الحديد، آية: 7.

6- سورة النور، آية: 33.

7- سورة الإسراء، آية: 13.

8- سورة الإسراء، آية: 26-27.

4 - سنّ التشريعات الكفيلة بحفظ أموال القُصّر، والذين لا يحسنون التصرف في أموالهم من يتامى وصغار حتى يبلغوا سن الرشد، ومن هنا شرع تنصيب الوصيّ عليه، قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (1) وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾. (2) ومن ذلك الحجرُ على البالغ إذا كان سيئ التصرف في ماله، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. (3)

5- تنظيم التعامل المالي على أساس من الرضا والعدل؛ ومن ثم قرر الإسلام أن العقود لا تمضي على المتعاقدين، إلا إذا كانت عن تراض وعدل؛ ولذلك حرم القمار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾. (4)

6- الدعوة إلى تنمية المال واستثماره حتى يؤدي وظيفته الاجتماعية، وبناء على ذلك حرم الإسلام حبس الأموال عن التداول، وحارب ظاهرة الكنز قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (5)

المقاصد الشرعية في الأموال:

أرجع الإمام محمد الطاهر ابن عاشور المقاصد الشرعية في الأموال كلها إلى خمسة أمور: رواجها، ووضوحها، وحفظها، وثباتها، والعدل فيها. (6).

وقال: إن الرواج هو دوران المال بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق، وهو مقصد عظيم شرعي، دل عليه الترغيب في المعاملة بالمال، ومشروعية التوثق في انتقال الأموال من يد إلى يد أخرى.

ومحافظة على مقصد الرواج شرعت عقود المعاملات؛ لنقل الحقوق المالية بمعاوضة أو بتبرع... وتسهيلاً للرواج شرعت عقود مشتملة على شيء من الغرر مثل: المغارسة، والسلم، والمزارعة، والقراض.

1- سورة النساء، آية:.

2- سورة البقرة، آية: 220.

3- سورة النساء، آية: 5.

4- سورة النساء، آية: 29.

5- سورة التوبة، آية: 34.

6- مجلة الوعي الإسلامي، بتاريخ 3.9.2010، عدد رقم 532.

ولأجل مقصد الزواج، كان الأصل في العقود المالية اللزوم دون التخيير إلا بشرط...

ومن وسائل رواج الثروة، القصد إلى استفاد بعضها، وذلك بالنفقات الواجبة على الزوجات والقرابة.

ومن وسائل رواج الثروة تسهيل المعاملات بقدر الإمكان، وترجيح جانب ما فيها من المصلحة على ما عسى أن يعترضها من خفيف المفسدة.

وأما وضوح الأموال فذلك إبعادها عن الضرر، والتعرض للخصومات بقدر الإمكان؛ ولذلك شرع الإشهاد والرهن في التداين.

وأما حفظ الأموال فأصله قوله تعالى: {لِيَأْيَهَا الَّذِينَ أَمْنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (1).

وأما إثبات الأموال فأرادت به تقرُّرها لأصحابها بوجه لا خطر فيه ولا منازعة، وأما العدل فيها فذلك بأن يكون حصولها بوجه غير ظالم، وذلك إما أن تحصل بعمل مكتسبها، وإما بعوض مع مالكةا، أو تبرع، وإما بإرث. (2)

أما العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، فقد فصل في كتاب مقاصد الشريعة المتعلقة بالمال تفصيلاً كبيراً، وقد تناول مقاصد المال من جهات خمس:

الأولى: مقاصد الشريعة المتعلقة بقيمة المال، ومنزلته، وذكر من المقاصد هنا:

إيجاب المحافظة على المال، والتحذير من الافتتان بالمال، والطغيان بسببه.

الثانية: مقاصد الشريعة فيما يتعلق بإنتاج المال، وذكر: الحث على إنتاج المال، وكسبه من طرقة المشروعة، وتحريم الكسب الخبيث، وأن اكتساب المال من الحرام لا تطهره الصدقة، وإيجاب تنمية المال بالطرق المشروعة، وتحريم إنتاج ما يضر، ونوه بمقصدتين أخريين:

1. الأول: تحقيق تمام الكفاية للفرد

2. والثاني: تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة

1- سورة النساء، آية: 29.

2 - مقاصد الشريعة، تأليف حمد سعد بن أحمد بن مسعود اليبوبي الناشر - دار الهجرة السعودية عام 1418 هجرية ط - الأولى.

الثالثة: مقاصد الشريعة فيما يتعلق باستهلاك المال، وذكر من المقاصد هنا: إباحة الطيبات، والإنكار على من حرمها، وترشيد استهلاك المال وإنفاقه، وتحريم الترف والحملة على المترفين، والمحافظة على البيئة ومكوناتها.

الرابعة: مقاصد الشريعة المتعلقة بتداول المال، وذكر:

ضبط المعاملات المالية بأحكام الشريعة، ومقاصد الشريعة في الثروة النقدية.

الخامسة: مقاصد الشريعة المتعلقة بتوزيع المال، وذكر: تحقيق العدل في توزيع المال بين الفئات والأفراد، وتمليك الفقراء والضعفاء بإيجاب الزكاة، واعتبارها ركناً من أركان الإسلام، والتقريب بين الفوارق، واحترام الملكية الخاصة للمال، ومنع الملكية الخاصة في الأمور الضرورية لعموم الناس، وتقدير قاعدة التكافل المعيشي في المجتمع، وتحرير الإنسان من نير الفقر، والسعي للقضاء عليه، والعناية بالمشكلات، أو الحاجات الطارئة.

وفي كل هذه المقاصد يفصل الشيخ في كلامه، ويوصل له من الكتاب والسنة مستبصرًا بالواقع، ومعتمدًا مقاصد الشريعة، ومراعياً مصالح الناس. (1)

وبهذه التشريعات كلها التي شرعها الإسلام للمال، وبذلك المقاصد التي وضع الشارع الأحكام الشرعية لتحقيقها، حفظ الإسلام المال وصانته عن الفساد والكساد، وضمن له النماء والرواج والبقاء، ولو استحضرننا هذه الأحكام وتلك المقاصد في ظل أزمتنا المالية والاقتصادية العالمية المعاصرة لأدى المال دوره باعتباره قيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية، وتحقيق أهدافها الحضارية والإنسانية..

حرمة التعدي على المال:

اهتم الإسلام بالأموال اهتماماً عظيماً، وحماها حتى جعل المال شقيق الروح، ومساوياً لها في الحرمة؛ فقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه». وقال أيضاً في خطبته المشهورة: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا». (2)

1- (مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت، رقم العدد 532، بتاريخ 3 سبتمبر 2010).
الترمذي برقم 2085. 2

فحمى المال من أن تمتد إليه أيدي العابثين، وتطلعات الطامعين، فهددهم بالويل، والشبور، وعظائم الأمور حبسًا، أو قطعًا، أو قتلاً، أو صلبًا، أو تشريدًا: {ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. (1)

كما نهى - سبحانه وتعالى - عن كل ما يجر إلى أكل أموال الناس بالباطل، فَحَرَّمَ التعامل بالربا، وجعله من أكبر الكبائر؛ لما يجلبه من الأحقاد والضغائن، وَحَرَّمَ المقامرة والرشوة ونحوهما، وَحَرَّمَ أكل أموال اليتامى والضعفاء، وأكل صدق المرأة إلا ما طابت به نفسها.

وصفوة القول: إن الاعتداء على أموال الناس بأي وجه من الوجوه حرام، سواء كان عن طريق الكذب، أو التحايل، أو المماطلة والنصب، أو جحد العارية، والغش في المعاملة، وأكل الأجور ومنعها أصحابها، إلى غير ذلك مما يستحل أصحاب النفوس الضعيفة.

وفي مقدمة هذه الكبائر: جريمة السرقة التي نهى عنها الإسلام وحذر منها، وتحريمها ثابت في كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح، وقد رتب الله - سبحانه وتعالى -

عليها حدَّ قطع اليد؛ مما يدل على أن فاعلها قد ارتكب كبيرة من الكبائر، وفعل جرمًا؛ فقال

تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (2).

فقد نصت هذه الآية الكريمة على أن عقوبة السارق قطع يده، ولا خلاف بين الفقهاء ممن يُعْتَدُّ بقولهم في أن المراد بالقطع في الآية الكريمة: {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} هو إبانة اليد وإزالتها؛ لأن لفظ القطع موضوع لها حقيقة لتبادرها منه، والتبادر إمارة الحقيقة، كما هو مقرر عند علماء اللغة:

قال ابن منظور في كتابه لسان العرب: (القطع إبانة بعض أجزاء الجسم من بعض فصلًا،

والقطع مصدر قطعت الحبل قطعًا، والأقطع المقطوع اليد، ويد قطعاء؛ أي مقطوعة).

والأحاديث الشريفة والآثار الصحيحة تؤيد هذا المعنى، وتدل عليه، وليس هذا مكان ذكرها.

والآن نأتي إلى الحكمة من قطع يد السارق، فنقول: إن مما لا شك فيه أن قطع اليد في السرقة

عقوبة لها أثرها في القضاء على هذه الجريمة.

1- سورة المائدة، آية: 33.

2- سورة المائدة، آية: 33.

والشريعة الإسلامية المحكمة تهدف من وراء ذلك إلى حماية الجماعة وحفظها حتى تقضي قضاءً تاماً على خطر يهدد الناس في أموالهم، وما يتبع ذلك من ترويع وإذلال. فلقد أحكم الشارع الحكيم وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجناية، وشرعها على أكمل الوجوه، مع عدم مجاوزة ما يستحقه الجاني من عقاب؛ حتى يكون العقاب مكافئاً للجريمة، ولم يترك تحديد العقاب على السرقة إلى اجتهاد، أو نظر، أو رأي جماعة؛ لما في ذلك من التناقض الذي لا تؤمن عاقبته، ولا يضمن فيه تحقيق العدالة التي يجد الناس فيها أماناً من الظلم والقهر، بل إن من رحمته - سبحانه وتعالى - بعباده ورأفته بهم أن تكفل بتقرير العقوبات على الخطير من الجرائم حتى تحفظ الضروريات الخمس التي هي: حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وجعل لكل جريمة عقوبة تناسب ما قد يخفى علينا تعقلها ومعرفة الحكمة منها.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتاب إعلام الموقعين في هذا المعنى ما نصه:

(فلما تفاوتت مراتب الجنايات لم يكن بد من تفاوت مراتب العقوبات، وكان من المعلوم أن الناس لو وكلوا إلى عقولهم في معرفة ذلك، وترتيب كل عقوبة على ما يناسبها من الجناية جنساً، ووضعاً، وقدرًا، لذهبت بهم الآراء كل مذهب، وتشعبت بهم الطرق كل مشعب، ولعظم الاختلاف، واشتد الخطب، فكفاهم أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين مؤنة ذلك، وأزال عنهم كلفته، وتولى بحكمته وعدله ورحمته تقديره نوعاً وقدرًا، ورتب على كل جناية ما يناسبها من العقوبة، وما يليق بها من النكال).⁽¹⁾

فالإسلام في أهدافه السامية معني بتوفير الحياة الكريمة، والعيش المطمئن، ولا يكون ذلك إلا بحماية الفضيلة، والقضاء على الفساد والرذيلة، وكل ما شأنه أن يندس واجهة الإسلام التي أرادها نقية ناصعة، ولما كانت الغاية السامية تبرر الوسيلة الحازمة، وأن القسوة والشدة ليست شرًا دائمًا، كان من العدل الضرب بشدة على يد من لا يراعي مصلحة الجماعة.

1- إعلام الموقعين، لابن القيم (ج 2 - ص - 69).

مقصود الشريعة في السلام النفسي والمجتمعي والعالمي:

إن للسلام العالمي في الإسلام لشأنًا عظيمًا، وأمرًا خطيرًا، فمازلت شرائع السماء، وما أرسل الله رسله وأنبياءه إلا بهدف بنائه، ورفع لوائه الدائم، مع بقية المثل العليا التي دعا إليها الإسلام، وما كان السلام في الإسلام أمرًا شخصيًا، ولا هدفًا قوميًا أو وطنيًا، بل كان أيضًا عالميًا، وشموليًا، وخالدًا، لقد شارك في إنشاء صرح السلام كل الأنبياء والرسل، ولم يكتمل بناء السلام منهجيًا ولم يتم، إلا برسالة النبي الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» (1).

ختمت به رسالات السماء، وبه كمل التخطيط الإلهي؛ لتحقيق سلام الإنسان الأبدي، لا، بل ولتحقيق الإخاء والتعاون العالمي، ومن أجل سعادة كل البشرية.

لقد سجل الإسلام ذلك في دستوره القرآني، حيث يقول الله - تعالى - لسيدنا محمد - عليه السلام -: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (2)، فكان الرحمة المهداة من السماء لسلام أهل الأرض، ولسعادتهم الخالدة، ماداموا متمسكين بتشريع السماء، ذلك التشريع الذي جعل المؤمنين به إخوة متحابين في الله، متعاونين على الخير، متسابقين إلى العلم والحكمة، باذلين كل غال ونفيس، في سبيل إسعاد إخوانهم، وكل أبناء البشرية، تحت شعار قول نبيهم الكريم: «الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله» (3).

وقوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم» (4)، وتحت شعار قوله: - صلى الله عليه وسلم - أيضًا مؤاخيا بين أنبياء الديانات السماوية: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد».

1- رواه البخاري، كتاب [المناقب]، باب (خاتم النبيين)، وروى مسلم نحوه كتاب [الفضائل من حديث أبي هريرة]
2- سورة الأنبياء، آية: 107.

3- رواه أحمد في مسنده كتاب أخبار الدجال (298/2)، عن أبي هريرة.

4- سورة الحجرات، آية: 10.

إن العقل الإنساني، وكلّ الشرفاء من أنصار السلام ومحبيه، مهما بذلوا من جهد، لا يستطيعون أن يقدسوا السلام كما قدسه الإسلام؛ تشريعاً، وتنفيذاً، وعقيدة، فلقد جعل الإسلام السلام في قمة وذروة القدسية والإجلال، فجعله من أسماء الله الحسنى، خالق هذا الكون العظيم، ومبدع نظامه الرائع الدقيق، يقول القرآن الكريم: {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام} (1).

فجعل الله السلام من أسمائه المقدسة، ليكون السلام معشوق الإنسان المؤمن، ومحبوته، وهدفه في هذا الوجود، ومنشوده، فمن أحب السلام فقد أحب الله، وأعداء السلام هم أعداء الله، ثم أتى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فزاد أمر السلام توضيحاً وتبييناً، فقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام - أي ومن تشريعك يكون السلام - تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام» (2).

ثم أتى القرآن ثانياً ليجعل السلام يدخل في صفة مهمة من أوصاف الجنة والنعيم، فقال تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} (3) ولم يكتفِ الإسلام بذلك، بل أصدر القرآن أمره الإلهي للمؤمنين، قائلاً: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} (4).

هذه قدسية السلام في الإسلام، أما السلام من حيث التشريع الإسلامي وقانونه، فقد سجل القرآن الآيات الكثيرة؛ لدعم بناء السلام العالمي وتشبيده، عن طريق أداء الحقوق لأصحابها، وعدم العدوان على أي مخلوق، وأمر أن يضيف المسلم إلى العدالة صرح الإحسان المقدس، وعلى كل المستويات؛ مع الإنسان والحيوان، والفرد والجماعة، وبين الأبيض والأسود، وكل أبناء البشرية، حتى مع الأعداء المحاربين فيما إذا قبلوا السلام، وأن لا تراعى في نصره العدالة والحق أي عاطفة نحو حبيب أو قريب، ولو اضطر الإنسان أن ينصر الحق على نفسه، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط - أي بالعدل - شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما} (5).

1- سورة الحشر، آية: 23.

2- رواه سنن الترمذي باب الاستئذان والآداب (2700) عن أبي سعيد الخدري

3- سورة يونس، آية: 25.

4- سورة البقرة، آية: 208.

5- سورة النساء، آية: 135.

وأما عن إقامة العدل مع الأعداء فقال: {ولا يجرمنكم شنآن قوم - أي بغضكم لقوم - على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}. (1)، وقال أيضاً: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله} (2).

إن الإسلام لم يكتفِ بضمان السلام ضد الحروب، بل تجاوزه إلى السلام تجاه كل شيء يحرم الإنسان سعادته وهنائه، فضمن الإسلام للإنسان السلامة من الجهل، فقال النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - : «طلب العلم فريضة». (3)

وقال أيضاً: «ليس مني إلا عالم أو متعلم».

وضمن للإنسان السلام ضد الفقر والعوز، فجعل السلام من الفقر أحدَ أركان الإسلام الخمسة، وسماه بالزكاة، وأردفها إن لم تحقق غايتها بقول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - : «إن في المال لحقاً سوى الزكاة» (4).

وإذا ما وجد في المجتمع إنسان واحد جائع، فالإسلام بريء من هذا المجتمع، ولو لم يكن ذلك الجائع مسلماً، فالإسلام يعتبر أفراد المجتمع مسئولين عن السلام الغذائي، حيث يقول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - : «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به». (5)

أما السلام بين أفراد المجتمع، فبعد أن سجل القرآن وجوب العدل والإحسان، وتحريم الظلم والعدوان، في قوله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى}. (6) بعد بيانه هذا، قال في سورة أخرى: {فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم}. (7)

أما عن السلام بين المتحاربين، فيقول الله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت

1- سورة المائدة، آية: 8.

2- سورة الأنفال، آية: 61 - 62.

3- سنن الدارمي رقم (220)، باب طلب العلم فريضة من حديث أنس

4- أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء إن في المال حقاً سوى الزكاة، رقم (659-660) عن فاطمة بنت قيس.

5- رواه البخاري باب الادب المفرد عن عباس برقم 112

6- سورة النحل، آية: 90.

7- سورة الأنفال، آية: 1.

فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين
أخويكم}. (1)

أما السلام في مجال التنفيذ العملي، فقد كان النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه
الكرام القدوة البارزة في إقامة السلام، والمثال الحي في تعميم الإحسان، والحب، والإخاء، في
المجتمع العالمي الإسلامي، واستطاع سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وتلامذته بذلك في
أقل من قرن، وبالوسائل البدائية، أن يوحدوا نصف العالم القديم، من حدود فرنسا إلى الصين،
في ظلال من العلم، والحضارة، والأخوة الروحية، والمساواة بين الشعوب، على اختلاف
ألوانها، وأديانها، وقومياتها، واستطاعوا أن يرفعوا الحدود السياسية الجغرافية، وأن يطبقوا
العدالة الاجتماعية، والقضائية، وغيرهما، ويعيدوا للإنسان عملياً حقوقه المغتصبة، ولا ينكر
ذلك إلا غبي جاهل، أو متجاهل مكابر؛ لذلك نبغ في الإسلام عباقرة العلماء والقادة، على
اختلاف أقطارهم وألوانهم، وعمَّ الرخاء على الشعوب، وصارت المرأة تجتاز صحراء العراق
المخيفة إلى مكة لا تخاف أحداً، وصار الإنسان بثقافة الإسلام كريماً، وعوناً لأخيه الإنسان، بل
مؤثراً له على نفسه، وفي كل شؤون الحياة.

كما نالت المرأة سلامها في ظل الإسلام، بأسمى ما تحلم به من كرامة وحقوق، كانت مهدورة
لفترة طويلة من الزمن، ومن الأمثلة الرائعة على مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، أنه حين
أجمع المسلمون وعلى رأسهم عمر، على تحديد مهر النكاح، عارضتهم في المسجد امرأة واحدة
عجوز، فأذعنوا لرأيها، واستجابوا لصوتها بما فيهم عمر، وقال كلمته الرائعة: (أصابت امرأة
وأخطأ عمر). (2)

أما مكانة العمل، وضمن سلام العامل في الإسلام، فيكفيينا من ذلك، قوله - صلى الله عليه
وسلم «من أمسى كالألأ من عمل يده أمسى مغفوراً له». (3)

أما ما اختتم فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - حياته في تطبيقه العملي للسلام الاجتماعي،
فقبل وفاته بأيام قلائل، صعد المنبر وهو في مرض وفاته، وقال في حديث له: «وإني لأرجو
أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال». أما "الهرمزاني" قائد الفرس،

1- سورة الحجرات، آية: 9-10.

2- المحدث: أحمد شاكر، المصدر: مسند أحمد، الصفحة أو الرقم: 146/1.

3- رواه الطبراني عن ابن عباس، [كنز العمال 7/4].

فعند دخوله على عمر، وقد رآه في المسجد نائمًا على التراب، وفي ثيابه المرقعة، وبلا حراس ولا جنود، واستيقظ عمر من لغط القادمين، ليسمع الهرمزان يخاطب عمر قائلاً: (لقد عدلت، فأمنت، فمنت، وإني لنبي عظيم)، فقال عمر: (لست نبيًا، ولكني أعمل عمل الأنبياء).⁽¹⁾

ولما ضرب ابن عمرو بن العاص فاتح مصر قبطيًا، ظلمًا وعدوانًا، وشكاه القبطي إلى عمر بن الخطاب خليفة المسلمين، استدعى عمر بن الخطاب عمرًا وابنه إلى المدينة، وأمر القبطي النصراني أن يضرب ابن عمرو، ابن فاتح مصر، فضربه القبطي، فقال عمر للقبطي: لو ضربت على رأس أبيه لما منعك منا أحد، ثم التفت عمر إلى عمرو معنفًا وموبخًا، وقائلًا له كلمته التاريخية: (متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!.)⁽²⁾

إن كل وسائل السلام في القرن العشرين؛ من عصبة وهيئة الأمم، إلى مجلس الأمن (الفوضوي)، إلى محكمة العدل والمعاهدات الدولية، لم تتجح في إطفاء الحروب الصغيرة، فضلًا عن الكبيرة، فكيف بالحروب النووية؟!

إن المؤسسات الدولية بنيت على وسائل لا يمكن أن تحقق سلامًا صغيرًا، فضلًا عن السلام العالمي. ولو دُرِسَ السلام الإسلامي لتوصل كوكبنا إلى أكثر من سلامة وأمنًا. إن بناء السلام المضمون المؤكد قد وضحه القرآن، بعد أن أرسى قواعد الأخوة والمحبة العالمية. هنا أعرض نموذجًا واحدًا بسيطًا، حول فشل وسائل السلام الحاضرة المعاصرة في قضية تشغل العالم منذ فترة طويلة، ألا وهي قضية فلسطين، وأمثالها كثير..

ألم يُجرّد شعب من وطنه، وبقيادة، وتخطيط الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومن ورائهما الحلف الأطلسي ولمصلحة الصهيونية العالمية؟!

وتحت سمع وبصر كل المنظمات العالمية للسلام

مع ذلك لا يزال العدوان مستمرًا، ولا تزداد قوى الظلم والاستعمار على الشعب الفلسطيني إلا اتساعًا وتفاقمًا، وعلى الرغم من وجود هذه المنظمات العاجزة ماذا نشهد؟!...

1- تاريخ الطبري، لأبي جعفر الطبري، الناشر دار التراث بيروت ط - 2، عام 1387 هجرية.

2- والقصة أخرجها ابن عبد الحكم في " كتاب فتوح مصر " (ص 290)، (تحقيق محمد الحجيري، الناشر دار الفكر بيروت، عام 1416 ط - الأولى)، قال: حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ، عَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ، وَحَمِيدٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ (فذكر القصة)، وَالسُّنْدُ مَنْقُوعٌ بَيْنَ ابْنِ عَبْدِ الْحَكْمِ، وَأَبِي عَبْدِ.

إننا نرى أن إسرائيلياً واحداً يُقْتَلُ، فنرى دنيا أمريكا والغرب تقوم ولا تقعد، ومعها كل حلفائها، بينما نرى الشعب الفلسطيني بأكمله يُعمل على إبادته بعد إجلائه عن أرضه، وتمضي القرون سنة، بعد سنة، لتثبت فشل كل وسائل السلام الحالية المستعملة. نعم تفشل في أن تعيد لهذا الشعب المظلوم حقه المغتصب، ليس لأنها وسائل غير عملية أليس واقعنا يصدق هذا؟! إن السلام يحتاج مع العلم والإيمان العقلاني، والعقل الإيماني، إلى تربية النفس على مكارم الأخلاق، فيجب أن تتكون لجنة ثلاثية عالمية من:

* علماء جامعيين، مخلصين للسلام والإنسانية.

* رجال دين عقلانيين، مجددين، تقدميين.

* رجال سياسة مخلصين.

يعمل كل منهم للسلام، ليضعوا الفكرة العملية العلمية العالمية لمخطط بناء السلام.

يرى كثير من علماء الاجتماع والسياسة أن الإنسان هو منطلق العالم نحو السلام، وأن سلام العالم إنما يبدأ من النفس الإنسانية، فإذا عاشت هذه النفس سلاماً داخلياً، أثمر ذلك سيادة معاني السلام في حياة الجماعة، والدولة، والإنسانية جمعاء، وإذا افتقدته عز على العالم أن يدرك هذه الغاية، أو يلمس آثارها.

ومن هنا، يرى كيف أن كثيراً من المجتمعات ماضياً وحاضراً فقدت معاني السلام في حياتها، رغم كل المبادئ المعلنة، والقوانين المسطرة، والشعارات المرفوعة، إذ تظل هذه المعاني بعيدة، في غياب شروط السلام الداخلي للإنسان وأسبابه، ولهذا ينطلق التصور الإسلامي للسلام وهو التصور الشامل لكافة المستويات الإنسانية من السلام النفسي، فالإنسان الحائر المضطرب، الفاقد معاني السكينة والاطمئنان الروحي هو أبعد ما يكون عن إقامة مبادئ السلام في الحياة. ويقوم مفهوم السلام النفسي في الإسلام، على جملة مبادئ عقديّة، وشعائر تعبدية، وقيم أخلاقية، جاءت بها الرسالة، تبلغ في مجموعها النفس الإنسانية منزلة الأمن والسلام، وتعصمها من الاضطراب والتناقض، وذلك من خلال أحكام الإسلام عامة، ومقتضيات العقيدة والعبادة لله وحده خاصة..

المبحث الثالث

دور المراكز الإسلامية في دعوة عصاة المسلمين؛

في زمن كثرت فيه الفتن، واشتدت المحن، وتكالت صروف الدهر ونوائبه على أمة الإسلام، وماجت عهود الناس وموائيقهم، واستشرى الجهل بالدين، وتميعت عقيدة المسلمين؛ تبرز أهمية حركة تصحيح المسار، المتمثلة بالدعوة إلى الله - عز وجل - على بصيرة، وإصلاح أوضاع الناس بالحكمة، وهو ما يعزز فضل الدعوة إلى الله، وفضل أصحابها من العلماء والدعاة والمخلصين من أبناء الدعوة، الذين قد حملوا لواء تعبيد الناس لربهم، وتصحيح معتقداتهم، وغرس القيم والمفاهيم الصحيحة في قلوبهم، رغم ما يلاقون من الأذى والاستهزاء، وسائر صنوف الابتلاء، ولا يزيدهم ذلك مع مرور الأيام إلا رفعة وعزة ومكانة في قلوب الناس. ويكفي في بيان فضلهم وحاجة الناس إليهم؛ ما وصفهم به الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - بقوله:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله - تعالى - الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم! (1)

ولكن ذلك الفضل لا يكتمل حتى يكون الدعاة على علم بالأسس الصحيحة التي يبنون عليها دعوتهم، والمعالم المنهجية المترابطة التي ينبغي عليهم أن يلتزموا بها، النابعة من قوله - تعالى -: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. (2)

1- أحمد بن حنبل، الرد على الزنادقة والجهمية (ص-6)، تحقيق صبري بن سلامة شاهين، الناشر دار الثبات للنشر والتوزيع، ط-1-2010.

2- سورة يوسف، آية: 108.

الموعظة الحسنة وأنواعها:

الموعظة: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يُلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية⁽¹⁾، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}⁽²⁾، وقال سبحانه: {يُعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}⁽³⁾.

والداعية إلى الله - تعالى - ينبغي أن يكون وعظه للناس بالقول الحكيم على نوعين: تعليم، وتأديب.

النوع الأول: وعظ التعليم:

وهذا النوع يكون ببيان عقائد التوحيد، وبيان الأحكام الشرعية الخمسة: من الواجب، والحرام، والمسنون، والمكروه، والمباح، ويراعى في ذلك كله ما يُناسب كل طبقة، والحث على التمسك بها، والتحذير من التهاون فيها.

ومن تدبر أسلوب القرآن علم أن الأحكام ينبغي أن تُساق إلى الناس مساق الوعظ الذي يُلين القلوب، ويبعثها على العمل، ولا تسرد سرداً خالية من وسائل التأثير، ومما يوضح ذلك قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.⁽⁴⁾

فالأمر بتقوى الله بعد النهي عن إتيان النساء في المحيض، والأمر بإتيانهن في موضع الحرث، والأمر بالتقديم لأنفسنا تحذيراً من مخالفة هذا الهدي الإلهي، وقوله: {وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ} إنذار للذين يُخالفون عن أمره بأنهم يُلاقون جزاء مخالفتهم في الآخرة، ويحاسبون على أعمالهم. وقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} تبشير للطائعين الذين يقفون عند الحدود، ويتبعون هدى الله -

1- انظر: فتاوى ابن تيمية، 164/19، ومفتاح دار السعادة لابن القيم، 195/1، والتفسير القيم لابن القيم، ص344، وهداية المرشدين لعلي محفوظ، ص71.

(2) سورة النساء، الآية: 66.

(3) سورة النور، الآية: 17.

(4) سورة البقرة، الآيات: 222-223.

تعالى - والمبشر به عام يشمل منافع الدنيا، ونعيم الآخرة، وحصول كل خير، واندفاع كل شر - رتّب على الإيمان - داخل في هذه الآية. ومما يزيد ذلك وضوحاً وبيّاناً أن الله بعد أن ذكر أحكام الفرائض وتقسيم التركات ختم ذلك بقوله: ﴿لِتُكَلِّمَهُمْ فَتَقُولَ لِمَنْ يُرِيدُ إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ الْإِنْسَانَ طِينًا ثُمَّ يَدْعُوهُ كَرِيهًا فَكُلِمًا ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ثُمَّ يُنقِطُ مِنْ دَمِهِ ثُمَّ يُضْمِرُ نَجْوَاهُ لِيُنصِتَ لِمَا يُرِيدُ لِيُخْبِرَهُ كَيْفَ تَقُولُ لِمَنْ يُرِيدُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. **جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}.**

يوصل إلى الغاية المقصودة متى صدر من قلب سليم نقيّ متخلّق بما يدعو إليه؛ لأن الموعظة في الغالب إذا صدرت من القلب وقعت في القلب، وإن خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان. وإذا أراد الداعية أن تكون موعظته مؤثرة بليغة، فإن عليه الآتي:

- 1 - ينظر إلى المنكرات المنتشرة، ولا سيما ما كان منها قريب العهد، وحديثه على السنة الناس.
 - 2 - ثم يقدم من هذه المنكرات أكبرها ضرراً، وأسوأها أثراً، فيجعلها محور خطابته، وموضع موعظته.
 - 3 - ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا المنكر من الأضرار: الخلقية، والاجتماعية، والصحية، والمالية.
 - 4 - ثم يستحضر ما جاء في ذلك من الآيات، والأحاديث الصحيحة، أو الحسنه، وأقوال الصحابة، والأبيات الشعرية الحكيمة.
 - 5 - ثم يأخذ في كتابة الموضوع إن شاء كتابته، ويضمنه ما فيه من تلك المضار، وما ورد فيه عن الشارع، محذراً من الوقوع فيه، حاثاً على التوبة منه.
- أما إذا أراد الحثّ على العمل الصالح النافع، فيتبع ما يلي:
- 1 - يفكر في مزاياه وآثاره الحسنه تفكيراً عميقاً.
 - 2 - يستحضر ما يُناسبه من الكتاب، وصحيح السنة، وآثار الصحابة.
 - 3 - ثم يسلك في الكتابة المسلك السابق.
- إذا كتب الموضوع، فإن شاء حفظه وألقاه، وإن شاء ذكر مضمونه، وذكر المضمون أحسن الأمرين، حتى لا يكون مقيداً بعبارة خاصة، ويتخيّر من العبارات ما يؤدي إلى المعاني التي حصل عليها ببحثه وتفكيره.

وإن شاء عدم الكتابة واكتفى برسم الموضوع في مخيلته، وتسطيره في ذاكرته التي قواها بالمران والتجارب والممارسة كان ذلك أحسن وأكمل، وبتوفيق الله ثم بإعداد الموضوع واستحضاره بأدلتها تمامًا، وتقسيمه بحسب نقاطه إلى أقسام، يكون الداعية في مأمن من الزلل بإذن الله تعالى.

وبعد ذلك ينبغي أن يراعي في حال التأدية والإلقاء استعداد السامعين، فينزل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم، متجنبًا الألفاظ البعيدة عن أفهامهم، ويتوسط مع أوساط الناس، ويتأنق مع الخاصة، فيكون مع جميع الطبقات حكيمًا يضع الأشياء في مواضعها، وبكل حال عليه أن يختار المعاني النفيسة، وتنسيقها، وشرحها بالدقة، وإيلاؤها أذهان السامعين، وإنفاذها في قلوبهم، ودفع السامة والملل عنهم، بإيراد الشواهد عليه من الحكم النثرية والشعرية، والفكاهات الأدبية، بشرط التزام ظلال الكتاب والسنة، وبذلك يكون الداعية موفقًا مؤثرًا بإذن الله - تعالى - إذا قصد إبلاغ الناس بإخلاص وصدق ورغبة فيما عند الله - تعالى - (1).

الترغيب والترهيب:

من حكمة القول في أسلوب الدعوة إلى الله - تعالى - مع عصاة المسلمين وغيرهم: أن يسلك الداعية في دعوته إلى الله مسلكي: الترغيب والترهيب؛ لأنه أسلوب له تأثيره في نفوس كثير من البشر؛ فإن الإنسان جُبِلَ على حب الخير، والرغبة في الحصول على كل محبوب، كما طُبِعَ على بغض الشر، وما يُصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، وحينئذ فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، ويحميها من كل شر، سواء كان ذلك عاجلاً أو آجلاً؛ ولذلك فالترغيب والترهيب يفيض بهما بحرا الكتاب والسنة (2)، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}. (3)

فالقرآن يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل، ومن هدايته الترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله - تعالى - بعظيم الخير، وتبشيرهم بحسن المثوبة، والترهيب بوعيد المخالفين الذين

(1) انظر: هداية المرشدين، ص145، 192. دار الاعتصام، عام 1399 هجرية، ط - التاسعة.

(2) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، 301/1، ومعالج الدعوة للدليمي، 494/1، وهداية المرشدين، ص192.

(3) سورة الإسراء، الآيتان: 9-10.

تعدوا حدود الله - تعالى - بشديد العذاب، وإنذارهم بسوء العاقبة، ومن المعلوم يقيناً أن الوعد بالخير يعمّ خيري الدنيا والآخرة وسعادتهما، والوعيد يشمل نقم الدنيا والآخرة وشقاءهما⁽¹⁾. وهذا يجعل الداعية إلى الله - تعالى - يهتم اهتماماً بالغاً بهذين الأسلوبين الحكيمين، وسأتناول ذلك - بإذن الله تعالى - بشيء من الإيضاح في المسلكين الآتيين:⁽²⁾

المسلك الأول: الترغيب والتبشير.

المسلك الثاني: الترهيب والإنذار.

المسلك الأول: الترغيب والتبشير (3)

من الحكمة القولية في الدعوة إلى الله أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك ما يفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله - تعالى - لنيل السعادة في الدنيا والآخرة. والترغيب قسمان:

القسم الأول: الترغيب في جنس الطاعات.

القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات.

القسم الأول: الترغيب في جنس الطاعات:

وهذا القسم له أنواع وصور متعددة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

النوع الأول: الترغيب بالوعد بالخير العاجل في الدنيا:

عندما يتحقق الإيمان والاستقامة عليه بطاعة الله - تعالى - وتقواه تحصل السعادة والبركات

العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وما في الآخرة أعظم، ومن صور هذه الخيرات ما يأتي:

1 - الترغيب بالوعد بالحياة الطيبة والسلامة من كل مكروه، قال - تعالى - ترغيباً في صالح العمل مع الإخلاص فيه والمتابعة: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.⁽¹⁾

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 26/3، والسعدي، 264/4.

(2) الحكمة في الدعوة إلى الله - تعالى - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط-1 الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1423 هـ.

(2) كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله - تعالى - تأليف: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة - موقع الشيخ سعيد بن وهف القحطاني. 3

2 - الترغيب بالوعد بالاستخلاف في الأرض والتمكين، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (2).

3 - الترغيب بالوعد بالإمداد بأنواع الخيرات والزيادة مع الشكر، قال - تعالى - عن نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} (3)، {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (4).

4 - الترغيب بالمد في العمر إلى استيفاء الأجال، وعدم المعالجة بالعقوبة، قال تعالى: {يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} (5)، فمن عبد الله واتقاه، وأطاع رسوله، وتاب من جميع المعاصي، غفر الله له ذنوبه، ومدّ في عمره، ودفع عنه الهلاك إلى حين استيفاء أجله. (6).

5 - الترغيب بالوعد بأنواع التأييد والنصر والتوفيق:

(أ) الوعد بولاية الله - تعالى - : {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (7).

(ب) الوعد بالدفاع عنهم: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (8).

(ج) الوعد بالكفاية: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (9).

(د) الوعد بالنصر: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (10).

(هـ) الوعد بالعزة والعلو: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (11)، {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ

الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (1).

(1) سورة النحل، الآية: 97.

(2) سورة النور، الآية: 55.

(3) سورة نوح، الآيات: 10 - 12.

(4) سورة إبراهيم، الآية: 7.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 10.

(6) انظر: تفسير البغوي، 27/3، 397/4، وتفسير ابن كثير، 425/4، وتفسير السعدي، 127/4، 481/7.

(7) سورة البقرة، الآية: 257.

(8) سورة الحج، الآية: 38.

(9) سورة الطلاق، الآية: 3.

(10) سورة الروم، الآية: 47.

(11) سورة المنافقون، الآية: 8.

(و) الوعد بمحبة الله للمؤمنين: وهذا باب واسع، قد ذكر الله فيه أنه يحب التوابين، والمتطهرين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين، والمتوكلين، والمقسطين، والذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص (2).

(ز) الوعد بمحبة عباد الله للمؤمنين: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} (3).

(ح) الوعد بالهداية والتوفيق، قال تعالى: {وَأِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (4).

(ط) الوعد بعدم تسليط الأعداء عليهم: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} (5).

(ي) الوعد بالأمن، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (6).

(ك) الوعد بحفظ سعي المؤمنين: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} (7).

(ل) الوعد بازديادهم من العلم والفهم: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (8).

النوع الثاني: الترغيب بذكر سنة الله - تعالى - فيمن مضى من عباده المخلصين:

أن يبين لهم أن سنة الله لا تتخلف في نصرة عباده المؤمنين ورحمته من حكمة القول مع عصاة المؤمنين في دعوتهم إلى الله - سبحانه - بإظهار كمال العبودية له، والافتقار إليه، وهم في حالة من الكرب، أو الضيق، أو الحاجة، فتدركهم رحمته سبحانه: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (9)،

(1) سورة آل عمران، الآية: 139.

(2) انظر: سورة البقرة، الآية: 222، وسورة آل عمران، الآيات: 76، 116، 134، 148، 159، وسورة المائدة، الآية: 42، وسورة التوبة، الآيتان: 4، 7، وسورة الصف، الآية: 4.

(3) سورة مريم، الآية: 96.

(4) سورة الحج، الآية: 54.

(5) سورة النساء، الآية: 141.

(6) سورة الأنعام، الآية: 82.

(7) سورة الكهف، الآية: 30.

(8) سورة التوبة، الآية: 124.

(9) سورة الأعراف، الآية: 56.

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} (1).

وفي ذكر الداعية إلى الله سنة الله فيمن مضى من عباده المؤمنين إطماع لعباد الله في الحصول على أمثالها للمؤمنين إذا اتجهوا إلى الله - تعالى - بقلوب صادقة، وترغيب للمعرضين في انقيادهم لأمر الله - تعالى - حتى يكونوا من المحسنين، فتصيبهم رحمة الله - تعالى - (2)، وهذا النوع له أمثلة كثيرة جداً، منها ما يلي:

1 - إجابة الله لدعوة آدم وحواء بعد أن وقعا في المعصية، ثم تابا إلى الله: {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (3)، {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ...} (4).

2 - إجابته - تعالى - لنبيه أيوب بعد أن بلغ به الضر منتهاه: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ} (5).

3 - استجابته - تعالى - ليونس: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} (6)، {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (7).

4 - إنجائه - تعالى - لأنبيائه وعباده المؤمنين عند حلول العذاب بأقوامهم المكذبين، وهذا باب واسع، ومن ذلك إنجاء نوح (8)، وهود (9)، وصالح (10)، وإبراهيم، ولوط (11)، وشعيب (12)،

- (1) سورة النمل، الآية: 62.
 (2) انظر: معالم الدعوة للدليمي، 500/1.
 (3) سورة الأعراف، الآية: 23.
 (4) سورة البقرة، الآية: 37.
 (5) سورة الأنبياء، الآيتان: 83-84.
 (6) سورة الأنبياء، الآيتان: 87-88.
 (7) سورة الصافات، الآيتان 143-144.
 (8) انظر: سورة يونس، الآية: 73.
 (9) انظر: سورة هود، الآية: 58.
 (10) انظر: سورة هود، الآية: 66.
 (11) انظر: سورة الأنبياء، الآيتان: 70-71.
 (12) انظر: سورة هود، الآية: 94.

وموسى وهارون⁽¹⁾، والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر من بني إسرائيل⁽²⁾، وغيرهم، فقد أنجى - سبحانه - هؤلاء ومن تبعهم وأهلك أعداءهم.

النوع الثالث: الترغيب بالوعد بالخير الأعظم في الآخرة:

جاء في كتاب الله - تعالى - وفي سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - الوعد بالخير الآجل، والنعيم المقيم والرضوان، والأمن التام، والرحمة والمغفرة وتكفير السيئات، كل ذلك لمن تحقق فيه شرط الإيمان والعمل الصالح، وهذا باب واسع يزخر به بحر الكتاب والسنة، ولا يتسع المقام لذكر الأمثلة على ذلك.

فعلى الداعية العناية بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - حتى يقدم للناس القول الحكيم الذي يرضي الرب الحكيم⁽³⁾.

النوع الرابع: الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم:

وهذا النوع من الترغيب يزخر به كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا يحصر ما أعد الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - تبارك وتعالى -: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم⁽⁹⁾»

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}»⁽¹⁰⁾، وهذا مما يجعل العاقل يشمر عن ساعد الجد؛ ليسعد بهذا الفوز العظيم، والسعادة الأبدية، والنعيم الدائم الذي يعجز دونه الوصف، ومن هذا النعيم على سبيل المثال⁽⁴⁾:

ما ذكر الله من نعيم أهل الجنة وصفاتهم، ومن ذلك:

رضوانه تعالى؛ فإنه أكبر النعيم⁽⁵⁾، وأنهار الجنة⁽⁶⁾، ومسكن أهلها⁽¹⁾، وزوجاتهم⁽²⁾، وحليهم⁽³⁾،

(1) انظر: سورة الصافات، الآيات: 114-116.

(2) انظر: سورة الأعراف، الآيات: 164-166.

(3) انظر: سورة الأنعام، الآية: 82، وسورة طه، الآيات: 80-82، وسورة الفرقان، الآية: 70، وسورة البقرة، الآيات: 7-8.

(9) متفق عليه. (10) سورة السجدة، آية: 17.

(4) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم.

(5) انظر: سورة التوبة، الآية: 72.

(6) انظر: سورة محمد، الآية: 15.

(1) انظر: سورة التوبة، الآية: 23.

وطعامهم⁽³⁾، وشرابهم⁽⁴⁾، وصفاتهم⁽⁵⁾، وأطوالهم⁽⁶⁾، وفواكههم⁽⁷⁾، ولباسهم⁽⁸⁾، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم⁽⁹⁾، فالداعية إذا استخدم هذا النوع من الترغيب يجذب قلوب الناس إلى الرغبة في هذا النعيم الدائم.

القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات:

وهذا القسم مهم جداً لا يقل أهمية عن القسم الأول، والناس يحتاجون إليه؛ ليشمروا عن ساعد الجد في عمل أنواع الطاعات، فينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفل هذا الجانب، ويهتم بترغيب الناس بالأقوال الحكيمة في أنواع البر والإحسان، وجميع أنواع الطاعات: كحثهم على تحقيق كلمة الإخلاص، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهد لإعلاء كلمة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات البين، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وغير ذلك.

وكذلك ينبغي ترغيب الناس في أنواع الفضائل النفسية: كالشجاعة، والعفة، والصدق، والوفاء، والأمانة، والإخلاص، والحلم، والتواضع، والكرم، والصبر، وطهارة الضمير، وحب الخير للناس، والعدل، والإحسان، وغير ذلك مما ينفع الأمة في العاجل والآجل، بذكر ما جاء فيها من الترغيب من الكتاب والسنة الصحيحة والحسنة والآثار الثابتة، مع شرح ذلك شرحاً وافياً حسبما تدعو إليه الحاجة⁽¹⁰⁾.

ومن أمثلة الترغيب في هذه الأنواع: قوله تعالى: **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ**

(1) انظر: سورة الصافات، الآيات: 40-48.

(2) انظر: سورة الكهف، الآية: 31.

(3) انظر: سورة الطور، الآيتان: 27، 28، والواقعة الآيات: 10-40.

(4) انظر: سورة الإنسان، الآيات 5-22.

(5) انظر: البخاري مع الفتح، 318/6، 362.

(6) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، 362/6، (رقم 3326).

(7) انظر: سورة الرحمن، الآيات: 52-68، والواقعة، الآيات: 19-33.

(8) انظر: سورة الكهف، الآية 15، وسورة الحج، الآية: 23.

(9) انظر: سورة يونس، الآية: 26، وسورة ق، الآية: 35، وسورة القيامة، الآيتان: 22-23.

(10) انظر: هداية المرشدين، ص199. دار الاعتصام، عام 1399 هجرية ط - التاسعة.

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (1)، وقال تعالى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (2)، وقال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (3)، وغير ذلك كثير من كتاب الله تعالى (4).

وكذا قد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الترغيب في أنواع الطاعات من الأحاديث ما لا يُحصى، ومن ذلك قوله لعبد الله بن عمرو: «أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة» (5).

ومن هذا النوع حديث معاذ بن جبل، حينما سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عما يدخله الجنة ويباعده عن النار، فعدَّ له النبي - صلى الله عليه وسلم - اثنتي عشرة خصلة من أنواع الطاعات (6).

فالداعية إذا استخدمت هذه الأنواع ووفقَ بإذن الله للصواب (7).

المسلك الثاني: الترهيب والإنذار:

من حكمة القول أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك الأمور النافعة المفيدة في حمل الناس على ترك الجرائم والذنوب، والتحذير والإنذار من كل المعاصي، والإصرار عليها. والترهيب قسمان:

القسم الأول: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس المعاصي والذنوب.

القسم الثاني: الترهيب بذكر الوعيد والعقوبات على أنواع الذنوب وآحادها.

القسم الأول: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس المعاصي والذنوب:

(1) سورة البقرة، الآية: 177.

(2) سورة آل عمران، الآيتان: 16-17.

(3) سورة آل عمران، الآيتان: 134-135.

(4) انظر: سورة النساء، الآية: 114، والتوبة، الآية: 71، والمؤمنون، الآيات: 1-11، والفرقان، الآيات: 63-77، ولقمان،

الآيات: 13-19، والأحزاب، الآية: 35، والصف، الآيات: 10-13، وغير ذلك من الآيات في الترغيب في أنواع الطاعات.

(5) أخرجه أحمد في المسند بإسناد جيد، 177/2، والحاكم 314/4. من حديث عبد الله بن عمرو

(6) رواه البخاري مع الفتح كتاب الإيمان، 11/6، 415/10، من حديث معاذ بن جبل

(7) كتاب المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للمباضي، ورياض الصالحين للنووي.

وهذا القسم له أنواع وصور متعددة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

النوع الأول: الترهيب بذكر الوعيد بالحرمان من الخير العاجل، أو الأخذ بالعذاب العاجل:

الإصرار على المعاصي والسيئات من أسباب الابتلاء بالفقر، والضيق في العيش، والإصابة بالأمراض والأسقام، والحرمان من الخيرات العاجلة والآجلة، وهي أعظم الأسباب في إهلاك الأمم والجماعات والأفراد بالدمار والهلاك⁽¹⁾، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (2).

وهو - سبحانه - يعفو عن كثير من السيئات فلا يُجازي عليها: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} (3).

وكل ما يحدث في الأرض من المصائب، وقلة الثمار، وقحط الأمطار، فإنما هو من عقوبة بعض ما عمل الناس من الذنوب⁽⁴⁾: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (5).

ويمكن للداعية أن تستخدم هذا النوع في دعوته على ضربين:

الضرب الأول: ذكر ما حل بالقرى من الأخذ بالدمار، أو الحرمان من الخيرات التي كانت بين أيديهم بسبب ظلمهم أنفسهم واستكبارهم، وعدم شكرهم لله الرزاق، ومن ذلك ما حل بفرعون وقومه: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ} (6)، وغير ذلك كثير مما حل بالقرى المكذبة للرسول - عليهم الصلاة والسلام - (7).

الضرب الثاني: الترهيب بذكر ما وقع لجماعات أو أفراد من الأخذ العاجل، أو الحرمان من الخيرات، ومن ذلك ما حل بالجماعات والأفراد الآتي ذكرهم:

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 133/1، 234.

(2) سورة الشورى، الآية: 30.

(3) سورة فاطر، الآية: 45.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، 574/2، 117/4.

(5) سورة الروم، الآية: 41.

(6) سورة الدخان، الآيات: 25-27.

(7) انظر: سورة الأنعام، الآيات: 42-45، والأعراف، الآيات: 94-100، والنحل، الآية: 112، والقصاص، الآية: 58.

- 1 - ما ذكره الله عن قوم سبأ، وما كانوا فيه من النعم، والغبطة، والسرور، فلم يشكروا الله، فحل بهم الدمار والخراب والحرمان⁽¹⁾.
- 2 - وما ذكر الله في قصة قارون⁽²⁾.
- 3 - وصاحب الجنتين الذي تكبر على صاحبه الفقير⁽³⁾.
- 4 - وأصحاب الجنة الذين تعاهدوا أن يحرّموا الفقراء والمساكين؛ فحرّمهم الله جنتهم ودمرها⁽⁴⁾، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

النوع الثاني: الترهيب بالإنذار من حلول العذاب العاجل:

هذا النوع يُوجهه الداعية إلى المعرضين عن طاعة الله، إذا ظلوا على إصرارهم وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحق بعد وضوحه، ولزوم الحجة، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ...} إلى قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ} ⁽⁵⁾، وقال سبحانه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ⁽⁶⁾، {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} ⁽⁷⁾.

وغير ذلك كثير في كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ⁽⁸⁾.

النوع الثالث: الترهيب بذكر مصير الأمور التي كذبت رسالها:

وهذا النوع له أعظم الأثر والوقع في النفوس؛ لأنه من أعظم العبر لمن اعتبر؛ ولأنه يُبين سنة الله فيمن كذب الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أو وقف من دعوتهم موقف الإعراض والاستكبار، ثم بعد إقامة الحجة عليهم وقع بهم الدمار والهلاك، وهذا باب واسع لا يمكن

(1) انظر: سورة سبأ، الآيات: 15 - 19.

(2) انظر سورة القصص، الآيات: 76 - 81، وتفسير البغوي، 454/3، وابن كثير، 99/3.

(3) انظر: سورة الكهف: 33 - 43، وتفسير ابن كثير، 84/3.

(4) انظر: سورة القلم، الآيات: 17 - 27، وتفسير ابن كثير، 407/4.

(5) سورة الأنعام، الآيتان: 46، 47.

(6) سورة النور، الآية: 63.

(7) سورة الأنعام، الآية: 65.

(8) سورة الأنفال، الآيتان: 24، 25، وفصلت الآية: 13، والسجدة، الآية: 22، والبخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة هود، باب:

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ}، 354/8 (رقم 4686)، ومسلم، البر والصلة، باب تحريم الظلم 1997/4 (رقم 2581-2583)،

حصره، ومن ذلك قوله: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ إِيرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ {الآية (1)، {لَوْ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِيًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (2).

ومن أنواع عذاب بعض هؤلاء المكذبين على سبيل المثال:

1 - قوم نوح: أهلكهم الله بالغرق: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُثَمَرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} (3).

2 - عاد قوم هود: سلط الله عليهم الريح، فألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل منقعر خاوية، فدمرت الريح كل شيء بأمر ربها (4).

3 - ثمود قوم صالح: أرسل الله عليهم الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم فأصبحوا في دارهم جاثمين (5).

4 - قوم لوط: رفع الله قراهم إلى السماء، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم بحجارة أمطرها عليهم، ولإخوانهم أمثالها (6).

5 - مدين قوم شعيب: أظلتهم سحابة، وأمطرت عليهم شرراً من نار، ولهباً ووهجاً، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض من أسفل منهم (7).

6 - فرعون وقومه: أغرقهم الله في البحر (8).

7 - قارون: خسف الله به وبداره الأرض (9).

(1) سورة الحج، الآيات: 42-45.

(2) سورة العنكبوت، الآيات: 39-40.

(3) انظر: سورة القمر، الآيات: 11-12.

(4) انظر: سورة الأحقاف، الآيات: 24-25، والحاقة الآيات: 6-8، والقمر، الآيات: 19-20.

(5) انظر: سورة الأعراف، الآية: 78، والذاريات، الآيات: 43-45، والقمر، الآيات: 29-31، والحاقة، الآية: 5.

(6) انظر: سورة هود، الآية: 81، والحجر، الآية: 82، والذاريات، الآية: 33.

(7) انظر: سورة الشعراء، الآية: 178، وهود، الآية: 94، والأعراف، الآية: 91.

(8) انظر: سورة يونس، الآيات: 88-91، والزخرف، الآيات: 51-56.

(9) سورة القصص، الآية: 76، وانظر التفصيل في كتاب الجواب الكافي لابن القيم، ص 84-86، وسورة الأعراف، الآيات:

النوع الرابع: الترهيب بالوعيد بالعذاب الآجل في الآخرة:

الوعيد بالعذاب الآجل يوم القيامة هو من الأقوال العظيمة الحكيمة التي تلين لها قلوب أهل العقول، حين تُذكر ببطش الله، ونقمته، وعذابه الأليم، لمن حادَّ الله ورسوله، وتعدى حدوده: {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} (1)، {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا} (2)، {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (3).

وهذا النوع كثير في كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - (4).

النوع الخامس: الترهيب بوصف حال الكفار والمجرمين وما أعد الله لهم من عذاب في الآخرة:

من المعلوم يقيناً أن وصف الداعية الحكيم أحوال الكفار والمنافقين والعصاة وهم يتلقون أنواعاً من العذاب الأليم، وذكره لبعض ما أعد الله لهم في الآخرة من أصناف العذاب والعقاب، مما يُثير الخوف والرعب والفرع في النفوس، ويحملها على أن تفر إلى الله ربها فتخلص له العبودية وتتوب إليه؛ لتنجو من عذابه، ومن خزي هذا اليوم العظيم، ومن ذلك قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا} إلى قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مثوى المتكبرين} (5)، وقوله تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوهَا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} (6)، {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ* يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ} (7).

59- 141، وهود، الآيات: 25-110.

(1) سورة النساء، الآية: 14.

(2) سورة الجن، الآية: 23.

(3) سورة النساء، الآية: 115.

(4) كتاب: التخويف من النار، لابن رجب، ص 13.

(5) سورة الزمر، الآيات: 71-72.

(6) سورة الزمر، الآية: 60.

(7) سورة الحج، الآيات: 19-21.

وقد ذكر - سبحانه - لباسهم في النار، وشرابهم⁽¹⁾، وطعامهم⁽²⁾، وسلاسلهم وأغلالهم، وأنكالهم، ومقامعهم، وعظم أجسادهم⁽³⁾، وهذا لهم من أعظم الخسران المبين: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (4).

النوع السادس: الترهيب بالعذاب النفسي يوم القيامة:

من الحكمة القولية التي توجه إلى الغافلين والمعرضين والمصرّين على الجرائم والذنوب ذكر بعض ما بينه الله - تعالى - من العذاب النفسي لأهل النار أعاذنا الله منها، ومن هذا النوع على سبيل المثال:

قال الله تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُؤْنِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ} (5)، وقال تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} * قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ} (6)، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ، قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} (7)، وقال تعالى: {وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ، لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} (8).

وغير ذلك من أنواع العذاب النفسي، فإنهم عندما يسألون الخروج من النار، ثم ترد عليهم مسألتهم تتقطع قلوبهم همًّا وغمًّا⁽⁹⁾.

- (1) انظر: سورة محمد، الآية: 15، وسورة إبراهيم، الآية: 9، وسورة الكهف، الآية: 29.
- (2) انظر: سورة الدخان، الآية: 43، وسورة المزمل، الآية: 12، وسورة الحاقة، الآية: 35.
- (3) سورة غافر، الآيتان: 71، 72، وسورة الحاقة، الآية: 12، والبخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، 415/11، (رقم 6551).
- (4) سورة الزمر، الآية: 15.
- (5) سورة إبراهيم، الآية: 22.
- (6) سورة المؤمنون، الآيات: 106 - 108.
- (7) سورة غافر، الآيات: 10 - 12.
- (8) سورة الزخرف، الآيتان: 77 - 78.
- (9) جامع الأصول لابن الأثير، 512/10 - 523، ثم 537/10 - 564، والتخويف من النار لابن رجب، ص 64 - 283.

القسم الثاني: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على أنواع الذنوب وأحاديها:

هذا قسم مهم، والناس بحاجة إليه؛ ليبتعدوا عن آحاد المعاصي، ويُقلعوا عما تلبسوا به منها، ويُظهروا توبتهم الصادقة.

فينبغي للداعية إلى الله - تعالى - أن يهتم بهذا القسم، ويذكر ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد بالعذاب والعقوبات والنقم على آحاد الذنوب وأنواعها، كالتهاون ببعض أمور العقيدة الإسلامية، وكالتهاون بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج عند الاستطاعة، والتحذير من عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاجر بين المسلمين، والشحناء، والإنذار من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا، واللواط، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والسرقعة، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والقذف، والغيبة، والنميمة، وأعظم من ذلك التحذير من الشراكيات والبدع المحدثثة في الدين، والسحر، وإتيان الكهنة، والعرافين، والتعلق بالأولياء والصالحين، وغير ذلك من أنواع المعاصي.

ويلزم الداعية أن يحذر الناس بالقول الحكيم من أنواع الرذائل الخلقية: كالجبين، وعدم العفة، والكذب، ونقض العهد، والغدر، والخيانة، والنفاق، والرياء، والغضب، والكبر، والبخل، والشح، والجزع عند المصائب، والحقد، والحسد، والتحذير من كل ما يضر الأمة في دينها ودنياها⁽¹⁾. فإذا ذكر الداعية ما ورد في ذلك من التحذير بالقول الحكيم أثمر ذلك مجتمعاً مستقيماً - بإذن الله تعالى.

ونظراً لسعة هذا القسم وكثرة أنواعه فسأكتفي بالأمثلة الآتية:

قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.⁽²⁾ وقال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ

(1) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص 180-305، وهداية المرشدين، ص 215. دار الاعتصام عام 1399 هجرية ط - التاسعة.

(2) سورة المائدة، الآية: 72.

وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا⁽¹⁾، وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ يَبْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ⁽²⁾}.
 أما الأمثلة من السنة، فمنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»⁽³⁾.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا ما في أيديهم، وما لم تحكم أمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»⁽⁴⁾.

وهذا من أعلام نبوته - صلى الله عليه وسلم - فقد وقع ذلك كله بمن وقع في هذه المعاصي، ومن الأدلة المحسوسة على ذلك مرض الإيدز، الذي وقع بمن أباحوا الفواحش.
 وقد لعن - صلى الله عليه وسلم - من لعن والديه، ومن ذبح لغير الله، ومن آوى محدثاً، ولعن على فعل ذنوب كثيرة غير ذلك⁽⁵⁾.
 وذكر الداعية ذلك مما يدفع العصاة على الفرار من الذنوب والرجوع إلى الله - تعالى - والندم على ما مضى، والله الموفق سبحانه⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء، الآية: 93.

(2) سورة الرعد، الآية: 25.

(3) البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...}، {393/5، (رقم 2766)،

ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وكبرها، 92/1، (رقم 89). من حديث أبي هريره

(4) ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات 1332/2، (رقم 4019)، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 540/4، وانظر:

صحيح ابن ماجه، 370/2، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، 1/216-217، برقم 106.

(5) انظر أنواعاً من المعاصي التي لعن عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجواب الكافي لابن القيم، ص 115-119.

(6) كتاب الترغيب والترهيب للمندري، وكتاب الكبائر للذهبي، وكتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الهالكين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين.

المبحث الرابع

دور المراكز الإسلامية في دعوة غير المسلمين

أولًا : إعداد الداعية

ثانيًا : صفات الداعية

ثالثًا : السلام النفسي والعاطفي للداعية

أولًا كيفية إعداد الداعية:

لما كان للداعية من أهمية في تبليغ الإسلام، ولحاجة الدعوة إلى دعاة أكفاء قادرين على القيام بالواجب المنوط بهم، نتناول هذا الموضوع بمشيئة الله - تعالى - في النقاط الآتية:

1- وجوب تبليغ الدعوة وإعداد الداعية.

2- أهم الصفات الواجبة للداعية.

3- كيفية إعداد الداعية.

وجوب تبليغ الدعوة وإعداد الدعاة:

كان من رحمة الله بالناس أن جاءتهم الدعوة الإلهية بما اشتملت عليه من أسس صالحة، ونظم كاملة لكافة جوانب الحياة.

وقد أوجب الله - تعالى - تبليغ دعوته للناس، حيث أمر رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم

- بذلك في قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ} ⁽¹⁾ والأمر يفيد الوجوب، ومن المعلوم الأصل في خطاب الله لرسوله دخول أمته فيه إلا ما استثنى، وليس في هذا المستثنى أمر الله - تبارك وتعالى - بالدعوة لدينه، فبقي وجوب تبليغ

الدعوة على المسلمين، كما وجب على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وقد وجه الرسول

أصحابه إلى هذا الواجب، حيث أمرهم وقال: عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة ذكر النبي -

صلى الله عليه وسلم - قال: فإن دماءكم وأموالكم، قال محمد وأحسبه قال: وأعراضكم عليكم

حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، ألا لبيلغ الشاهد منكم الغائب. وكان محمد يقول صدق

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان ذلك ألا هل بلغت مرتين ⁽²⁾.

1- سورة النحل، آية: 125.

2- صحيح البخاري. كتاب العلم، باب لبيلغ الشاهد الغائب. من حديث أبي بكره رقم 5230.

كما أن طبيعة الإسلام تؤكد هذا الواجب؛ لأنه دين عام خالد يستلزم استمرار الدعوة إليه وتبليغه للناس.

وإعداد هؤلاء الدعوة واجب حيث أمر الله بذلك في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (1) ذلك أن على المسلمين أن لا يخرجوا جميعاً للجهاد في سبيل الله، وإنما عليهم أن يخصصوا من كل جماعة نفراً يخرجون للدعوة، يتحملون المشقة في فقهاها، ومعرفة طرق الإنذار بها، قاصدين من هذا الإعداد إرشاد غيرهم، والنصيحة لهم أملاً في هدايتهم وإيمانهم. وقال تعالى: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (2) والأمة هي طائفة عالمية، حيث أمر الله المسلمين من بينهم جماعة تتخصص في الدعوة إلى الخير إذ تعلم المعروف وتأمُر به، وتدرك المنكر وتنتهي عنه، وتصدير الآية بلام الأمر يفيد وجوب إيجاد هذه الفئة العالمية لتبليغ الدعوة.

وقد ربي الرسول أصحابه على الحق، واختار منهم من يصلح للدعوة، وبعثهم إلى عدد من الشعوب يدعونهم إلى الله تعالى.

وهذا دليل على وجوب إعداد الدعوة؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما أن سؤال الله للناس في الآخرة يقتضي تبليغ دين الله إليهم والدعوة لا تبليغ وحدها، فلزم وجود دعاة يحملونها ويبلغونها للعالمين. وهكذا وجب تبليغ الدعوة، ووجب إعداد الدعوة، ولئن كانت الحاجة إلى الدعوة الأكفاء ملحة دائماً، فإن هذه الحاجة الآن أشد ليتعلم المسلمون ما جهلوا من دينهم، وحتى يمكن مواجهة خطر التيارات المادية التي اتسع نشاطها بواسطة دعاة المذاهب البشرية، والنحل المحرفة الذين دربوا على الترويج لباطلهم في نكاء واضح، وخطة مدروسة، وهدف محدد.

وليس بجائز أبداً أن يضعف صوت الحق أمام الهوى، وتذاع الشبهات الملحدة في الناس ولا تجد من يتصدى لها ويهدمها بالحجة والبيان، إن إعداد الدعوة واجب يلتزم به المسلمون، وعلى الأمة أن تقوم به أداءً لواجب الدعوة، ووفاءً للأمانة التي لزمتهما.

1- سورة التوبة، آية: 122.
2- سورة آل عمران، آية: 104.

الصفات الواجبة للدعاة:

تهدف عملية إعداد الدعاة إلى إيجاد نفر من المسلمين متميزين بصفات خاصة تمكنهم من القيام بالواجب الذي أنيط بهم وهو تبليغ الدعوة.

وهؤلاء النفر ملتزمون بتقويم الصلة بالله وبال دعوة والمدعوين؛ ولذا كانت أهم الصفات التي يجب أن يتمتع الدعاة بها هي:

1. الإيمان العميق:

الإيمان هو الركيزة الأساسية للداعية وهو القاعدة التي يقوم عليها كيانه كله، والواجب أن تكون صلته بالله أوثق، ومعرفته به أوضح، وشعوره بجلاله أقوى، وارتباطه بمنهجه أشد. إن هذا الإيمان يعني التسليم التام لله؛ لأنه النافع الضار، المعز المذل، وأنه لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى. كما ينبغي التيقن بأن دين الله حق كله لا يحتاج لجدل، ولا يقبل شكاً ومراجعة؛ ومن ثم يثبت هذا الإيمان عنده ولا يتزعزع مهما تكن الشدائد. ومهما قوي الأعداء، وكثر الخصوم.

ويجب أن يكون إيمان الداعية إيماناً تفصيلياً على الأدلة والحجة، وأقرب طريق لتأكيد هذا الإيمان مداومة النظر في القرآن الكريم، والعكوف على تلاوته، وحفظه، وتدبر معانيه، وتنفيذ تعاليمه. وتبيين أحكامه من خلال دراسته للسنة المطهرة.

ونتائج هذا الإيمان تفيد الداعية، وتعينه على الدعوة؛ لأنه به يحب الله، ويصير محبوباً من مولاه. قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (1)، وقال: {لِيُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (2).

وحب المؤمن لله عبارة عن استغراق مطلق في الطاعة، وتسليم تام بكل ما يجد ويحدث، وحب الله للمؤمن يكسبه إعنته، وهدايته، والأخذ بيده نحو الحق والخير، وهذا الحب يستتبع الثقة بالضرورة؛ لأن الداعية ما دام اعتقد الحق وآمن به، والتزم في كل حياته أوامر الله ونواهيه فإنه يثق حينئذ بأن كل ما يحدث له ومعه جزء من الحكمة الإلهية الشاملة. والإيمان يعين على الدعوة أيضاً، حيث يندفع الداعية نحو الإخلاص والعمل، ودعوة الناس بلا انتظار أجر مالي، أو الحصول على كسب دنيوي، وكل القصد هو طاعة الله، وكسب رضاه بالدعوة؛ لأنه يؤمن بأن أحسن الأقوال وأفضل الأعمال ما كان للدعوة وفي سبيلها.

1- سورة البقرة، آية: 165.

2- سورة المائدة، آية: 54.

وإن حدث وجوبه الداعية بمعوقات تقف بينه وبين النجاح في الدعوة فإن الإيمان يمدّه بطاقة من التحمل والصبر تجعله يستصغر كثرة الخبيث، ويستهن بقوة الأعداء، ولا يخشى في الله لومة لائم، أو جور ظالم، ويرفع في الناس شعاره وهو قوله تعالى: {قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَعْضُ رِبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (1) هكذا الإيمان الصادق يوجد الحب والثقة. ويحقق الإخلاص والتحمل، وعلى الداعية أن يتصف به.

2. العلم الدقيق:

دور الداعية يحتاج إلى العلم الوافر، والأفق الواسع؛ لأنه يوضح الدين ويبين للناس سمو مبادئه ونظمه، ويرد الشبهات التي تثار أمامه؛ ومن هنا كانت حاجته إلى التحصيل الدائم، والمعرفة الشاملة.

وطبيعة الإسلام تتطلب من الدعاة أن يكونوا علماء فاهمين؛ لأنه دين يؤخذ من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلاهما يحتاج إلى القراءة المستمرة، والتدبر الواعي، والفهم السليم، كما أن تبليغ الإسلام يحتاج إلى معرفة الناس، ومعرفة أمثل الطرق للتوجه إليهم وإقناعهم، وأهم جوانب علم الداعية ما يلي:

أ – العلم بالدعوة: عمل الداعية نشر الدعوة؛ ولذا كان العلم بها من أساسيات علم الداعية لأن فاقده الشيء لا يعطيه. والدعوة بكافة جوانبها تعرف بمعرفة القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى الدعاة أن يتخذوها زاداً لهما فيعيشون مع القرآن تلاوة وحفظاً، وفهماً، ومع السنة قراءة وتدبراً، وحفظاً، ومع سائر العلوم الإسلامية التي قدم فيها سلفنا الصالح الدراسات العديدة كعلوم القرآن، والسنة، والفقه، والعقيدة.. وبذلك يفهمون الدعوة ويتمكنون من تبليغها للناس.

ب – العلم بالمدعوين: يتنوع المدعوون تنوعاً واضحاً؛ بسبب ما بينهم من اختلاف، ومخاطبة كل نوع يحتاج لطريقة معينة – لأن ما يؤثر في جماعة قد لا يؤثر في غيرها – ولذا وجب على الداعية أن يعلم خصائص من سيدعوهم من ناحية العادات، والتقاليد، والمذاهب، والاتجاهات السائدة فيهم.

ويعتبر العلم بالمدعوين من أهم جوانب علم الداعية في العصر الحديث؛ لكثرة المذاهب الوضعية وانتشارها ونشاط دعائها، وتناولهم على الواقع، وادعاءاتهم الكاذبة في أنهم يمثلون

الحق والمستقبل السعيد للناس؛ ولأن الداعية بهذا العلم يمكنه من مجابهته الباطل ودحضه ورد مفترياته بما في دعوته من حق ووضوح، ويساعد الداعية في هذا الجانب بعض العلوم الحديثة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والخدمة الاجتماعية، وعلم مقارنة الأديان، وعلم الجغرافية البشرية، وتاريخ العمران، والحضارة.. إلخ.

ت – العلم بوسائل الخطاب: وسائل تبليغ الدعوة عديدة. ولكل منها منهج، ولا بد للداعية من معرفة هذه الوسائل، وعليه أن يتقن الطريقة المثلى لتطبيق كل وسيلة مع المخاطبين بعد إعدادها وتنظيمها.

إن وسائل الدعوة عديدة، وقد أضاف العلم الحديث إليها العديد من الوسائل حتى عدت المسرحية الهادفة، والتمثيلية المعبرة، والراديو، والصحف، ووسائل يمكن بواسطتها تبليغ الدعوة إلى الناس. وبهذا العلم المحتوي على معرفة الدعوة، ومعرفة المدعويين، ومعرفة وسائل الخطاب، يكتمل للداعية الجانب المعرفي الذي يحتاج إليه لأداء الواجب.

3. الخلق المتين؛

الداعية أخ للمدعويين استظهر عليهم بالنصح والتوجيه، وحاجته إلى تقديرهم له، وثقتهم به واضحة. ولا يمكنه ذلك إلا بالخلق الكريم البادي من احترامه للناس، وتقديرهم، والصدق معهم، والكرم في معاملتهم، والأمانة الشاملة في سائر ما يكون معهم. وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم». إن الأخلاق فوق أنها كمال ذاتي للداعية فهي مدعاة لتبوءه قيادة الناس، وتوجيههم وللدعاة في ذلك أسوة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقد تمتع بالخلق، واشتهر في الناس بالصدق والأمانة، والحلم، والعفو، والكرم، وحب الخير للناس، وصدق الله - تعالى - وهو يقول: {وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ} وهكذا يجب أن يكون الدعاة.

السلام النفسي والعاطفي للداعية:

طبيعة الإسلام أنه دين قوي ومحكم، كابح لجماح النفس الشريرة، وقوانينه تتعارض مع كثير من المتسلطين وأصحاب الهوى؛ لذلك فإن طريق الدعوة إلى هذا الدين الحنيف غير مفروش بالورود، ولا تحف جانبيه أشجار وثمار وظل ظليل، ولا تحيطه نسمات الربيع، ولا يغمره عبق الزهور؛ ومن ثم لن يحرق الناس على مقدم الدعاة إليه أعواد البخور، وإنما على الداعية أن يعلم أن طريق الدعوة إلى الله مليء بالأشواك والعثرات، ومحفوف بالمخاطر والعقبات، فلا بد للسالك فيه أن يكون جلدًا صبورًا محتسبًا.

وأن يكون قد أعدّ العدة، وتزود بكل ما يمكنه التزود به من زاد وعتاد، وعباً قدراته لهذا المشوار الشاق الطويل، وأن يعلم أن الأمر جاد وليس بالهزل.

ولذلك قال - تبارك وتعالى - لرسوله الكريم موضحًا تلك الحقائق: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ. قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نَصَفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا. إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (1).

فان الداعية إلى الإسلام لا بد أن يعلم أنه سيواجه الجاهل والعالم، والمعاند، والحاكم الظالم، وغير ذلك من أصناف وألوان البشر، وأنواع الفكر، وعليه أن يعامل كل صنف أو نوع منها بما يناسبه.

ومن ثم؛ يلزم الداعية التمتع بقدرات خاصة يتزود بها قبل خوض غمار تلك الساحة الشريفة. والقدرات التي يمكن للداعية اكتسابها تارة تكون قدرات ذاتية نابعة من داخله، مثل هذه القدرات التي تكتسب من ترويض النفس وتربيتها بشكل تنمو عندها تلك القدرات وتقوى، وتارة أخرى تكون تلك القدرات خارجية؛ أي أنها تكتسب من خارج النفس البشرية عن طريق الممارسة. إن أهم القدرات التي يحتاج إليها الداعية ليتزود بها من داخل نفسه قد ذكر الله - سبحانه وتعالى - أهمها في أول تعليمات وجهها إلى رسوله - صلوات الله عليه وعلى آله وسلم - : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمُنْ بِتَسْتَكْبِرْ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (2).

1 - سورة المزمل، الآيات: 1-7.

2- سورة المدثر، الآيات: 1-7.

تضمنت الآيات الشريفة أهم قدرات لازمة للداعية، وهي:

{وثيابك فطهر}، بمعنى القدرة على الترفع عن الدنيا.

{ولا تمنن تستكثر}، بمعنى القدرة على التواضع.

{ولربك فاصبر}، بمعنى القدرة على الصبر.

إن طهارة النفس تعني استقامتها وسلامتها من الاضطراب والخلل، وتوازنها بين المدّ والجزر الحاصل بين رغبات الغرائز، وسيول الملكات داخل الإنسان فلإنسان غرائز لها رغبات لا بد أن يقضيها بالحلال كانت أم بالحرام، بالعدل، أو بالظلم. وفي مقابلها ملكات تميل إلى الكمال والسمو، فيحدث التنازع بين طبيعة الغرائز ونزواتها، وبين طبيعة الملكات وميولها.

فإذا مالت النفس إلى طرف دون طرف من طرفي النزاع داخل الإنسان حدث الخلل وعدم التمام. إن أول ما تتمتع به النفس المتوازنة هي طهارتها. وتتعكس بالتالي على الاعتدال في السلوك، والاعتدال في الأحكام على أفراد المجتمع، والسعي والطهارة النفسية قدرة خاصة يستطيع الإنسان اكتسابها وتتميتها عن طريق ممارسة الشرع. كممارسة ما أباحه الله في الشرع للجسد من مأكّل، ومشرب، وملبس، وزينة وزواج، والسعي إلى التقدم الاجتماعي، والسعي وراء الرزق وغير ذلك من أمور شرّعها الله لتغذية الجسد والرغبات. ومن جهة أخرى نلتزم بما فرضه علينا من عبادات ومناسك لتغذية الروح.

والداعية الإسلامي لا بد أن يبتعد عن تلك الخبائث من الأعمال، حيث لا يمكن أن يكون كلام الداعية مقبولاً، أو يكون له وزن عند المدعو إذا كان يأمر ولا يَأْتَمِر هو، وينهى ولا ينتهي، ويرشد وهو ضال، ويعطي وهو فاقد لما يعطي.

والترفع عن الخبائث من مقومات سلامة النفس وصيانتها من الخلل؛ لأن ممارسة السلوك مع مخالفة الاعتقاد بها مع عدم وجود الاضطرار يؤدي إلى عدم توافق ما في النفس مع السلوك. أي أنه يحدث التناقض بين باطن آثم، وظاهر طاهر، أو ظاهر آثم مع باطن طاهر.

وكلتا الحالتين في حقيقتيهما عدم توافق نفسي؛ لذلك قد جمع الله أمري الصلاح ولم يفرق بينهما في كثير من الموارد: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات} فإن في ذلك توافقاً بين السلوك والإيمان الداخلي وممارسة الداعية للدنيا والخبائث لا تسلم نفسه من تأنيب الضمير الذي يحدث

قلقًا واضطرابًا عند الداعية؛ مما يفقده القدرة على التوازن وضبط النفس، فتكون النتيجة الحتمية هي الفشل في عمله كداعية.

لذلك عندما يشعر الداعية بهذه الحالة لا بد له أن يتوقف عن الدعوة حتى يراجع نفسه، ويهذب من سلوكه، بحيث تتسجم مع إيمانه، فتربية النفس تأتي قبل تربية الآخرين.

مكانة الدعوة في الإسلام:

تحتل الدعوة إلى الله مكانة مهمة للغاية في دين الإسلام. فالدعوة هي تبليغ رسالة الله - سبحانه - إلى البشر، وهي بذلك مهمة الرسل والأنبياء، ومهمة من شرفه الله بحمل العلم من البشر . وقد حمل النبي - صلى الله عليه وسلم - لواء الدعوة، فأدى مهمته خير قيام. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} (1). فبلغ - صلى الله عليه وسلم - الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى لقي ربه وقد دخلت جزيرة العرب في دين الإسلام.

وقام صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحمل لواء الدعوة من بعده، فأدوا ما عليهم خير قيام، وبذلوا قصارى جهدهم في تبليغ دعوة الله - سبحانه وتعالى - إلى جميع البشر في مشارق الأرض ومغاربها. ثم حمل الراية بعد ذلك التابعون، ففتحوا البلاد، ودانت لهم الدول والممالك.

وها نحن اليوم نرى آثار هؤلاء القوم من حولنا، فنجد الإسلام قد انتشر في بقاع الأرض شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا. وما كان هذا ليحدث لولا جهود السابقين وتضحياتهم الجسيمة في سبيل الدعوة لدين الله.

فإذا رأينا هذا بأعيننا، علمنا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه الإسلام، وأن من واجب الدين علينا تحقيق ما بدأه آباؤنا من قبل، والسير على نهجهم في دعوة البشر إلى دين الله. يضاف إلى ذلك اليقين بأن الإسلام دين عالمي يخاطب البشر جميعًا. فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله - سبحانه - دينًا للبشرية، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (2)، وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} (3)، وقال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

1- سورة الأحزاب، الآيات: 45-46.

2- سورة آل عمران، آية: 19.

3- سورة آل عمران، آية: 85.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا⁽¹⁾. فلا دين عند الله مقبول غير دين الإسلام، ومعنى هذا اليقين بأن غير المسلمين مدعوون إلى الإسلام، وأن عبء هذه الدعوة يقع على عاتقنا نحن. كما أن القيام بالدعوة إلى دين الله هو تحقيق للخيرية التي وصف الله - عز وجل - هذه الأمة بها. قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}⁽²⁾.

لذا نجد أن جميع أبناء هذه الأمة مطالبون بنشر دعوة الإسلام، وأن عليهم الاقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته في هذا الشأن، كما أن عليهم الاستعداد للبذل والتضحية في سبيل نشر هذه الدعوة إلى جميع أرجاء الأرض.

أسس الدعوة إلى الإسلام:

ولكن ما هي الأسس التي أستطيع إقامة الدعوة إلى الإسلام عليها؟ في الواقع توجد عدة مبادئ يجب الالتزام بها أثناء القيام بالدعوة إلى الإسلام، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- زرع حب الله في قلب من تدعوه، وتعهد بذرة الإيمان بالرعاية حتى تنمو وتتضج. ذلك أن الالتزام بالإسلام يترتب عليه تحمل تكاليف وأعباء كبيرة، لن يستطيع المرء أداءها إلا إذا نما في قلبه حب الله، والرغبة في ثوابه، والخوف من عقابه. وأهم مدخل لهذا الجانب هو التركيز على أسماء الله الحسنى وصفاته العلاء، وأن الله - سبحانه - هو الخالق الرازق المحي المميت. كما يجب التركيز على مدخل أن الحياة الدنيا ما هي إلا دار ممر لدار مقر، وأن هناك حياة بعد الموت، وسوف يعقب ذلك حساب وجزاء: يثاب فيه المحسن على ما أتى من حسنات، ويعاقب فيه المذنب على ما اقترفه من سيئات.

2- إعطاء المثال والقُدوة من نفسك. واعلم يقيناً أن الفعل أقوى أثراً من القول، وأن القول إذا صاحبه ما يؤيده من الفعل وقر في الضمير، واستقر داخل النفس. واعلم أيضاً أن الإسلام لم ينتشر في أنحاء كثيرة من العالم إلا بفضل أخلاق تأدب بها التجار المسلمون الذين يجوبون العالم يحملون بضائعهم معهم. كما أن الله - تعالى - ذمّ الذين يفعلون غير ما يقولون، فقال عز

1- سورة المائدة، آية: 3.
2- سورة آل عمران، آية: 110.

وجل: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (1)؛ لذا يجب أن تتطابق أقوالك مع أفعالك عند الدعوة إلى الإسلام.

3- اتباع الأسلوب الحسن عند الدعوة إلى الإسلام، وإظهار لين الجانب لمن تدعوه.

واعلم أن النفوس جُبِلت على حب من يحسن إليها، وأن الفظاظ في الدعوة قد تدفع أحياناً إلى المكابرة والإصرار والعناد، فتؤدي بذلك إلى عكس المرجو منها.

4- العلم بأن لكل مقام مقال، وبأن نجاح أسلوب معين مع شخص ما، قد لا يفيد استخدامه مع غيره، بل إن نجاح أسلوب ما مع شخص ما في وقت معين، قد لا يفيد استخدامه مع هذا الشخص نفسه في وقت آخر.

وهذا يستدعي ضرورة معرفة الشخص المدعو، والتعرف على أفكاره، ومفاهيمه، وتصوراتاه. 5- عدم تعجل النتائج. فأنت مأمور بالدعوة إلى الإسلام، وليس لك أن تنتظر ثمرة لهذه الدعوة في الدنيا، فإذا تحققت ثمرة عاجلة لدعوتك، فاحمد الله لذلك، أما إذا تأخرت نتائج دعوتك، ولم ترَ ثمارها قد أينعت سريعاً، فلا تدع اليأس يتسرب إلى قلبك.

واعلم أن يوم القيامة قد يأتي بعض الأنبياء والرسل وليس لهم تابعون على الإطلاق. إذن فالمعيار هو أن تبذل الجهد في الدعوة، ولا تنتظر النتيجة.

6- الصبر على مشاق الدعوة. واستحضر في نفسك دائماً قول لقمان لابنه وهو يعظه:

{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (2).

فقد أوصاه بالصبر على الدعوة عقب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فطريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود، فيجب توطين النفس على ذلك الأمر من البداية، حتى لا تترك نفسك للفرار عند أول محنة تواجهك في هذا الطريق.

7- التضحية بالمال والوقت في سبيل الدعوة لدين الله. فيجب تقديم مصلحة الدين على أي مصلحة أخرى. ويجب هدم مقولة: "اللي يعوزه البيت يحرم على الجامع"، فهذه دعوة خبيثة

1- سورة البقرة، آية: 44.

2- سورة لقمان، آية: 17.

لتفضيل الأمور الخاصة على الأمور العامة، بل يجب أن يترسخ في الذهن عقيدة "اللي يعوزه الدين له الأولوية القصوى".

دور القرآن الكريم وأهميته في دعوة غير المسلمين:

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للمسلمين وغير المسلمين، يقول تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هِيَ أَقْوَمٌ وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (1)

ويقول الله تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (2)، وحتى يؤدي القرآن وظيفته الرئيسية لا بد من ترجمة معانيه إلى اللغات الأخرى لتعريف الآخرين بهذا الوحي، وخاصة اللغة الإنجليزية؛ لأنها تعتبر اللغة العالمية، وفي ترجمة معاني القرآن الكريم متابعة للرسول في تبليغ الدعوة الإسلامية لغير المسلمين، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (3).

ويقول الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (4).

ويقول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -:

حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، قَالَ أَقْبَلَ أَبُو كَبْشَةَ السَّلُولِيُّ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَكْحُولٌ، وَابْنُ أَبِي زَكَرِيَّا، وَأَبُو بَحْرِيَّةَ، فَقَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَدًّا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». (5)

ويقول الرسول: عن أبي بكرة ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «فإن دماءكم وأموالكم قال محمد: وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ألا ليبلغ

1- سورة الإسراء: آية: 10.

2- سورة إبراهيم، آية: 52.

3- سورة المائدة، آية: 67.

4- سورة يوسف، آية: 108.

5- صحيح البخاري - أحاديث الأنبياء رقم (3274).

5- سنن أبي داود، كتاب العلم، رقم 3660، باب 10. من حديث أبي بكرة

الشاهد منكم الغائب». وكان محمد يقول صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان ذلك
ألا هل بلغت مرتين (5)

وقال ابن تيمية: (ترجمة القرآن لمن لا يفهمه بالعربية يحتاج إليه من لغته فارسية، وتركية،
ورومية، والصحابة لما كانوا عرباً استغنوا عن ذلك). (1)
ولا شك أن أولى الخطوات على طريق إصلاح أحوال المسلمين وغير المسلمين، هي تخليص
المسلمين من أمراضهم المعاصرة، وبناء المجتمع الإسلامي القوي على أسس سليمة ودعائم
ثابتة أولاً، ثم بعد ذلك دعوة غير المسلمين، ولا بد من توفر الصفات الداعية الذي يدعو غير
المسلمين، ومن هذه الصفات ما يلي:

1- الإخلاص والأمانة: يجب على الداعية أن يكون أميناً ومخلصاً لله عندما يدعو المسلمين
وغير المسلمين يقول تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
رَبِّهِ أَحَدًا} (2).

وعلامة الأمانة والإخلاص عند الداعية الانفعال بالدعوة، وبذل أقصى الجهد والطاقة في
سبيلها، كذلك لا يطلب الداعية على دعوته أجراً، يقول تعالى: {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (3).

ولا يقصد من ورائها جزاءً ولا شكوراً من أحد، ولا تحصيل جاه أو سمعة، أو شهرة،
والإخلاص والأمانة يكونان في القول والعمل مع المسلمين وغير المسلمين. (4)

2 - العلم وسعة الاطلاع: لا بد للداعية أن يكون عالماً بما يدعو إليه، فالجاهل لا يصلح أن
يكون داعية، قال الله - تعالى - لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. (5)

والبصيرة هي العلم، وذلك لأن الداعية لا بد أن يواجه علماء ضلال يوجهون إليه شبهات
ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، قال الله تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وقال النبي -
صلى الله عليه وسلم - لمعاذ: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب....» (1)

1- فتح الباري - ابن حجر (الناشر دار المعرفة بيروت ط- 1 عام 1379 هـ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي).

2- سورة الكهف، آية: 110.

3- سورة هود، آية: 51.

4- (50) تفسير الطبري.

5- سورة يوسف، آية: 108.

فإذا لم يكن الداعية مسلحًا بالعلم الذي يواجه به كل شبهة، ويجادل به كل خصم، فإنه سينهزم في أول لقاء، وسيقف في أول الطريق.

القدوة الحسنة للداعية:

بحيث تصدق أقواله أفعاله والعمل بما يدعو إليه، ولا يكون للمبطلين عليه حجة، وقال - تعالى - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}. (2)

وقال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}. (3)

4 - التواضع من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية عند دعوته غير المسلمين في كل الأحوال؛ لأن التواضع الترجمة العملية لأخلاق الدعوة، بحيث يعيش الداعية واقعا عمليا بين المدعوين، وخاصة إذا كانوا غير مسلمين، قال عمر - رضي الله عنه - : (تعلموا العلم، للعلم والسكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه؛ ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم) (4).

5- لين القول وحسن الخلق: فعلى الداعية في دعوة غير المسلمين اتباع منهج الرسول الكريم الذي كان لين القول وحسن الخلق، يقول تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. (5)

6- البدء بالأهم ثم المهم: على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، وذلك بأن يدعو أولاً إلى إصلاح العقيدة، ثم الأمر بإخلاص العبادة لله، والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، كما هي طريقة الرسل جميعاً كما قال تعالى:

1- تفسير الطبري: 51.

2- سورة الأنعام، آية: 162.

3- سورة فصلت، آية: 33.

4- (52) كتاب المهارات الفنية للخطيب، الأستاذ الدكتور يسري محمد هاني.

5- سورة آل عمران، آية: 159.

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ}. (1)

7- الصبر على دعوة غير المسلمين: فعلى الداعية أن يتسلح بالصبر؛ لأنه سيواجه في سبيل الدعوة إلى الله الكثير من المشاق؛ لأنَّ طريق الدَّعوة ليس مفروشاً بالورود، وإنما هو محفوف بالمخاطر، وخير أسوة في ذلك هم الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - فيما واجهوا من أقوامهم من الأذى والسخرية، كما قال الله تعالى: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (2).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأُذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ} (3).

8- على الداعية أن يستعمل أساليب الحكمة في دعوة غير المسلمين: لأنَّ هذه أدعى لقبول دعوته، كما أمر الله نبييهِ الكريمين: موسى، وهارون - عليهما الصلاة والسلام - أن يستعملا ذلك في مواجهة أكفر أهل الأرض، وهو فرعون الذي ادَّعى الربوبية، حيث قال سبحانه: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}. (4)

وقال - تعالى - لموسى عليه وعلى نبيينا الصلاة والسلام: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}. (5)

وقال - تعالى - في حق نبيينا محمد - عليه الصلاة والسلام -: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَوْنَتْ فِطْرًا غَلِيظًا الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (6)، وقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ} (7).

9- الجرأة في قول الحق: وهذه أهم من مميزات الداعية، الذي يدعو غير المسلمين، فيدعو ولا يخاف في الله لومة لائم، وفي الرسول الكريم الأسوة الحسنة للداعية، فقد طلب منه قومه التنازل

1- سورة النحل، آية: 36.

2- سورة الأنعام، آية: 10.

3- سورة الأنعام، آية: 34.

4- سورة طه، آية: 44.

5- سورة طه، آية: 43.

6- سورة الأنعام، آية: 195.

7- سورة القلم، آية: 4.

عن دعوته في مقابل شهوات الدنيا فوقف شامخاً وقال: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».(1)

10- الأمل وعدم اليأس: على الداعية أن يكون قوي الأمل، لا ييأس من تأثير دعوته وهداية قومه، وهداية غير المسلمين، ولا ييأس من نصر الله ومعونته، ولو امتدَّ الزمن وطال عليه الأمد، وله في رسل الله خير قدوة في ذلك، فهذا نبي الله نوح - عليه الصلاة والسلام - لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وهذا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لما اشتدَّ عليه أذى الكفار، وجاءه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين، قال: «لا، بل لعلَّ الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».(2)

ومتى فقد الداعية هذه الصفة، فإنه سيقف في أوَّل الطريق، ويبوء بالخيبة في عمله، ولا يستطيع أن يمضي قدماً في دعوته.

ومن جانب آخر، إذا نظرنا إلى واقع غالبية الجماعات المعاصرة التي تنتسب للدعوة إلى الله، نجد أنها لم تتفق على خطاب موحد في دعوة غير المسلمين، هذا بالإضافة أن هذه الجماعات أغفلت إلا ما قلَّ منها جانب العقيدة، وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانبية.

فجماعة تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة، وتطالب بإقامة الحدود، وتطبيق الشريعة في الحكم بين الناس - وهذا جانب مهم لكنه ليس الأهم - إذ كيف يطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على المشرك، كيف يُطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير، قبل أن يُطالب بتطبيق حكم الله على عبّاد الأوثان والقبور، وعلى الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطّلونها عن مدلولاتها ويحرفون كلماتها؟!!

أهؤلاء أشدَّ جرماً أم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون!!! إنَّ هذه الجرائم إساءة في حق العباد، والشرك ونفي الأسماء والصفات إساءة في حق الخالق - سبحانه - وحق الخالق مقدّم

1- مسند الإمام أحمد (362/1)، والترمذي (48) كتاب التفسير، تفسير سورة ص، حديث (3232) رواه أبو جعفر البخاري ... وابن عساکر من طريق أبي يعلى وغيره كلاهما عن يونس بن بكير، أخبرنا طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة قال: حدثني عقيل بن ابى طالب

2- صحيح البخاري، فتح الباري لابن حجر، وشرح السنة للإمام البغوي، برقم 4091 من حديث أم المؤمنين عائشة.
2- كتاب الاستقامة، لابن تيمية 1/466.

على حقوق المخلوقين. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستقامة: (فهذه الذنوب مع صحة التوحيد خير من فساد التوحيد مع هذه الذنوب) انتهى. (1)

وهذه جماعة أخرى تنتمي إلى الدعوة - لكنها تسير على منهج آخر يختلف أيضاً عن منهج الرسل، فلا تعير العقيدة أهميّة، وإنما تهتم بجانب التعبد، وممارسة بعض الأذكار على نهج الصوفيّة، ويركزون على الخروج والسياسة، والذي يهمهم هو استقطاب الناس معهم دون نظر إلى عقائدهم، وهذه كلها طرق مبتدعة تبدأ من حيث انتهت دعوة الرسل، وهي بمثابة من يعالج جسداً مقطوع الرأس؛ لأنّ العقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، والمطلوب من هذه الجماعات أن تصحّ مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنة؛ لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلى الله؛ فإنّ الله - سبحانه - أخبر أنّ الحاكميّة والسلطة التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها لا تتحقق إلا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

ولأنّ الإسلام يدعو إلى الاجتماع على الحق كما قال تعالى: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (2)، وقال تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (3).

11- عدم تجريح الآخرين: ينبغي على الداعية أن يتجرد في دعوته دون تجريح للآخرين، يقول تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (4).

12- يجب على الداعية أن يكون صاحب فكر وعقيدة راسخة: وأن يكون صاحب ثقافة علمية واسعة، بحيث يطلع على كل ما هو جديد في مجال التقدم العلمي، ويستفيد من ذلك في دعوة غير المسلمين.

13- الاستقلالية في الدعوة: يجب على الداعية في دعوة غير المسلمين ألا يتخذ أي وسيلة للكافرين التي تعتبر شعاراً لهم في دعوتهم وسيلة له؛ لذلك نجد أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التشبه بالكفار، يقول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ

3- الاستقامة، لابن تيمية، الناشر جامعة بن سعود المدينة - ط1، 1403.

2- سورة الشورى، آية: 13.

3- سورة آل عمران، آية: 103.

4- سورة الأنعام، آية: 108.

النَّاهِلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسْرًا مَعَهُمْ». (1)

الشروط الواجب توفرها في الداعية التي يدعو غير المسلمين:

- * لا بد للداعية أن يتقن لغة الأصل، واللغة التي يريد الترجمة إليها.
- * قدرة الداعية على التعبير بالألفاظ المعبرة والمترادفة عن الموضوع الذي يريد التحدث فيه.
- * الحصيلة العلمية للداعية في معظم فروع الإسلام، وخاصة العقيدة وأركانها، وكذلك الشريعة وفروعها.
- * أن يمتلك الداعية المهارات والقدرات الشخصية في تطويع الأفكار وإيصالها للمدعو بالأساليب الممتعة والشيقة والسهلة، بعيدًا عن الألفاظ التي لا تفهم، أو الألفاظ التي فيها إيذاء أو تجريح للآخرين.

فإن هذه الأمة مطالبة بتبليغ دعوة الله إلى أهل الأرض قاطبة، والواجب عليها إرسال الرسل إلى كل بلد لدعوتهم إلى دين الله، وإيضاح الدين الإسلامي لهم، وبيان محبة الإسلام الحنيف، فكيف وقد وجدنا أنفسنا بين ظهرانيهم وقد يسر الله لنا العمل معهم في ديارهم من غير مشقة؟ لا شك أن أننا في هذه البلاد -علماء ودعاة وعامة كل بحسبه واستطاعته - لا يعذرون أمام الله إن هم فرطوا في دعوة أولئك الناس، فأعظم شيء يدل على أهمية دعوة الجاليات غير المسلمة أنها من الدعوة إلى الله الواجبة على هذه الأمة، وقد تقدم بيان ذلك والله الحمد والمنة.

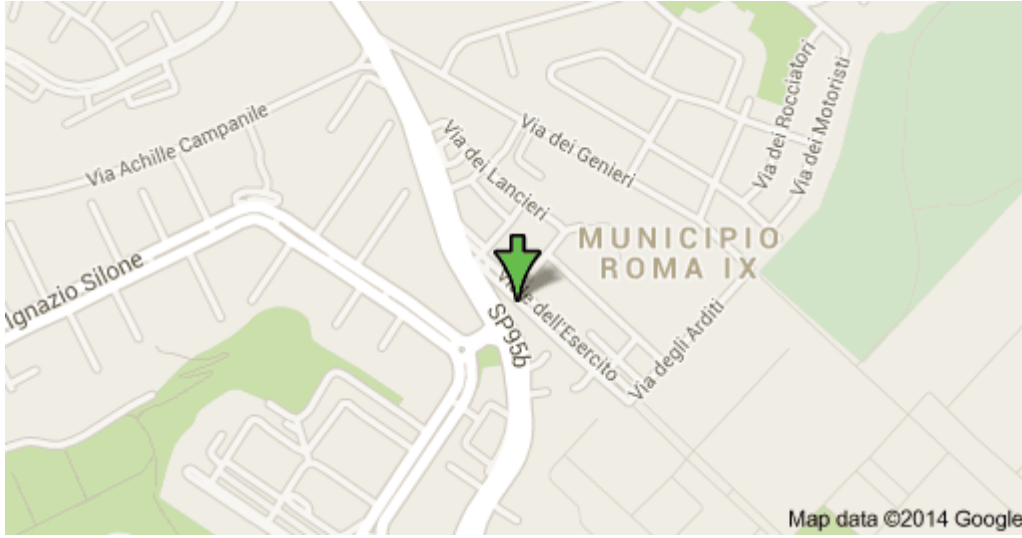
1- أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (5114، 5115، 5667)، من حديث أبي أمامة

المبحث الخامس

دراسة حالة المركز الإسلامي - دار السلام - روما

جغرافياً - دعويًا - تربويًا - تنمويًا - اقتصاديًا...

جغرافياً:



يقع المسجد
في مدينة روما
منطقة لاورنتينا
بجوار مدينة
الجيش وأمام
حلف الناتو في
شارع الجيش
رقم 46.

تم إنشاء هذا المسجد (دار السلام) في شهر شعبان 1426 هجرية أغسطس عام 2006 ميلادية، ومنذ اليوم الأول لبناء هذا الصرح العظيم كان هدفنا هو الدعوة إلى الله:

أنشطة المسجد الدعوية:

من إيماننا بأنه يجب على المسلم أن يكون داعياً إلى الله في أي مكان حل، وفي أي مكان ارتحل، يدعو إلى الله في بيته، وفي مسجده، وفي سوقه، وفي عمله، وفي وظيفته، وفي كل مكان تهيأت له فيها الدعوة إلى الله، وذلك بحسب قدرته واستطاعته وعلمه..

نذكر بعض الوسائل الدعوية التي نقوم بها داخل المسجد:

- 1- إلقاء الخطب الوعظية في الجمع والأعياد.
- 2- إقامة المحاضرات الأسبوعية والشهرية والفصلية.

- 3- إلقاء الدروس العلمية الطويلة أو القصيرة بين الأذان والإقامة في صلاة العشاء، أو بين المغرب والعشاء، حسب مستوى طلاب العلم في المسجد.
- 4- إقامة الندوات العلمية.
- 5- صندوق "خذ نسختك"، ويوضع فيه بعض الكتب والمطويات والأشرطة المخصصة للتوزيع ومواقيت الصلاة.
- 6- المكتبة العلمية العامة في المسجد، ويدعى أهل الخير لتوقيف الكتب عليها.
- 7- وضع مكتبة لإعارة السيديهات المدبلجة، ويختار لها قيم لتنظيمها.
- 8- فتح حلقات لتحفيظ القرآن الكريم - للكبار والصغار - والإشراف والمتابعة لها.
- 10- القراءة من كتاب على رواد المسجد.
- 11- تشجيع أصحاب المواهب من رواد المسجد، والاهتمام بهم، والاستفادة منهم في الدعوة إلى الله.
- 12- تلمس أحوال رواد المسجد، ومعرفة الفقراء والمساكين، ونقل أحوالهم لأهل الفضل ومساعدتهم.
- 13- السعي في الإصلاح بين الناس وجمع القلوب، والاستعانة بكبار السن من رواد المسجد.
- 14- لقاء دوري كل أسبوع مع رواد المسجد، بحضور إمام المسجد.
- 15- إرسال هدية لجيران المسجد في المناسبات، كالأعياد.
- 16- زيارة المتخلفين عن أداء صلاة الجماعة من جيران المسجد.
- 17- وجود لوحة في المسجد، يوضع عليها فوائد، وفتاوى، وإعلانات المحاضرات والدروس، والاهتمام بتطويرها وتجديدها، ودعوة جماعة المسجد للمشاركة فيها.

- 18- القدوة والأخلاق الحسنة، وتأليف قلوب الناس بزيارتهم والتودد لهم.
- 19- الدعوة الفردية لأفراد رواد المسجد.
- 20- النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحي تجاه المنكرات المنقشية.
- 21- التأكيد على أهل الحي، وتحريضهم على إحضار أبنائهم للصلاة والاستمرار عليها.
- 22- حث رب الأسرة على تفقيه أسرته، والاستعانة بأبنائه إذا كان غير متعلم، وسؤال الإمام عما يشكل عليه.
- 23- حث الطلبة الجامعيين على الدعوة إلى الله، لاسيما إذا كانوا ملتزمين، والاستفادة منهم في أنشطة المسجد.
- 24- غرس محبة المسجد في نفوس أطفال الحي الصغار، بتوفير أنشطة مختلفة، منها: المدرسة، وتعليم القرآن، والسيرة العطرة، وبعض أحكام العبادات تحت إشراف إمام المسجد، والصبر على أخطاء الصغار في المسجد، وعلى استخدام اللين والرفق مع المخطئ منهم.
- 25- دعوة العلماء لإلقاء كلمة في المسجد، وتهيئة أسئلة ليستفيد رواد المسجد من أجوبتها، أو جعله حواراً مفتوحاً منهم مع الشيخ.
- 26- إقامة لقاءات دورية بين مجموعة خطباء الحي؛ لتبادل الخبرات، والتشاور في توجيه الخطبة وتقييمها.
- 27- إهداء هدية للأطفال الصغار المرتادين للمسجد؛ لتحبيبهم في المسجد.
- 28- حث المصلين على تعاهد المعتكفين، وقضاء حوائجهم، وتيسير أمورهم خاصة في شهر رمضان.

29- تجهيز بعض الملصقات الحائطية للاستفادة منها في دعوة الناس في المناسبات وفضائل الأعمال الحولية: "قدوم رمضان، الحج، نهاية العام.. إلخ".

30. زيارة ميدانية من إمام المسجد وبعض أهل الفضل من رواد المسجد للمحلات التجارية، وتذكير أصحابها بالبعد عن المنكرات، مع إعطائهم الفتاوى والمطويات. ومن أجل ذلك كله كان، شعورنا بجسامة المهمة الملقاة على عاتقنا، من أجل جمع الشمل، وتوحيد الكلمة، وترشيد الحوار بين الديانات السماوية، وتقديم الإسلام في صورته الحقيقة الناصعة، حتى يصبح المسلم فاهماً ومتفهماً لسماحة الإسلام وعدله، وأنه دين حضاري، لا مجال فيه للغو، ولا مكان فيه للتعصب، ولا للتطرف، ولا مكان فيه للتفريط، وأنه دين الإنسانية جمعاء، يعترف بحقوق الإنسان الأساسية منذ خمسة عشر قرناً، وأنه دين المساواة، ودين المحبة، ودين العلاقات الإنسانية، القائمة على الأخوة والتعارف وحسن الجوار. كان عملنا في الدعوة إلى الله بين أفراد وجماعات لنيل رضا الله، وفيما يلي نبين السلبيات والإيجابيات في العمل الدعوي الفردي والجماعي:

نبدأ أولاً في بيان المقصود من الدعوة الفردية:

قبل أن نحدد المقصود منها يحسن أن نبين ماذا تتخذ الدعوة الفردية في مجال الدعوة إلى الله من أشكال؟

من أشكالها: أن يقوم الداعية فرداً في جماعة تعمل للإسلام بالاتصال الفردي لكسب عناصر جديدة، ويرتبط معها لتعريفهم أولاً بالدعوة الإسلامية، وانتمائهم ثانياً إلى الجماعة الدعوية.. ومن أشكالها: أن ينطلق المسلم في مضمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. لأن مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. واجب شرعي على كل مسلم، لا يسقطها عنه أي اعتبار من اعتبارات الفردية أو الجماعية..

ومن أشكالها: أن يقوم المسلم بمفرده بمسؤولية الدعوة إلى الله سواء كان عالمًا، أو متقفاً، أو موظفاً.. أن يسير المسلم في طريق الدعوة إلى الإسلام فريداً.

وهو: أن ينطلق المسلم في ميدان الدعوة إلى الله فريداً وحيداً، دون أن يكون له أي ارتباط بحركة إسلامية، أو يكون له أي اتصال بجماعة دعوية.

وهذا الذي أضحناه ينطبق على الفرد الواحد المتسبب، وينطبق أيضاً على فئة من المسلمين تعمل بمفردها، وتمضي بمجموعة أفرادها في طريق الدعوة إلى الله.. دون أن يكون لها أي ارتباط أو تنسيق أو تعاون.. مع أي جماعة من جماعات المسلمين القائمة الممتدة حركتها في أرجاء المجتمعات الإسلامية في كل مكان..!!

ثانياً بيان المقصود من الدعوة الجماعية:

قبل أن نحدد المقصود منها يحسن أن نبين أيضاً ماذا تتخذ الدعوة الجماعية في مجال الدعوة إلى الله من أشكال؟

من أشكالها: أن تنبثق في بيئة محلية فئة من المسلمين، وقد كونت فيما بينهما جمعية دعوية إرشادية تكون من أولى مهاماتها تعليم الناس وإصلاحهم، وتكون من أظهر أنظمتها الاستقلالية في الدعوة والإرشاد، دون أن يكون لها أي ارتباط أو تنسيق مع أي جماعة من جماعات المسلمين لها في العالم امتداد وفي الأقطار فروع.

ومن أشكالها: أن تقوم في المجتمعات غير الإسلامية (مجتمعاتنا في الغرب) جماعة من المسلمين تعمل على التنظيم، والتخطيط، والارتباط، والعمل الإسلامي الموحد هدفها الأول: التعريف بفكرة الدعوة الإسلامية، وإعادة فهم الإسلام الصحيح دون غلو أو تفريط؛ لتكون الخلافة الراشدة لإصلاح البلاد والعباد.

وهذا الذي أضحناه ينطبق أيضاً على الفرد الذي انطلق في الدعوة الفردية في مكان ما بتكليف من إدارة المراكز الإسلامية في روما؛ ليقوم بدوره في التعريف والدعوة والإصلاح، وينطبق كذلك على الجمعيات الدعوية والإرشادية التي قامت الجماعة الإسلامية الواحدة على تأسيسها والإشراف عليها؛ لتقوم بدورها في الهداية، والتبليغ، والإرشاد..

وصفوة القول:

إن المقصود بالدعوة الفردية هو: أن ينطلق في ميدان الدعوة إلى الله فرد أو مجموعة أفراد.. ليس لهم أي ارتباط، أو تنسيق مع أي جماعة إسلامية، وليس لهم في الحياة من هدف أو غاية سوى التوعية والإرشاد.

والمقصود بالدعوة الجماعية هو: أن ينطلق في مضمار الدعوة الإسلامية جماعة لها من العمل الدعوي إلى الله في مسيرتها الدعوية إلى أن تصل إلى هدفها الأسمى في نصر هذا الدين.

2 أهم سلبياتهما وإيجابياتهما:

مما لا يختلف فيه اثنان أن لكل من الدعوة الفردية والدعوة الجماعية سلبيات وإيجابيات فمن الضروري – أختي الداعية – أن تعرف شيئاً عنها، وأن تطلع بعين البصيرة على أظهر حقائقها حتى إذا وازنت بين الدعوتين وقارنت بين الاتجاهين.. جاء حكمك صائباً في أيهما أجدى وأنفع في نصر الإسلام وبناء صرح العزة للمسلمين.

أولاً: أبرز سلبيات الدعوة الفردية للخطيب وإيجابياتها:

– أما عن أبرز سلبيات الدعوة الفردية للخطيب فأقول:

من أبرز سلبيات الدعوة الفردية على الإطلاق: أنها قليلة الأثر، ضئيلة الثمرات، محدودة النتائج، بالرغم مما يبذله الوعاظ والخطباء والمرشدون.. من اهتمام، وتحضير، وتوعية، واتصالات فردية وجماعية على حد سواء. ومما يدل على هذا كثرة الخطب والمواعظ والمحاضرات التي تلقى في المجتمعات الأوروبية والإسلامية من أقصاها إلى أقصاها على منابر الجمعة، وقاعات المحاضرات، وأوقات المواسم والمناسبات.. ويستمتع إليها الملايين من المسلمين منذ سقوط الخلافة الإسلامية عام 1924م حتى الآن..

هل غيرت من واقع المسلمين شيئاً؟ هل أعادت لهم كيانهم وأمجادهم؟ هل أهابت بهم إلى أن يتحولوا إلى قوة متماسكة تستعيد في نهاية المطاف العز المسلوب والكيان المفقود؟ فإذا كان الجواب لا، فالعمل الفردي إذن لا يحقق ثمرة، ولا يوصل إلى نتيجة في بناء أمة راشدة يرنو إليها ويستشرف ولادتها الملايين من المسلمين.

إن المراقب لما يجري في نطاق العمل الإسلامي يلاحظ أن مآل الجهود الفردية غير المرتبطة بتنظيم دعوي، كالتالي يبذلها بعض الوعاظ والخطباء، مآلها إلى الضياع والهدد رغم كثرتها؛ ذلك أن التنظيم الدعوي من شأنه أن يستوعب الطاقات الفردية ويوجهها ويختزن القوى المنفرقة وينميها؛ لتصبح على مر الزمن تياراً له أثره ومفعوله، أما جهود الإصلاح الفردي فقد تتحطم إثر بعضها البعض؛ لعجزها من مواجهة تحديات العصر...

وثمة سلبية أخرى من سلبيات العمل الفردي تلوح للأعين ظواهرها في صعيد العمل الإسلامي هذه السلبية تتلخص في:

أن الذين يتصدرون للدعوات الفردية في المجتمعات الأوروبية في كل مكان، سواء كانوا علماء، أو رجال فكر، أو دعاة إصلاح.. هم على الغالب مختلفون فيما بينهم، وقد يصل هذا الخلاف أحياناً إلى الكيد، والتناحر، والخصومة السافرة.. وهذا مما تتعكس آثاره على التلاميذ والأتباع.. فيؤدي - ولا شك - إلى التحزب، والتعصب، والانقسام..

وقد يكون سبب هذا التنازع والخلاف هو ما داخل أصحاب هذه الدعوات الفردية من آفات العجب، أو الغرور، أو الرياء، أو الحسد، أو الكبر..

فتكفي آفة واحدة منها أن تقصم ظهر صاحبها، وأن تحلق له دينه..!!

من أولئك الذين يتصدون للدعوة الفردية من علماء ودعاة وإرشاد ورجال إصلاح.. فبمجرد أن يتجمع عند أحدهم مجموعة من التلاميذ والأتباع ظن نفسه أنه الداعية الكبير، أو الملهم الكامل الذي أصبح يشار إليه بالبنان، بل يعتقد من قرارة وجدانه أنه شيخ أهل الزمان الذي يترتب على فئات المجتمعات كافة أن يبائعوه أو ينصبوه أميراً.. وإذا لم تفعل ذلك فإنها لم تعرف له قدره، ولم تنزله منزلته؛ لكونه في المرتقى السامي والناس حوله دون!

فلنتصور كيف تكون حال المجتمع الدعوي الغربي والإسلامي إذا وجد في البلدة الواحدة بضع أفراد من العلماء أو المرشدين وهم بهذه العقلية وبهذا التفكير، فإنه ولا شك - سوف يمني بالتعصب والتشتت والانقسام؟!!..

من أظهر سلبيات الدعوة الفردية إذن أنها تورث في أصحابها بعض الآفات النفسية من العجب، أو الغرور، أو الحسد، وأحياناً قد تورثهم آفة الرياء أو الكبر.. التي تحلق بالإخلاص وتحبط العمل الصالح..

هذا عدا عما تعكس هذه الآفات من آثار سيئة في تمزق الصفوف، والجدال العقيم، والتعصب الذميمة.. بين أبناء المجتمع الغربي (الإسلامي) عامة وتلاميذ أصحاب الدعوات الفردية خاصة، وإن نسينا فلا ننسى سلبية التأييس من العمل الإسلامي..

فالناس حين يجدون أن جهود الدعوات الفردية ذهبت أدراج الرياح هباء منثورًا؛ لكونها لم تحقق في بناء العزة الإسلامية، وتبليغ دين الله للمجتمع خاصة الغربي ومن نعش بين أيديهم؛ لأنها غاية لم تصل فيما بذلت من جهد إلى نتيجة، وحين يجدون كذلك أن أصحاب هذه الدعوات مختصمون فيما بينهم..

بينون أمجادًا لذواتهم، ويتعصبون لفكرهم وآرائهم، وحين يجدون – أيضًا أنهم لا يجتمعون على ساحة العمل الإسلامي على عمل موحد ولا يلتقون على كلمة سواء.

حين يجد الناس كل هذا.. فإنه يعترتهم اليأس، ويتملكهم القنوط، بل يصيبهم من التسبب والحيرة ما يشتت تفكيرهم، وينغص حياتهم..

فإنه سرعان ما يستسلم لتلقين الشيخ، وينقاد لأوامره وتوجيهاته.. اعتقادًا منه أن الشيخ معصوم لا يخطئ وهاد لا يضل.. وهنا مكنم الخطأ، ومبعث الداء، ومصدر الانحراف..

ولو درى المرید قوله الإمام مالك الخالدة، حين قال: "ما منا إلا من رد ورد عليه إلا صاحب هذا القبر"، وأشار إلى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو درى قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل بني آدم خطاء»⁽¹⁾ وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»⁽²⁾.. لو درى المرید كل هذا.. لما وقف من شيخه هذا الموقف المتعامي، ولما تلقى عنه هذه الانحرافات الآثمة⁽³⁾.

وخلاصة القول:

إن سلبيات الدعوة الفردية تتركز في النقاط الآتية:

* أنها ضئيلة الأثر، قليلة الثمرات، محدودة النتائج.

* أنها تورث في الدعاة وفي الأتباع التفرقة، والتعصب، وإثارة الأحقاد.

* أنها تنشر في المسلمين ظاهرة التئیس من العمل الإسلامي.

1- أخرجه ابن أبي شيبة 187/13، وأحمد 198/3، كتاب الجزء العاشر من المنخب من حديث أنس

2- (رواه البخاري - بتمامه - في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم 7312 من حديث معاوية بن ابي سفيان).

3- كتاب بين العمل الفردي والجماعي، د- عبد الله ناصح علوان، ط-1، الناشر دار القلم، دمشق.

ثانياً: إيجابيات الدعوة الفردية:

إن كل من يرتبط بدعاة الدعوة الفردية من علماء أو مرشدين.. لا يمكن أن يحدث بينهم وبين تلامذتهم أو مريديهم أي خلاف، أو انشقاق، أو بغضاء.. لكون ظاهرة المحبة والثقة بين الجميع متبادلة، ورابطة الولاء والبيعة متينة.

إن الفرد حين ينطلق في ميدان الدعوة إلى الله، فإنه ينطلق بوحى من ذاته، أو باندفاع من ضميره.. سواء كان يعمل للإسلام مستقلاً بنفسه، أو كان يعمل مع جماعة، إن التعصب للجماعة يورث في الدعاة وفي الأتباع التفرقة، والانغلاق، وإثارة الأحقاد.

سلبات الدعوة الجماعية:

لا بد لأي دعوة من الدعوات – مهما تكن شاملة في مناهجها، عظيمة في أهدافها، دقيقة في أنظمتها، متطورة في وسائلها، عالمية في امتدادها – من سلبيات تعترضها، وعقبات تقف دونها.. فما هي أظهر هذه السلبيات؟

فمن سلبيات الدعوة الجماعية: أنها معرضة في كل حين لضربها، وشق صفها، وزرع الفتنة بينها من المنافقين وأعداء الإسلام، وتطويق دعائها، واضطهاد كل من ينتمى إليها.. ومن سلبياتها: أنها معرضة للانشقاق في صفها، والانقسام في أعضائها، والتمزق بين قاداتها.. وذلك حين يستفحل الخلاف في سير العمل، وتتضارب الآراء في وجهات النظر، ويحتدم الجدل حول اختيار القادة.. وقد يكون من وراء هذا كله قوى معادية خفية تكرس في العاملين للإسلام ظاهرة الانشقاق، وتعمق بينهم هوة الانقسام، وتوسع في صفهم فجوة التمزق؛ لتصل إلى هدفها في محاربة جماعة الدعوة نفسها بنفسها..!!

ومن سلبياتها: أنه يوجد في بعض هذه الدعوات الجماعية من تؤخذ بالغرور، ويعتريها العجب، وتحكمها الأنانية، فتظن أنها هي جماعة المسلمين الوحيدة التي يجب أن تتقاد الجماعات كلها لها، وتتضوي تحت لوائها.. ولو كانت في زعمها الفوقي الاستعلائي على غير هذا المستوى في تصورهما الإسلامي، ومنهجها الحركي وهدفها الدعوي..!!

ومن سلبياتها: أن كل فئة في المجتمع الغربي والإسلامي يمكنها أن تكون فيما بينها دعوة جماعية لها نظامها ومنهجها، ولها وسائلها وأهدافها، ولها شعاراتها وورقة عملها..

وهذا معناه تعدد الجماعات ومعناه — أيضاً — التناحر بين قيادات هذه الجماعات وأعضائها، وزرع بذور الاتهام والعداوة والشحناء فيما بينها..

ومن سلبياتها: أن يتعجل شباب الدعوة الجماعية النصر، فيظنوا أن جماعتهم بلغت من القوة والامتداد والعدد والعدة..

أهم سلبيات الدعوة الجماعية ونلخصها في النقاط التالية:

- أنها معرضة لا نشقاق صفها، وانقسام أعضائها، وتناحر قاداتها.
- أنها معرضة لعجب قاداتها، وغرور أعضائها.. فتظن نفسها أنها جماعة المسلمين الوحيدة.
- أنها من السهولة أن تتعدد، ومن طبيعة التعدد أن يتناحر، ومن طبيعة التناحر أن يتعادي.
- أنها قابلة للتورط في استعجال النصر من قبل شبابها المتحمس، وقاداتها العجّلين.

إيجابيات الدعوة الجماعية:

قبل أن أشرع في بيان إيجابيات الدعوة الجماعية أريد أن أوضح هذه الحقيقة: مهما يكن للعمل الجماعي من مثالب وسلبيات، فإن إيجابياته في منطقية المنهج وسمو الهدف.. أكبر وأعظم. بل من السهولة بمكان — إن كان المشرفون على الدعوة الجماعية على درجة عظيمة من التبصر والوعي وحصافة الرأي — أن يتجاوزوا أي سلبية تتعرض لها الجماعة، وأن يتحاشوا أي مثلب يحدث خللاً دعويّاً على مدى الأيام..

ومن المؤكد يقيناً أن الحركة الدعوية الإسلامية المعاصرة قد مرت في تجارب كثيرة في أطوار العمل الإسلامي.. وأنها أخذت من هذه التجارب دروساً وعبراً، فالسعيد من وعظ بغيره، والعاقل من يأخذ من ماضيه لحاضره، والمتبصر الواعي من يتعظ بالأحداث، ويرسم للمستقبل..

بعد ذكر هذه الحقيقة نعرض إلى تبيان الإيجابيات:

فمن إيجابيات الدعوة الجماعية أنها كثيرة العطاء، عظيمة النتائج.

ولا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة ما للعمل الجماعي والتنظيم الدعوي من أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية في أوساط الشباب، وصفوف الطلاب، ومحيط العمال في الغرب، وبكلمة

أوجز: انتشارها وامتدادها في أوساط الناس، مع كل الفئات، وعلى كل المستويات؛ ذلك أن الدعوة الجماعية تعتمد على الارتباط العضوي، والتوجيه التربوي، والاندفاع الدعوي، والتركيز العقدي، والتخطيط المستقبلي..

ومن إيجابيات الدعوة الجماعية أنها تربط الأعضاء بالفكرة، والمبدأ لا بالذوات والأشخاص، ونظرتها إلى قائدها نظرة أدب واحترام ومحبة، لا نظرة تقديس وتعظيم وعصمة..

والقائد في تصور القائمين على الدعوة الجماعية هو إنسان من البشر، يخطئ ويصيب، ويحسن ويسيء، ويرد ويرد عليه ما دام على الحق وعلى صراط الله المستقيم.. فإن حاد عن الحق، واتبع غير سبيل الصراط المستقيم.. فإنه يُخلع من القيادة إلى من هو أَرْضَى اللهُ ولرسوله وللمؤمنين..

ومن إيجابيات الدعوة الجماعية أنها تركز على مبدأ الشورى، فقائد العمل الدعوي لا يمكن أن تبت في شأن القرارات الكبيرة التي ترفع من مستوى الدعوة، وتحول مسيرتها إلى الأفضل إلا أن يوافق الجميع أو الأكثر على كل قرار من قراراتها.. فلا استبدادية في الآراء في الدعوة الجماعية، ولا تسلط في ولاة أمورها، ولا طبقية بين قادتها وقاعدتها.

ولا يخفى ما في تطبيق مبدأ الشورى من أثر كبير في دفع الدعوة الجماعية إلى الأمام، وفي أحكام مسيرتها وفي تطويرها دائماً إلى الأحسن، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (1).

ومن إيجابيات الدعوة الجماعية أنها تعنتي بتربية الفرد وتكوينه من جميع الجوانب: وتعنى به روحياً وجسمياً، وتعنتي به عقلياً وخلقياً، وتعنتي به نفسياً واجتماعياً، وتعنتي به دعويًا.

ولا يخفى ما في هذا الاعتناء الكامل، والتربية الشاملة، من حياة إنسانية كريمة.

ومن إيجابيات الدعوة الجماعية أنها تربي أفرادها على قيم خلقية رفيعة من الحب، والتعاون، والإيثار، والتكافل، وعلى مثل إسلامية سامية من الصدق، والأمانة، والرحمة بالصغير، والتأدب مع الكبير، والإحسان إلى الجار، وإغاثة الملهوف، وبر الوالدين..

1- سورة الشورى، آية: 38.

تلكم أهم إيجابيات الدعوة الجماعية ومزاياها، قد أتينا على ذكرها؛ لتبقى في ذرى العلياء مناراً ونبراساً لكل من يريد أن يتبصر الطريق، ويتعرف على الحقيقة، ويسير على النهج الصالح القويم.

إن مساهمة المركز الإسلامي دار السلام في هذا المجال مساهمة فعالة عن طريق تنظيم ندوات ولقاءات ومحاضرات، كما سنكتف عملنا الدؤوب للمسجد، لتعميق جذور مبادئ الإسلام في النفوس، واضعين من أجل ذلك كامل طاقاتنا، وإمكاناتنا المتاحة؛ من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، وهو التعريف بحقيقة الإسلام الناصعة، وأهدافه النبيلة بكونه ديناً عالمياً، شاملاً لجميع العبادات، والمعاملات، والأخلاق الحميدة، التي تؤدي إلى صلاح البشرية جمعاء، انطلاقاً من قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (1)

وبالرغم مما بذلناه من مجهودات، واستعمال كل الوسائل المتاحة بين يديه، للوصول إلى أهدافنا، فإننا لم نسلم من بعض العوائق والصعوبات التي فاقت حد الاحتمال من بعض المؤسسات الحكومية وغيرها من المؤسسات المتعصبة، والتي لا تريد أن يكون للمسلمين مركز في هذا المكان؛ لقربه من حلف الناتو، ووجوده على أطراف وزارة الدفاع الإيطالية. ومن الأمانة ذكر أن بعض الجهات الحكومية والحقوقية والمدنية كانت تقف معنا وتساندنا.

والحقيقة أننا لم يتزعزع يوم في قلوبنا شك أن الله ناصرنا ومؤيدنا:

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۗ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. (2)

رسالة المسجد دائماً هي رسالة التوجيه والإرشاد والتعليم والتذكير، وهو دائماً يسعى إلى توحيد المسلمين لا إلى تفريقهم، فالمسلمون في المسجد يصلون جماعة لا فرق بين غني وفقير، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين جنس وجنس، ولا بين طبقة وطبقة صهرهم المسجد في بوتقته، وكانوا فيه إخواناً كما أمرهم الله، هكذا عُرف المسجد النبوي في المدينة المنورة، كان هو الذي يوحد الأمة خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهكذا يجب أن تكون مساجدنا في كل زمان وفي كل مكان، وخصوصاً في بلاد الغرب.

1 سورة سبأ، آية: 28.
2 سورة الأنعام، آية: 45.

فالمسجد هو السبيل الوحيد الذي يجمع الجالية المسلمة، ويقرب بينها ويذيب الفوارق بين الجنسيات والأوطان والطبقات، وإمام المسجد يسعى بكل ما يستطيع متعاوناً مع إخوانه على سد كل ثغرة يمكن أن تثبت منها الفتنة، أو تحدث منها الفرقة، وعلى العقلاء من المسلمين أن يسارعوا بإصلاح ذات البين إذا حدث أي خلل أو خصومة طارئة، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، وهي لا تحلق الشعر وإنما تحلق الدين، كما ذكر ذلك أهل العلم والتحقيق، ومن المعلوم أن الأقليات في الدنيا كلها تتجمع وتتوحد وتتكتل فيما بينها، فتحافظ على كيائها ووجودها أمام الأكثرية الساحقة.. فما بال المسلمين وحدهم هم الذين يتنازعون فيما بينهم في دار الغربية، والغربة من شأنها أن تجمع المفترقين وتقرب بين المتباعدين.

لأن العقيدة الإسلامية متأصلة في النفوس تجري في المسلم مجرى الدم في العروق. المشكلة اليوم هي: أن الشعوب الإسلامية تبحث عن هويتها، وتعمل جادة للرجوع إلى أصول عقيدتها الإسلامية، الداعية إلى التسامح، والتعايش، والتعارف، والمعاملة الحسنة، عن طريق العلم والتعلم، وإعمال الفكر والعقل، مثل ما فعل أسلافهم الأقدمون.

إلا أن هناك سوء فهم في الوسائل والطرق الموصلة إلى الرجوع إلى الطريق المستقيم، وإلى العقيدة الإسلامية الصحيحة السمة.

وبالرجوع إلى تاريخ أوروبا الحديث، نرى المشاكل التي عانتها أوروبا والحروب التي توالى عليها من أجل الرجوع إلى أصالتها وقيمتها، ولا أدل على ذلك من الحروب التي خاضتها إيطاليا وألمانيا لإعادة وحدتهما.

وكم دفعت هذه الدول من ثمن غالٍ، وكم بذلت من تضحيات جسيمة؛ من أجل استكمال حريتها وتحررها من نار الديكتاتوريات، والحكم الفردي والاحتلال الأجنبي.(1)

ولذلك كان الجهد الفعال من إدارة المسجد، ولجنة الثقافة والخطابة في المسجد من اليوم الأول على تنوع المادة الثقافية للمسلم وغير المسلم في هدف واحد، وهو الدعوة إلى الله - عز وجل

.-

1 من أصول العمل السياسي للحركة الإسلامية المعاصرة، عدنان سعد الدين، طباعة مكتبة مدبولي القاهرة، سنة 1989.

تربويًا:

المسجد إحدى المؤسسات التربوية ذات الدور المباشر في التأثير على حياة الفرد المسلم وسلوكياته، ويعد المسجد مصدرًا خصبًا للمعرفة الدينية، وغرس القيم، حيث يتم فيه اللقاء المباشر بين الداعية والأفراد في جو من الود والإخاء، بخلاف وسائل الاتصال الأخرى، وفي المسجد يشعر المسلم بالمساواة الحقيقية، فالكل سواسية بين يدي الله يحسون بقيمة الجماعة وقوتها ووحدتها.

كما أن المسجد ذو تأثير بالغ وشامل في حياة الشباب، ويمكن أن يقدم لهم ما عجزت عن أن تقدمه لهم الأجهزة والمؤسسات الأخرى، كالمدرسة، ووسائل الإعلام، ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن مرحلة المراهقة والشباب هي الفترة التي يكون فيها الدين بالنسبة إلى الشباب هو المخرج والمتنفس الوحيد الذي يحقق الأمان من الضغوط النفسية، والمشكلات الانفعالية، وبالرغم من أن المسجد منذ عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحتى اليوم لجميع المسلمين من مختلف الأعمار؛ فإن له دورًا شديد الخصوصية في حياة الشباب؛ ففي أجوائه الربانية تربي الصحابي الجليل أسامة بن زيد - رضي الله عنه - الذي قاد جيشًا فيه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وغيره من شباب المسلمين وعمره وقتها 17 عامًا.

وُلد أسامة بن زيد - رضي الله عنه - عام 613 م قبل هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتسع سنين. أبوه الصحابي الجليل زيد بن حارثة، وأمه أم أيمن.

ورغم صغر سن أسامة فقد اشترك في كثير من الغزوات التي خاضها المسلمون لإعلاء راية الحق، فقد قاتل مع الصحابة وكان عمره لا يتجاوز خمسة عشر عامًا، واشترك في غزوة مؤتة التي استشهد فيها والده زيد بن حارثة، واشترك في فتح مكة، وفي غزوة الخندق، واشترك في محاربة المرتدين عن الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

اعتزل أسامة بن زيد - رضي الله عنه - الفتن بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية، وكان قد سكن المزة (غرب دمشق)، ثم رجع فسكن وادي

القرى، ثم نزل إلى المدينة فمات بها بالجرف.. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة 54 هـ، فيكون - رضي الله عنه - قد توفي عن 61 سنة. (57). (1)

وإن رسالة المركز تربوياً تنقسم إلى الأسرة، والمجتمع، والمدرسة، والإعلام.

دور الأسرة:

مفهوم الأسرة ووظائفها:

تعتبر الأسرة من أولى الحاجات الطبيعية التي يلجأ إليها الإنسان، ولضرورتها الطبيعية لاستمرار الجنس البشري، وكذلك لتوفير الأمن والحماية الضروريين، فإن الكائن البشري يعمل بشكل تلقائي على إنشاء الأسرة؛ ونظراً لأهمية الأسرة كمكون اجتماعي، وكأول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، كما أكد الفيلسوف أرسطو، فقد تعددت التعاريف التي أشار إليها العلماء بمختلف تخصصاتهم من السوسيولوجيا والإنترولوجيا، وحتى في ميدان التربية، وندرج هنا بعض التعاريف كنماذج:

- تعريف لوك Lock.H : الأسرة جماعة من الأفراد تربط بينهم رابطة الدم أو التبني، ويعيشون في منزل مستقل، ويتواصلون فيما بينهم عبر تفاعل مستمر، كما يؤديون أدواراً اجتماعية خاصة بكل واحد منهم، باعتباره زوجاً، أو ابناً، أو ابنة، أو أمّاً، أو أختاً، بحيث يتكون نتيجة ذلك ثقافة مشتركة (2).

تتكون الأسرة من مجموعة أشخاص يحملون الفصيلة الدموية نفسها، ويعيشون تحت سقف واحد، كما تتكون بوجه خاص من أب، وأم، وأطفال. الأسرة مجموعة اجتماعية تربط بينها روابط القرابة أو الزواج، وهي شكل اجتماعي له وجود في كل المجتمعات البشرية، وتقوم الأسرة، من الوجهة النظرية، بتوفير الحماية والأمن والتنشئة الاجتماعية لأعضائها. هذا، وتختلف بنية الأسرة ونوع الحاجات التي تشبعها لأفرادها باختلاف المجتمعات وباختلاف المراحل التاريخية.

كما يستخدم مفهوم الأسرة كذلك للدلالة على الخصائص البنوية، والوظيفية، والنشاطات

1- (أسامة بن زيد: أصغر قائد في الإسلام، علي الجبلطي، وعبد المنعم قنديل) طباعة جمهورية مصر العربية، وزارة التربية والتعليم، قطاع الكتب، نهضة مصر سنة 2004.

2- د. أحمد أوزي، الطفل والعلاقات الأسرية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2002، ص 39.

الاجتماعية التي تتم في رحاب وحدة تربية، وسكنية، واقتصادية، ومعاشية تشمل الزوج والزوجة والأولاد غير المتزوجين عكس العائلة التي تشير إلى وحدة في القرابة تشمل الأصول والفروع التي ترتبط بنسب الأب سواء في شكلها الممتد أو شكلها المركب.

أما عن وظائف الأسرة، فهي أولاً المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغة أمه، والمشى، وبعض الأخلاق والقيم، ومن خلال أسرته يكتشف نفسه ومحيطه، فهي التي تمنحه الهوية والأمان، والحنان؛ ومن ثم فهي تلعب وظائف المدرسة كلها، بالإضافة إلى كونها المسئول الأول والأخير لنجاح تنشئة الفرد، وكما قلنا في التعريف بأنها الرحم الاجتماعي للطفل والتي يعود إليه الطفل لتضميد كل جراحه التي قد يسببها العالم الخارجي بسبب المعانات والضغوطات.

ومن هنا فالأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع، وهي المسئولة عن قوة أو ضعف البنية المجتمعية العامة؛ لكونها تقوم بوظيفة الأمن لأفرادها ووظيفة التضامن بينهم ووظيفة التكوين والتنشئة الاجتماعية، ووظيفة المراقبة والتربية... فهي بالتالي مؤسسة شمولية تؤدي مختلف الأدوار، إلا أن الوضع في الوقت الراهن قد تقلصت فيه هذه الوظائف ومعها مسئوليات الأسرة فتحولت بذلك هذه الأخيرة من مركز دائرة التربية إلى عنصر أو طرف مشارك في العمل التربوي. وبسبب هذا الانتقال في الدور جعل الأسرة تفقد توازنها وصدارتها الاجتماعية؛ مما فرض عليها أن تعيد النظر في علاقاتها مع مختلف الأطراف المشاركة في العمل التربوي من مدرسة، وشارع، ووسائل الإعلام. (1)

إن أول ما يجب التنبيه عليه أن طلاب العلم في الحضارة الإسلامية، كانوا يضعون نصب أعينهم غاية عظيمة، تتمثل في تقدّم وإعلاء حضارتهم إلى مصاف الحضارات العالمية، ولم تكن هذه الغاية مطلباً في حد ذاتها، بقدر ما كانت طريقاً لإرضاء رب العالمين.

ويعجب الإنسان حينما يقرأ أن العلماء في الحضارة اليونانية القديمة كانوا أضحوكة للعوام، ومثلاً صارخاً لمن أراد أن يُستهزأ به في تلك الحضارة الخالدة (2) غير أن الحضارة الإسلامية

1- "التربية والتعليم والمجتمع المدرسة والأسرة أي علاقة؟" مقال لمحمد أدميس، في مجلة فضاءات تربوية، العدد 3، السنة 3 مارس 1997.

2- دور الأسرة في تعليم الأبناء، د/ راغب السرجاني - مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة ط - الأولى.

قد أعلنتها صريحة منذ نزول الوحي على النبي، أن أكثر الناس خشية لله - تعالى - هم العلماء، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}. (1)

الأسرة هي منبع تربية الطفل، وتعتبر الأسرة هي الكيان الصلب والقوي الذي يدعم عملية تربية الطفل تربية سليمة، حيث توفر الأسرة جواً أسرياً مليئاً بالدفء والحنان لتربية الأطفال تربية سليمة.

وهذه أهم القواعد الأساسية لتكون الأسرة ناجحة في تربية الطفل.

دور الأب والأم:

لا بد من تحديد دور الأب والأم داخل الأسرة، ومسئولية الأب في توجيه الأوامر والنصائح لتربية الطفل داخل الأسرة لتكون الأسرة ناجحة (2)

بناء الصداقة مع الأطفال:

لتكون الأسرة ناجحة في تربية الأطفال ينبغي أن تتوفر علاقة وجو من الصداقة والود والدفء مع الأطفال، فالصداقة تكسب الطفل أشياء كثيرة أفضل بكثير من التخويف.

اجتماع أسبوعي:

- تحديد وقت مناسب من الأسبوع لعقد اجتماع أسبوعي للعائلة، يتم فيه تجمع أفراد الأسرة، ويسهم هذا الاجتماع - بشكل كبير - في نجاح أهداف الأسرة، وإكساب الطفل أخلاقيات جديدة نتيجة جو الود والألفة الذي يشعر به الأطفال في البيت.

القيمة الذاتية لكل فرد:

يمثل بناء القيمة الذاتية لأفراد الأسرة أمراً مهماً للغاية، فالأم لا بد أن تدرك أنها تملك زمام الأسرة، وأنها محملة بمسئوليات متعددة تجاه الطفل، فالأطفال قد يحبطون أو يشعرون بالضيق إذا أهملتهم الأم؛ لذا لا بد أن تحرص الأسرة ممثلة في الأب والأم في بناء القيمة الذاتية لكل

1- سورة فاطر، آية: 28.

فرد من أفراد الأسرة ليشعر بالاهتمام، وأنه عضو فاعل داخل الأسرة، وأن الأسرة لا تستقيم أدوارها من دونه، بجانب إشعار الطفل بأن لديه مواهب وقدرات لا بد من تلميتها. (1)

أهداف قابلة للتحقيق:

لا بد أن تضع الأسرة أهدافاً مشتركة بين جميع أفراد الأسرة، ولكن بشرط أن تكون تلك الأهداف قابلة للتحقيق، حتى لا يشعر الأطفال بالعجز، وعدم القدرة على تحقيق تلك الأهداف، مع تحديد أن كل فرد من أفراد الأسرة له دور محدد؛ لكي يسير جميع أفراد الأسرة نحو هدف واحد.

أنشطة الأسرة:

- ينبغي أن تضع الأم أنشطة محددة للأسرة تتم ممارستها بشكل دوري، فتربية الطفل تحتاج من الأم أن تقوم بالتخطيط لأنشطة الأسرة؛ من أجل تقوية الروابط فيما بين أفراد الأسرة، ويمكن أن تطلب الأم من الطفل أن يكون مسئولاً كل يوم عن ترتيب سرير نومه؛ ومن هنا سيتعلم الطفل تحمل المسؤولية.
- وكذلك حينما يقوم الأب والأم بأنشطتهما داخل الأسرة، سيتعلم القيام بالأنشطة المطلوبة منه على الوجه الأمثل.

مواطن القوة والضعف:

تحديد مواطن القوة والضعف داخل الأسرة عامل مهم ضمن القواعد المتعلقة بتربية الطفل، فمن الضروري أن يتم اكتشاف مواطن القوة والضعف بين الأطفال، وكذلك بين الأطفال والأسرة، من خلال تحديد مواطن القوة يتم الثبات عليها؛ ومن ثم ستظهر بعد ذلك مواطن الضعف التي يجب على الأسرة مناقشتها؛ للوصول لحلول مقترحة لحلها.

تعتبر المدرسة الوسيلة التي اصطنعها المجتمع بجانب الأسرة؛ لنقل الحضارة، ونشر الثقافة، وتوجيه الأبناء الوجهة الاجتماعية الصحيحة؛ كي يكتسبوا من العادات الفكرية والعاطفية والاجتماعية التي لا تساعدهم فحسب على التكيف الصحيح في المجتمع، بل كذلك على التقدم

1- "التربية والتعليم والمجتمع المدرسة والأسرة أي علاقة؟" مقال لمحمد أدميس، في مجلة فضاءات تربوية، العدد 3 السنة، 3 مارس 1997.

2- المصدر السابق.

بهذا المجتمع، فالمدرسة والأسرة هما إذن المؤسستان التي اصطنعها المجتمع للإشراف على العملية الاجتماعية. ولهذا فهما الوسيلتان التي من خلالهما يمرر الإنسان لأجيال المستقبل تجربته الماضية، ثم مخططاته ومشروعاته المستقبلية، والتي تدخل بشكل عام ضمن ما يسمى بالبرامج التربوية، بشكل ضمني كما هو الشأن في كل أسرة، أو بشكل مهيكّل ومنظم كما في المدرسة. 1

لكن استقلال المؤسستين واختلاف طبيعتهما على مستوى التركيبية، وكذلك الإمكانيات ثم التسيير والتدبير، جعلهما (وفي نظر الكثير) يختلفان ولا يتعاونان بشكل مستمر لتحقيق الهدف الفعلي لكل واحدة منهما، والذي هو في الأصل هدف مشترك؛ ولأن المجتمعات تختلف في تراثها الاجتماعي ونظمها السياسية والاقتصادية تبعاً لاختلاف مناهجها الفلسفية العامة ورؤيتها للإنسان والحياة بصفة عامة، ولكل أفراد المجتمع رغبة أكيدة في الحفاظ على كيان مجتمع بما فيه من قيم وأساليب معيشة، وهي القيم المستمدة من خبرتهم عن الأجيال وحياتهم الاجتماعية؛ لذلك فهو يرى بقاءها واستمرارها من أجل بقائه.

فالمدرسة والأسرة تعتبران المؤسستين التربويتين الأكثر أهمية بين بقية المؤسسات الأخرى؛ نظراً لدورهما الفعال في العمل الهادف والمنظم تبعاً لأهداف المجتمع وفلسفته ككل.

إذن فما هو هذا الدور؟ وهل يمكن أن تكون هناك تربية صحيحة من دون مدارس؟

وما هو دور الأسرة؟ وما علاقة المدرسة بالأسرة؟

وكيف تسهم كل من المدرسة والأسرة في تنمية المجتمع؟ وفي التنشئة الاجتماعية للأفراد؟ 2

مفهوم المدرسة:

ويقصد به وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع زملائهم، أو لتثقيف الذهن، ثم تطور هذا اللفظ بعد ذلك ليشير إلى التكوين الذي يعطى في شكل جماعي مؤسسي، أو إلى المكان الذي يتم فيه التعليم؛ ليصبح لفظ المدرسة يفيد حالياً تلك المؤسسة الاجتماعية التي توكل إليها مهمة التربية الحسية، والفكرية، والأخلاقية للأطفال والمراهقين في شكل يطابق متطلبات المكان والزمان...

1- المرجع السابق.

1- المرجع السابق..

أما مفهوم المدرسة بالتحديد، فقد ظهر أثر الانتقال الذي عرفه الفعل التربوي من مهمة تتكلف بها الأسرة إلى مهمة عمومية، وذلك في المرحلة الهيلينية، لتصبح المدرسة تلك المؤسسة العمومية التي يعهد إليها دور التنشئة الاجتماعية للأفراد وفق منهاج وبرنامج يحددهما المجتمع حسب فلسفته...

والمدرسة - بشكل عام - مؤسسة عمومية أو خاصة، تخضع لضوابط محددة، تهدف من خلالها إلى تنظيم فاعلية العنصر البشري، بحيث تنتج وتفعّل وفق إطار منظم يضبط مهام كل فئة، ويجعلها تقوم بعملها الخاص لكي يصب في الإطار العام، ويحقق الأهداف والغايات والمرامي المرغوبة منه. 1

فالمدرسة هي السبيل الوحيد الذي يلج إليه الأطفال منذ صغرهم، بعد الأسرة التي تمثل المدرسة الأولى، إلى أن يلتحقوا بسوق العمل؛ ومن ثم فهي بمثابة معمل لتكوين الموارد البشرية، وهي كذلك فضاء يلتقي فيه الأطفال والراشدون حيث توفر لهم فرص التفاعل فيما بينهم، غير أنها ليست سوى مؤسسة اجتماعية من بين المؤسسات الأخرى، وقد تدعي لنفسها الانغلاق على الذات بدعوى نظمها وقوانينها، غير أن هذا الانغلاق ظاهري فقط لأنها تعكس مختلف التيارات الاجتماعية بكيفية شعورية أو لا شعورية، ولكنها تعمد إلى تربية وتكوين والجيها وفق الثقافة التي تمثلها كمؤسسة مدرسية، إنها تبعاً لهذا تشكل عامل توحيد، عامل لم وجمع مختلف الطبقات الاجتماعية، وصهر أفكارها وبلورتها بقدر الإمكان عبر خطابها التربوي. 2

وظائف المدرسة:

تلعب المدرسة كمؤسسة اجتماعية، بجانب الأسرة، عدة أدوار لها وزنها التاريخي، وتتميز بوظائفها عن باقي المؤسسات الأخرى؛ لأنها تلامس مختلف جوانب الإنسان، وذلك لتحقيق إنسانيته، وجعله ذلك الكائن الذي يعرف ذاته أولاً ثم يكتشف الآخر ثانياً. وإذا ما نظرنا إلى هذه الوظائف نجدها متعددة ومتشعبة؛ نظراً لتعدد أغراض وأهداف الكائن البشري فمنها ما هو تربوي، وتعليمي، ثم إداري، واجتماعي، وأمني، وتكويني أيديولوجي، وإرشادي وتوجيهي، وثقافي إشعاعي، وتواصل اقتصادي. 3

2- دور المدرسة والأسرة في تنشئة الأفراد وتنمية الجماعات، أنجزه الأستاذ: عبد الوهاب بوتعلوت.

1- المصدر السابق..

2- المصدر السابق..

وتتجلى كذلك مهمة المدرسة والأسرة في التأثير على سلوك الأفراد تأثيراً منظماً يرسمه لهما المجتمع، والمدرسة من حيث هي كذلك تنصب وظيفتها الرئيسية على سلوك الناشئة، ويقاس مدى تحقيقها لوظيفتها بمدى التغيير الذي تتجح في تحقيقه في سلوك أبنائها؛ ومن ثم كان ضرورياً أن ينظر إليها نظرة شمولية كنظرتنا نحو المجتمع برمته، وأن تكون في مقدمة كل سياسة إصلاحية للمجتمع، وأن ينظر إليها كمرجعية لكل تغيير أو تغير قد تعرفه باقي القطاعات والجوانب الأخرى لحياة الفرد.

فالمدرسة في أساسها مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع للإشراف على عملية التنشئة الاجتماعية، ولذلك فإن أي تصور لهذه المؤسسة يجب أن يراجع داخل إطار هذا التصور الاجتماعي، ولا شك أن هذا التصور الأساسي يملئ دراسة علاقة المتعلم بغيره من المتعلمين وعلاقة المتعلم بالمدرسين، وعلاقة المتعلم بالإدارة التربوية وبالتنظيم العام في المدرسة من حيث إنها الإطار الاجتماعي، ولها علاقة بما تحويه من عناصر بشرية وما يوجد خارجها من تنظيمات اجتماعية أخرى بما فيها الأسرة. وبشكل عام يمكن القول بأن المدرسة هي المؤسسة التي بفضلها يكتشف الفرد ذاته ومجتمعه، ومن خلالها وعبرها يجب الخروج إليه، وهنا يمكن تحديد وظائف المدرسة على النحو الآتي: 1

وظائف المدرسة:

أ - الوظيفة التعليمية التكوينية:

في إطار هذه الوظيفة تقوم المدرسة بتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب، مع إكسابهم وتلقينهم المعارف الدينية، والتاريخية، والأدبية، والعلمية، واللغوية، عبر برامج ومقررات محددة حسب مختلف المواد المخصصة لكل مستوى، وبشكل تدريجي، ابتداء من التعليم الأولي، إلى التعليم العالي، مروراً بالأساسي، والإعدادي، والثانوي.

كما تسعى المدرسة خلال كل مرحلة تعليمية لتحقيق وإكساب التلاميذ كفايات تواصلية، وإستراتيجية، ومنهجية، وتكنولوجية، وثقافية؛ وقيم ترتبط بالعقيدة والهوية الحضارية وبتقافة حقوق الإنسان والمبادئ الكونية. 2

1 - المصدر السابق.

2- محمد عليوش: "ماذا عن علوم التربية؟"، بحث تربوي عن سنة 1997..

وتهدف المدرسة بشكل عام خلال هذه الوظيفة لتعليم وتكوين الفرد بشكل يجعله مندمجاً في الحياة العامة ومنفتحاً على الآخر.

لكن من خلال التجارب السابقة والحالية يلاحظ أن المدرسة قد انحرقت عن سكتها التعليمية والتربوية؛ نظراً لصعوبة هذه الوظيفتين، وكذلك لعدم توفر الشروط الضرورية للأعداد والتكوين العلمي والمهاري والمنهجي، ولعدم توفر شروط التأهل للاندماج في الحياة الاجتماعية. فالمدرسة اليوم وجدت نفسها في حرج وأمام منافسة شديدة، خاصة مع ازدياد تطور الفنون المعرفية الأخرى، وتأثير الصورة بشكل خاص.

وبذلك لم تعد المدرسة تحتل المكانة السابقة نفسها (بجانب المؤسسة الدينية) التي كانت تحتلها من حيث السلطة والاحتكار المعرفي، ولأن تطور وسائل الاتصال والإعلام، وظهور الكمبيوتر وشبكة الإنترنت بمختلف برامجها وأنظمتها، مع انتشار التعليم المبرمج والتعليم عن بعد والقنوات التعليمية.. 1

كل هذا زرع مكانة المدرسة وجعل قيمتها في تدهور مستمر، وهذا له أثر بالغ على المتعلمين؛ ومن ثم على المجتمع ومستقبله. فالمجتمعات التي أدركت هذا التغير الذي وقع على القنوات المعرفية وعلى المدارس، تمكنت من مسايرة المنافسة التي تواجهها المدرسة فتربط كل جديد بالمدرسة؛ مما جعل هذه الأخيرة لم تحس يوماً ما بزعة وظيفتها التعليمية والتكوينية، فتقدم البحث العلمي، وتوفير التراكم العلمي الجيد يمكن المجتمعات من تحديد ملامح وحاجات، ورغبات، واهتمامات وميولات أطفالها؛ ومن ثم انسجام كل سياسة تعليمية مع ظروف الواقع الذي يتطور بسرعة، (خاصة في التعليم الابتدائي الذي يعتبر الركيزة الأساسية)، وهذا ما ينتج لنا تلاميذ لا يعرفون القراءة والكتابة، رغم أنهم في مستويات دراسية عالية (السادسة، أو السابعة، وحتى التاسعة...). وذلك بسبب تراكم أخطاء الخريطة المدرسية.

فكثرة نسبة التلاميذ في القسم الواحد، وارتفاع نسبة الذين يعانون من التخلف الدراسي يشكل مشكلاً وعائقاً تربوياً كبيراً على التواصل والتفاهم بين المدرس والتلميذ.

ب - الوظيفة التربوية:

بجانب الوظيفة التعليمية والتكوينية، فإن للمدرسة وظيفة أساسية وشاملة استمدتها من الأسرة، تتجلى في تربية الأطفال تربية تجعلهم يحترمون مجتمعاتهم، ويندمجون مع مختلف المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبفضلها يكتسبون قيماً إنسانية وهوياتية تتأقلم مع متطلبات المجتمع، وبفضل الفلسفة التربوية التي تنهجها المدرسة كمؤسسة عمومية يمكن للمجتمع التطور والسير نحو ما هو أفضل أو العكس، من الإصابة بالركود والتخبط في مشاكل جمة، فصلاح المجتمع ينطلق من صلاح المدرسة، وكل خطأ يرتكب داخل جدران هذا الحقل سيكون له بالغ الأثر على مستقبل الدولة برمتها، فعلاقة المدرسة بالمجتمع علاقة الأم بابنها، وعلاقة السائق بسيارته، وعلاقة القائد بجماعته، فالمدرسة هي مقود التطور والتقدم، ومفتاح التغيير¹. وعبر المدرسة يمكن كذلك أن نصنع مجتمعاً متخلفاً ومجتمعاً مسالماً كما نريد؛ ولهذا فعندما نتحدث عن إصلاح التعليم؛ وبالتالي المدرسة، علينا أن ننظر إلى مستقبل الأمة وماذا نريد فعلاً من مجتمعنا؟

هل نريده مجتمعاً متقدماً؟ ديمقراطياً؟ متفتحاً؟ يحب وطنه؟ غيور عليه؟ يعتز بهويته؟ قد يدفع ثمن حياته دفاعاً عن وطنه؟

أم مجتمعاً متخلفاً لا يحب وطنه؟ ولا يعير أي اهتمام لنفسه ولا لوطنه؟ مجتمعاً متفاوتاً في كل المستويات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية؟ وحتى من حيث الملكية والمواقع الجغرافية؟

إن المدرسة هي الحل الوحيد والباب الأول الذي يمكن من خلاله أن نصنع فرداً، ثم أسرة؛ ومن ثم مجتمعاً كاملاً، فداخل المدرسة نجد كل الأطفال ينحدرون من كل الأسر كسفراء لها، وهم الذين سيصبحون رجال الغد. فإذا قمنا بتربيتهم بشكل جيد وعلى تربية مستقبلية؛ لأنهم خلقوا لزمان غير زماننا، ضمنا مجتمعاً منسجماً ومتقدماً.

1 - المصدر السابق..

عكس ما وجدناه وما نجده داخل المدرسة، التي تتخبط في أزمت متتالية ومستمرة؛ وبالتالي تحصد خسائر جسيمة لا يمكن للمجتمع تقاديتها ولو بالقروض الدولية.1

فهي خسارة تربوية ترسخت في شخصية الفرد الذي يفضل الهجرة والموت في البحر عن الصمود والنضال من أجل الإصلاح التام، شخصية الفرد الذي لا يعرف النظام بل لا يحبه، ويفضل الفوضى أحياناً على احترام القوانين، الفرد الذي لا يميز بين الواجب والحق. الفرد الذي يفضل أن يتمتع بجنسية دول أجنبية عوضاً عن جنسيته الأصلية...

إنها حقائق مرة وواقعية لا يمكن أن ننكرها، أو نجهلها، فكل فرد وطئت قدمه المدرسة تجده يحس بمرارة الواقع وبأزمة التعليم.

ت - الوظيفة الأيديولوجية:

لقد تبين لنا من خلال الممارسة الميدانية، وكذلك من خلال الفلسفة التربوية التي تتبعها كل دولة تجاه مدارسها، أن للمدرسة وظيفة أخرى تكتسي طابعاً أيديولوجياً لكونها تعتبر أداة للإدماج، وقنطرة تمرر من خلالها الدولة سياساتها الأمنية، وهي أداة لهيمنة الوظيفة الرسمية لنقل المعارف. (2)

إعادة الإنتاج:

وهي إعادة أداة لإعادة إنتاج الثقافة والنظام السائد الأيديولوجي مهمته نقل وترسيخ أفكاره المهيمنة؛ وذلك لإعادة إنتاج تقسيمات المجتمع الرأسمالي، وجعل النخبوية عملاً مشروعاً؛ ومن ثم إعادة إنتاج القيم والعلاقات الاجتماعية السائدة.

وهكذا فالنظام التربوي في نظر بورديو يشكل عنفاً رمزياً قصدياً، لكنه مفروض من طرف سلطة ذات نسق ثقافي سائد. (3)

وهكذا فالوظيفة الأيديولوجية للمدرسة تتجلى في كونها مؤسسة للترويض الاجتماعي، وإعادة إنتاج أنماط الفكر والسلوك ذاتيهما المرغوب فيهما من طرف المجتمع.

2- المصدر السابق.

1- المصدر السابق.

3- الوظيفة الأيديولوجية والتسلق الطبقي. مقال للأستاذ محمد الحنفي، في منتديات أسرة التعليم، بتاريخ 30 مارس 2007 (رابط <http://ousrattalim.jeun.fr/t162-topic>).

إن للمدرسة عدة وظائف رئيسية يرتبط بعضها ببعض خاصة في عصرنا الحاضر الذي يمتاز بالتغيرات الاجتماعية السريعة، والتقدم المطرد في ميدان العلم والاختراع، والتشابك المتزايد في أساليب المعيشة وعادات الناس وتقاليدهم، إلا أن المدرسة الوطنية التي تضع مهمة التربية والتعليم في مقدمة أولوياتها، تحاول التوفيق بين مختلف الوظائف دون أن تطغى وظيفة على أخرى، وأن تضع مستقبل المجتمع برمته كغاية كبرى.

ولهذا فنجد أن من أبرز الأدوار التي يجب على المدرسة، أن تقوم بها سعيًا لتحقيق أهدافها كمؤسسة تربوية واجتماعية هي:

نقل التراث الثقافي:

إن تحليل معنى المجتمع والثقافة وعلاقة الشخصية بهما يبرز لنا أهمية العملية الاجتماعية التي تنتقل بها آداب السلوك العامة، والقيم، والمعاني، والأنماط الثقافية من جيل إلى جيل. وطبيعة الحياة الاجتماعية للأفراد من حيث الاختلاف في أعمارهم، واختفاء بعضهم وظهور بعضهم الآخر يجعل عملية النقل عملية اجتماعية ضرورية لاستمرار النضج الاجتماعي.

غير أن هذه العملية ليست آلية، فالمجتمعات المتمدنة قد تسير إلى الوراء إن لم تبذل جهودًا حقيقية في سبيل نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل.

لهذا؛ يبدو أن الحاجة إلى التعليم أمر بديهي في المجتمعات لاستمرار وجودها وتطورها.

فالناس يعيشون في جماعة بفضل ما يشتركون فيه من أشياء عامة، وبفضل عملية الاتصال والنقل التي يحصلون بها على الأشياء المشتركة العامة التي تجعل منهم جماعة، وهذه الأشياء المشتركة العامة هي الأهداف، والمعتقدات، والآمال، والمعارف، والمفاهيم المشتركة، وهذه كلها تساعد على إيجاد عقلية متشابهة بين أفراد الجماعة؛ لأن النقل والإيصال الذي يتضمن مشاركة الأفراد في تفهم مشترك هو الذي يحقق اتجاهات عقلية وانهالية متشابهة؛ أي طريقة

متشابهة للاستجابة لتوقعات الحياة ومطالبها.¹

[1] عمر أمريس، قراءة لكتاب مصطفى حدية "سيرورة التنشئة الاجتماعية في الوسط الحضري بالمغرب"، مجلة الرسالة التربوية، ع27، 1993، ص 138.

إن قيام المجتمع على التماسك في إطار أهداف مشتركة يعني أكثر من التعاون فيما بين أفراد، وفهم متطلباتهم وحاجاتهم، ومساعدتهم على فهم أغراضه وحاجاته، ومعنى هذا كله ضرورة توافر ما نسميه "بالإجماع" الذي لا يمكن وجوده إلا عن طريق عمليات النقل والاتصال الاجتماعي.

فعملية النقل قد تتم بطريقة واعية للذي نعمله ويمكن للمجتمع عن طريقها أن يواجه مواقف الحياة على أساس من التبصر والمعرفة، مع تزويده بما يلزم من المواقف المختلفة من معارف ومهارات سبق أن تثبتت صحتها من خبرات أجيال أخرى.

وقد تتم هذه العملية بالضغط الاجتماعي، أو الدعاية، أو بأي نوع آخر من التعليم، ولهذا فإن المدرسة وبجانبيها مختلف المؤسسات المكلفة بالتربية، تواجه عدة مشكلات لقيامها بهذه الوظيفة. ومن الأمور التي ينبغي مراعاتها بالنسبة لهذه الوظيفة هي اختيار الجوانب التي لها قيمة في التراث الاجتماعي بالنسبة للشخص، وكذلك اختبار العناصر التي تضمن تكاملاً في اتجاهات الفرد ومفاهيمه. (1)

التبسيط:

لما كانت المدنية الحديثة (الحضارة) تمتاز بالتعقيد فإن من العسير أن تنتقل عناصرها إلى الصغار الناشئين؛ لهذا فعلى المدارس تقسيمها إلى أقسام، وتصنيفها، وتبسيطها. ووظيفة المدرسة التربوية هي أن توفر بيئة مبسطة تناسب أعمار التلاميذ واستعداداتهم، فتختار العناصر الأساسية التي يتمكنون من الاستجابة إليها، وتنظم برامجها بحيث تزودهم خلال أطوار نموهم المختلفة بالمعارف والمهارات التي تزيد من بصرتهم في مواقف الحياة.

الانتقاد والاختبار:

من وظائف التربية والمدرسة أن تختار بين الاتجاهات والقيم والعادات والمعارف التي توجد في المجتمعات على أساس التمييز بين المرغوب فيه وغير المرغوب فيه؛ ذلك أن كل مجتمع يتضمن الكثير من العناصر المختلفة، والأفكار المتنوعة، والقيم المتعارضة، ولما كانت المدرسة

[1] عمر أمريس، قراءة لكتاب مصطفى حدية "سيرورة التنشئة الاجتماعية في الوسط الحضري بالمغرب"، مجلة الرسالة التربوية ع27، 1993، ص138.

هي أداة المجتمع في تنمية اتجاهات وقيم مرغوب فيها في ضوء أهداف معينة كان من وظيفتها القيام بتدعيم الجيد من العناصر والقيم، وتزويد الصغار الناشئين بها لمواجهة مواقف حياتهم في بيئتهم الاجتماعية، وكلما ارتقى المجتمع وتعددت مصالحه أدرك أمامه مسؤولية مزدوجة.

الأولى: العمل على نقل العناصر الطيبة في التراث وما حققته الأجيال السابقة.

الثانية: استخدام العناصر الجيدة الملقاة لبناء مستقبل أفضل.

التماسك الاجتماعي وتذويب الفوارق بين الطبقات:

إيجاد حالة من التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية، وذلك بأن تتيح المدرسة لكل فرد الفرصة؛ لتحريره من قيود طبقته الاجتماعية التي ولد فيها، وأن يكون أكثر اتصالاً وتفاعلاً مع بيئته الشاملة؛ ذلك أن المجتمع الحديث يتضمن في الواقع جماعات كثيرة، وهناك أيضاً الطبقات الاجتماعية، والمذاهب الدينية، ولكنها تتفاوت في العادات والتقاليد والآمال والقيم بين أفراد المجتمع الواحد، وكل هذه الطبقات لها تأثير على اتجاهات الأطفال الناشئين.

تنمية أنماط اجتماعية جديدة: إن أول خطوة لتحقيق المدرسة لهذه الوظيفة هي تنمية الوعي بين الأطفال والشباب بالفرق بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، وتتطلب هذه الوظيفة أساساً مبنياً وافرًا من المعرفة ومن المعلومات عن الوسائل الاجتماعية الأخرى المختلفة، وتكوين اتجاهات علمية جديدة متحررة من التعصب والجمود لتقويم هذه المعارك واستنباط أساليب ومفاهيم جديدة تكون أساساً لتصور مستقبلي فعال.

تنمية الإطار القومي:

فالمدرسة بطبيعتها الاجتماعية والخلقية تحمل دائماً في الإطار القومي، والذي منه تستمد فلسفتها واتجاهاتها، والتي على ضوءه ينبغي أن تختار خبراتها التعليمية التي تعني المواطنين الناشئين. فعلى المدرسة أن تحافظ على الإطار القومي، كما عليها أن تسهم في تطوير هذا الإطار وتنميته؛ لإخضاعه للدراسة والفكر في ضوء ما يشهده المجتمع من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية. 1

[1] أحمد عليوش، "ماذا عن علوم التربية؟"، بحث تربوي عن سنة 1997.

الابتكار:

إذا كانت نقطة البداية للمدرسة هي الإنسان الفرد.

فإن موضوعها هو طبيعة الفرد من حيث نموه، فطبيعة الفرد ليست ثابتة محددة بعوامل بيئية ثابتة، أو أنها فطرية تحكمها عوامل غريزية جامدة، وإنما هي طبيعة مرنة متكاملة في تفاعلها.

ووظيفة المدرسة هي أن تمكن الفرد من الخروج عند حدود جماعته الأولية إلى حدود الجماعات الكبيرة، مع قوة في تغيير هذه الجماعة، والإضافة إليها، والمشاركة فيها مشاركة إيجابية، وذلك بفكر خلاق ومبدع في ثقافته وبيئته.

وقد تعد هذه الوظيفة أعلى وظائف التربية المدرسية، خاصة في المجتمعات التي تعيش تغيرات سريعة تحتاج من الأفراد إبداعًا وابتكارًا وتجديدًا في أساليب حياتهم.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}{(1)}

ولنتفكر في اختلاف الليل والنهار.. الفصول والإنسان.. الإبل كيف خلقت.. والسماء كيف رفعت.. والأرض كيف سطحت، والجبال كيف نصبت، الوجود الذي طالما احتارت العقول في سره.

الحياة المادية:

الفكر والروح والآيات لا حصر لها بالقرآن الكريم، الهدف الأصلي في وجودنا على سطح البسيطة هو أن نعبد ونمجد الخالق.

لا شك أن الإبداع بكل ألوانه يخضع لعملية الابتكار، فهو يفصح عن خطايا النفوس وهو اجس الأفتدة.

والفن لسان الحياة الناطق بكل مكوناتها، وهو هبة وموهبة تتفاوت من إنسان لآخر، فهناك من تتفاوت عنده وتفيض، فيخرج آيات من الفن بينات، ولعله من الغريب والمدهش أن لكل مبدع

1- سورة المؤمنون، الآيات: 12:14
2- المصدر السابق..

في كافة ألوان الإبداع طريقة الحرمان هو أعظم مدرسة تغذي الموهبة، وتبلور العبقرية، ولناخذ مثالاً لبواكير الموهبة التي تشعل نار الابتكار وهو ايمرسون الشاعر والفيلسوف الأمريكي.. 1 مات أبوه قبل أن يتم الأسبوع الثالث من عمره، وكان أصغر إخوته الخمسة..

ذاق مرارة الفقر والحرمان في طفولته الجائرة.. قرض الشعر قبل أن يبلغ الثامنة من عمره.. أما شارلز ديكنز، فقد أفلس والده، فذهب ليعمل في مصنع لتعبئة زجاجات الصباغة ولصق البطاقات، وكانت المسافة ما بين المصنع وسكنه بعيدة يقطعها مشياً بقدميه، لكنه بعد أن كتب (دافيد كوبر فيلد)، وقرأتها الملكة فكتوريا استدعته، وقالت له أنت أعظم كاتب أنجبته بريطانيا! وتلك الرواية صور فيها جانباً من حياته.. أقف هنا وأشير لمبدعينا الذين يقف بعضهم في المحاكم؛ جراء عدم تمكنهم من دفع إيجار البيت ويُطردون في وضح النهار، والبعض الآخر الذي مات غيظاً وكمدًا، (2) لا قيمة للحياة بلا خلق وابتكار، وعلينا أن نغوص في أعماق بؤرة الحياة، ولنتعارف ونتصالح مع أنفسنا، وقديماً قال الفيلسوف سقراط: اعرف نفسك.

اعرف نفسك:

ويقول علماء النفس:

للمرء عالمان عالم خارجي وباطني، فالخارجي هو عالم الحركة والمادة ما نمثله في عالمنا الواقعي على مسرح الحياة، وقالها شكسبير: العالم عبارة عن مسرح كل منا يؤدي دوره فيه، وعالمنا الباطني يزخر بالأحلام والأخيلة والطموحات، ونخلص من هذا أن الخلق هو وليد دهشة الصانع، ثم تنتقل إلى الآخرين.

الابتكار هو الصفة التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، ولا يتيسر إلا بتضافر الملكات الفنية، والفلسفية العلمية، وأهم عنصر هو الفلسفية؛ ذلك لأنها مزيج من الفن والعلم والخيال ودقة التعابير، أما الفنية فإنها تقوم على الخيال والرؤيا، ومن الممكن أن يتم التآزر بينهما حتى تكتمل دورة الابتكار.

أما العلم فإنه كاشف أسرار الوجود. 3

1- المصدر السابق .

2- صحيفة اليوم التالي السوداني، بتاريخ 21 ديسمبر 2013 (رابط <http://www.alyoumaltali.com>).

إذا استعنا به فإنه يمكننا التعرف على ما يحويه كوكبنا من عجائب، والعلم يفتح الطريق أمام مزيد من الاكتشافات، ويصور لنا قدرة الخلاق العليم، فالتفكير المستمر يخلق عند الإنسان ملكة الابتكار، ويحس بقيمة الحياة وازدياد عناصرها، فالعلم يمهد لطريق لحل عديد من المسائل المعلقة التي لا يصلها الفكر إلا إذا أعملنا البحث، وتعمقنا في التفكير، واستقصينا الحقائق في عصرنا اللاهث صار الركض والتسابق خلف الاستحداث، وإيقاظ شياطين الشر سمة لازمة وأيضاً إغراء ذوي العقول التي تتفتح عبقريتهم في مجالات الحضارة والتقدم التكنولوجي. 1

كان للعرب والمسلمين الفضل الكبير في شتى المجالات، فلنرجع للتاريخ، وعلى سبيل المثال ابن خلدون - ابن النفيس.. الرازي، وغيرهم. (2)

لكن الحقد الغربي ما توقف يوماً فهاهم التتار والمغول يهجمون على بغداد فيرمون بأنفس الكتب في نهر دجلة حتى اصطبغت مياهه، والتاريخ يعيد الأحداث، فتغزو أمريكا العراق تحت ظلال الكذبة الكبرى أن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل، فنهبوا الآثار، واغتالوا العلماء، وعاثوا فساداً، أي حقد هذا؟ لماذا نظل دائماً في موقف المستهلك، بل سوق رائجة لكل من صنع شيئاً؟ فهل يُصدق أننا لا نزال نستورد الإبر والدبابيس!

لكي تكون مخترعاً للأبد لا بد أن تكون موهوباً، ومن المفترض أن تتم الرعاية من واقع الأسرة، لا أن تحجم ويتم وأدها في مهدها، وقطعاً للحكومات دور فعال في هذا الشأن، وأحياناً ربما يسخر ويستهزأ الناس بالمخترع، ألم يستهزئوا بسيدنا نوح عليه السلاح عندما صنع الفلك؟! الفلك؟! الفلك! الفلك!

من الواجب أن تتلقف الحكومات المبدعين المبرزين في المجالات كافة، وبالذات في مجالات الاختراع التي تبقى تراثاً للإنسانية فأين نحن من هذا؟

إني لأتساءل.. هذا الذي اخترع الترسانات الرهيبة من الأسلحة الفتاكة فتفنن فيها، هيدروجينية، وعنقودية، وأسمنتية.

لماذا لا يكون بارعاً مبتكراً فيصنع لنا آلة لإشاعة السلام، وسيظل سؤالي قائماً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها!

1- المصدر السابق.

2- إبراهيم جلال أحمد محمد، أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا. نشر في جامعة أم القرى، بتاريخ 24 أكتوبر 2014، (رابط <https://uqu.edu.sa/page/ar/93204407>).

الإعلام ودوره في تنشئة الأجيال:

لا ريب في أن للإعلام دوراً بالغاً وأثراً عظيماً في المجتمع المعاصر، بل إن دوره يتعاظم في حياتنا يوماً بعد يوم، بحيث نلاحظ بشكل ملموس أن دائرة تأثيره تزداد اتساعاً وقوة وعمقاً؛ ولذلك فإن ثمة من يرى أن دوره أصبح أشد خطراً من التعليم، وأوسع دائرة من مؤسسات الدولة الرسمية. 1

وهذا ما جعل كثيراً من المشتغلين بأمور التربية وشتون التعليم ينادون بضرورة "الالتفات إلى الإعلام، وجعله وسيلة تربية وأداة إصلاح، بدلاً من أن يكون معول هدم وسوط عذاب.

وتكمن أهمية الإعلام في هذا المجال في أنه يمثل الوعاء الأمثل، والوسيلة المؤثرة التي تنقل تلك المعلومات بأساليب شائقة، وتقنيات جذابة تشد المتلقي إليها شدة لا يكاد يملك أمامها حولاً ولا قوة فيجلس أمامها ساعات طوالاً، إما مستفيداً من سلاح ذي حدين فقد يصبح وسيلة تربوية ناجحة ومؤثرة في تربية الشباب المسلم إذا ما أحسنا توظيفها، أو تغدو معول هدم لقيم الإسلام وتعاليمه إذا أسأنا استخدامها، وتجاهلنا دورها المؤثر في نفوس النشء من أبناء المسلمين.

وهنا يبرز دور التربية الإسلامية في تزويد الفرد المسلم بما يضمن له المواجهة الناجحة مع التغيير في العالم المعاصر، وذلك بالتدريب وتكوين المهارات اللازمة لأداء دوره في الحياة من خلال الإعلام الرشيد والتوجيه السديد.

وهذا ما يجعل الإعلاميين يشعرون بأن مهمتهم لا تقتصر على نقل الرسالة عبر الفضاء، بل يجب عليهم الإسهام في تعديل السلوك الإنساني إلى الأفضل، متشرباً قيم الإسلام وتعاليمه، ومحاولة بثها قوية ومؤثرة وفاعلة عبر الأثير الذي سخره الله للبشر؛ ليكون مطية ذلولاً للتواصل والتفكير والتلاحق. 2

وهذا يعني أن الأسرة والمدرسة تواجهان اليوم منافسة شديدة من وسائل الإعلام المعاصرة التي يقف في قمتهما التلفاز والشبكة العنكبوتية بكل ما تحمله من موجات بث إعلامية محلية وعالمية على مدار الساعة، ويؤكد هذه الحقيقة اتساع رقعة البث الإعلامي.

1- التنمية في عالم متغير، د. إبراهيم العيسوي، سنة 2001، ص 13..
2- المصدر السابق..

غني عن القول: إن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أصبحت جزءاً من حياة الناس، مثل: الماء، والهواء، وغدت هذه الوسائل من تلفاز، وإذاعة، وإنترنت، وصحافة، وفضائيات ذات تأثير قوي في صناعة شخصية الفرد، وأصبحت هي الموجة الأولى لفكر الفرد واعتقاداته.

من هذا المنطلق أصبحنا حالياً نعيش مرحلة صعبة في تربية الأبناء؛ بسبب التناقض بين ما نربي أبنائنا عليه وبين ما يعرض في وسائل الإعلام؛ الأمر الذي يحدث للناشئة نوعاً من التشتت والضياع؛ ومن ثم يجد الطفل نفسه تائهاً بين ما تعلمه في المدرسة أو المنزل وبين ما يتلقاه من وسائل الإعلام المختلفة، والتي في أغلبها للأسف ليست في مستوى المسؤولية التي تؤهلها للقيام بعملية التربية.

ويمكننا أن نتصور حجم الخطر الذي يحرق بأبنائنا إذا علمنا أن الطفل يقضي من خمس إلى ست ساعات يومياً أمام شاشة التلفاز، بمعنى أن تأثير الإعلام - تربوياً - على الطفل يشكل ما نسبته أربعون في المائة، وأن ما يقرب من أربعة أعشار المفاهيم التربوية والأخلاقية والسلوكية والمعتقدات مصدرها الإعلام، والباقي مصدرها المنزل والمدرسة والجيران والمجتمع.⁽¹⁾

من هنا أصبح الإعلام أمانة ومسئولية، والمؤسسة الإعلامية كالمؤسسة التربوية، من حيث أثرها في تشكيل بنية المجتمعات، ورسم ملامحها، وقد يتفوق أثر المؤسسة الإعلامية على التربوية؛ نتيجة عوامل مختلفة، منها: طبيعة المادة التي تقدمها كل منهما ومدى مناسبتها لأهواء المتلقين، وتنوع أشكال المؤسسات الإعلامية، ومرافقتها لأفراد المجتمع في مختلف الأوقات والأماكن، بعكس المؤسسة التربوية؛ مما يستوجب استثمار الإعلام في توجيه شبابنا نحو ما يعود بالخير والنفع على مجتمعاتهم وأوطانهم.

1- دور الإعلام في تنمية الانتماء لدى الطفل، وليد نادي، 2012، وزارة الثقافة الإدارة المركزية للدراسات والبحوث.

أولاً: الإعلام وأهميته:

لعل أبرز مظاهر عصرنا الراهن أنه عصر ثورة المعلومات والاتصالات، هذه الثورة التي تركت علامة فارقة في تاريخ الحضارة البشرية وتقدم الإنسان. وقد تميزت ثورة المعلومات هذه بظهور قنوات اتصال جديدة لا تعرف حدوداً ولا حواجز، فظهور البث الفضائي والإنترنت والاتصالات الفضائية، حولت العالم إلى ما يشبه القرية الصغيرة.

هذه المستجدات جعلت العالم أمام صناعة جديدة، إنها صناعة الإعلام، وأصبح الإعلام عصب التطور في عصرنا الراهن.

من هنا يبرز دور الإعلام في مجتمعنا الذي لم يقدم الكثير في ثورة المعلومات والاتصالات هذه، بقدر ما كان مستهلكاً ومستورداً لهذه التقنيات، ومن المؤسف القول بأن وسائلنا الإعلامية لم تتمكن من أداء دورها المطلوب في التربية والتنشئة.

تعريف الإعلام:

الإعلام لغة:

هو التبليغ، والإبلاغ، أي الإيصال، وفي الحديث: «بلغوا عني ولو آية»⁽¹⁾.

التعريف:

كل نقل للمعلومات، والمعارف، والثقافات الفكرية، والسلوكية، بطريقة معينة، خلال أدوات ووسائل الإعلام والنشر.

2- وظيفة الإعلام:

- 1- الأخبار
- 2- الإعلام والتعليم
- 3- ترابط المجتمع ونقل تراثه
- 4- الترفيه
- 5- الرقابة
- 6- الإعلان والترويج
- 7- تكوين الآراء والاتجاهات⁽²⁾

1- صحيح البخاري. أحاديث الأنبياء، رقم 3247. مسند أحمد، الجزء 2، ص. 214.
2. دراسات في الإعلام والتنمية العربية، صلاح أبو إصبع، دبي، مؤسسة البيان، 1989، ص 168.

3- أهمية الإعلام:

له أهمية كبرى على مستوى: الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة، والعالم. وفي جميع مرافق الحياة الإنسانية: التربوية، والثقافية، والاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها). (1)

- وسائل الإعلام جزء رئيسي في حياتنا اليومية.
- أقوى أدوات الاتصال العصرية التي تعين الفرد على معايشة العصر، والتفاعل معه.
- من أهم الوسائل الحديثة في مخاطبة المجتمعات الإنسانية.
- ترجمة التوجهات الاجتماعية بمختلف المشارب الفكرية، وتفعيل الحراك السياسي، والمشهد الثقافي، والنتاج الفكري والإبداعي.
- شرح القضايا وطرحها على الرأي العام؛ من أجل تهيئته إعلامياً.
- بناء الدول اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، وثقافياً، وفكرياً.
- التأثير على القضايا السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والفكرية.
- العلم بما يجري في العالم من أخبار، وأحداث، وتطورات والتفاعل معها.
- التبادل الثقافي والحضاري والمعرفي بين الدول والشعوب والتفاعل فيما بينها.
- بناء الفئات والاتجاهات والمعتقدات عند الأفراد والجماعات.
- في القرن الحادي والعشرين أصبحت الكلمة الأولى للإعلام في ظل ثورة الاتصال والمعلومات.

1- ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012.

ثانياً: دور الإعلام في تنشئة الأجيال:

لا يختلف اثنان على أهمية الدور الفاعل لكافة وسائل الإعلام في تنشئة الأجيال، وإنما الاختلاف حول:

متي يبدأ الدور الحقيقي لمؤسسات ووسائل الإعلام المختلفة في مجال اهتمامها بالناشئة؟ سؤال يتردد كثيراً، خصوصاً بين المهتمين بأمر الطفل، والمشتغلين ببحوث الإعلام، فهناك من يرى أن الدور الحقيقي لوسائل الإعلام يبدأ مع الطفل عندما يصل إلى مرحلة الإدراك. وفريق آخر يعتقد أن هذا الدور يسبق هذه المرحلة بكثير؛ إذ يبتدئ من مرحلة تعليم وتثقيف الوالدين، حول الكيفية التي تساعدتهما في إنجاب طفل معافى، عند حدوث الحمل، وتمتد بعد ذلك أدوار وسائل الإعلام في توجيه الأبوين حتى تصل إلى المرحلة التي تخاطب فيها الطفل مباشرة. وهنا تبرز أهمية البرامج الإعلامية الموجّهة للطفل بتأثيرها الكبير، وإسهامها الفاعل في تكوين الطفل؛ ومن ثم الإسهام في بلورة اتجاهاته، وقدراته، وسلوكه بما يخدم أهداف المجتمع. (1)

المؤثرات (التربوية) على الناشئة:

(المنزل، المدرسة، الشارع، المجتمع، وسائل الإعلام)

وسائل الإعلام:

- هي أدوات التواصل الجماهيرية بين النشء والعالم الخارجي، وقد تطورت بصورة مذهلة في السنوات الأخيرة - خصوصاً في الجانب المرئي - وتوفرت العديد من الخيارات؛ لدرجة أننا نجد كثيراً من الأطفال جلّ مادتهم المعرفية وثقافتهم الشخصية مصدرها وسائل الإعلام، ولذلك يمكن تصنيف وسائل الإعلام بأنها المؤثر الأول والأقوى على الطفل.
- الإعلام اليوم مؤثر هائل في تكوين الأبناء؛ لما يتمتع به من حضور، وجاذبية، وإتقان، والمشكل أن الأطفال لا يتعرضون لتأثير إعلام واحد صادر عن جهة واحدة.
- الوسائل الإعلامية تنتمي إلى أكثر من (130) بلدًا في العالم، وهي تعكس ثقافات، وديانات، وتطلّعات متباينة أشدّ التباين.

1- المصدر السابق..

وإن نسبة غير قليلة من الناس قد أسلمت أبناءها للفضائيات من غير قيود تُذكر؛ ولهذا فإن ما يقوله الإعلام بات يُفهم لدى هؤلاء الأبناء في ضوء الخلفية الثقافية العميقة التي بناها الإعلام. (1)

أصبحت المادة الإعلامية الموجهة للناشئة من أخطر الصناعات الإعلامية في العصر الحالي، ومن أكثر الصناعات التي تشهد إقبالاً من طرف المستثمرين، وشركات الإنتاج العالمية؛ نظراً لما تدره من أرباح كبيرة؛ بسبب استهدافها شريحة واسعة هي شريحة الأطفال والشباب.

● بفضل انتشار الفضائيات، وظهور شبكة الإنترنت، وعولمة الصوت والصورة أصبح إعلام الطفل يشهد تنامياً ملحوظاً، وصار أكثر قرباً من الطفل داخل البيت، وقد حمل هذا الانتشار السريع معه أساليب جديدة، وأكثر تطوراً لاستمالة الطفل والسيطرة على عقله وسلوكياته.

● التوسع المذهل في تجارة التسلية الموجهة للأطفال يخفي الكثير من المخاطر والسلبيات، فجل الشركات المنتجة والعاملة في هذا القطاع هي شركات غربية توجه نشاطها ثقافة غربية، وفهم غربي لمعاني التسلية، واللعب، والترفيه، والتربية.

● أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على الطفل المعاصر إيجاباً أو سلباً، حتى أنه يصعب عليه أن يفلت من أسرها، وتحاول أن ترسم له طريقاً جديداً لحياته.

● خلاصة القول: إن لوسائل الإعلام تأثيرات إيجابية وأخرى سلبية على الكبار، وعلى الصغار يمكن إيجازها فيما يلي:

السلبية:

آثار وسائل الإعلام السلبية التي تنعكس على النشء لا تقتصر على جانب واحد، بل تتعدى ذلك إلى جوانب عديدة:

1- الاعتقادية (الدينية) 2- الأخلاقية 3- الاجتماعية 4- الأمنية 5- الصحية.

كيفية تأثير وسائل الإعلام على الناشئة:

التأثير الآتي:

أ) وهو التأثير المباشر في نفس الطفل، ويتكون عندما تكون الرسالة جديدة كلياً عليه، أو تحوي كمّاً كبيراً من الإثارة والتشويق. (1)

ب) التأثير التراكمي:

وهو الأشهر والأعم وذو الأثر البعيد لنفس الطفل، حين يتعرض الطفل لرسائل متقاربة في أزمنة مختلفة، وبشكل متدرج، ومن خلال أكثر من صورة وطريقة؛ مما يرسخ في نفسه تماماً الأفعال والأقوال التي ذكرت له.

مدى تأثير الإعلام على الناشئة:

تؤثر وسائل الإعلام على الطفل بحسب أربعة عوامل:

نوعية الوسيلة، وقوتها، ومدى انجذاب الطفل إليها، وهي مرتبة بحسب نسبة تأثيرها كالاتي:

- أ- السمعية البصرية (التلفاز - السينما - الفيديو)، وهي تمثل أعلى نسبة (60-70%).
- ب- التفاعلية (ألعاب الكمبيوتر)، وهي تمثل ما نسبته (20-30%).
- ج- السمعية (الإذاعة - الكاسيت)، وهي تمثل ما نسبته (10-20%).
- د- البصرية (المقروءة) (المجلات - الكتب - القصص) تمثل (10-20%). (2)

2) عمر الطفل وخلفيته الثقافية وبيئته الاجتماعية:

3) نوعية الرسالة للطفل من خلال المادة الإعلامية المقدمة، وتعتبر هذه أهم قضية، فالطفل مُستقبل جيد لكل ما يرسل له خصوصاً إذا صاحب المادة تشويق وإثارة.

4) الوقت الذي يقضيه مع وسائل الإعلام والتي تقدر (5-6 ساعات يومياً).

د- وعلى هذا فإن تأثير الإعلام - تربوياً - على الطفل يشكل نسبة تقارب 35-40%. (1)

1- المصدر السابق.

2- وسائل التعليم وتأثيرها في بناء الشخصية (مدونة الأساتذة، بقلم الأستاذ حميد الحجاجي، رابط - <http://alkhatib.alafdal.net/t191-topic>)

1- العلاقة بين الإعلام والتربية:

لقد اتّسمت العلاقات القائمة بين المؤسسة التربويّة ووسائل الاتصال بشيء من التصادم. ووضعت وسائل الإعلام في قفص الاتهام، ولم يكن أغلب رجال التربية ينظرون بعين راضية إلى تعامل التلميذ مع وسائل الإعلام. كما كانت صورة الثقافة التي تروّجها وسائل الإعلام سلبية بالنسبة لأغلب المربين الذين يعتبرون هذه الثقافة سطحية ومبتذلة.

إن دور المؤسسة الإعلامية لا يقلّ قيمة عن دور المؤسسة التربوية في التنشئة الاجتماعية للفرد، إلى جانب المؤسسة العائلية.

كما أن الوقت الذي يقضيه الطفل أو الشاب في تعامله مع وسائل الإعلام لا يقلّ أهمية عن الوقت الذي يقضيه في المدرسة، كما أن التعلّم عبر وسائل الإعلام يقوم في جوهره على ترابط عضوي بين التعلّم والترويح عن النفس؛ لذلك؛ فإنّ المدرسة ووسائل الإعلام يخدمان الأغراض التربويّة نفسها.

المحتوى التربوي في الإعلام:

يمكن أن يصاغ المحتوى التربوي من خلال:

- القصة: (المحكية - المقروءة - المصورة) - التوجيهات المختصرة المباشرة - الدراما

الألعاب - المواقف التمثيلية - الأناشيد - الألعاب (الكمبيوتر). (2)

الاستفادة من الإعلام في خدمة الجانب التربوي لدى الناشئة:

يمكن أن يتم ذلك من خلال:

- تحديد الرسالة
- اختيار القنوات المناسبة للعرض
- المواءمة مع البرامج التربوية في المدرسة
- أوقات الاستقبال الإعلامي المناسب للطفل

1- وسائل التعليم وتأثيرها في بناء الشخصية (مدونة الأساتذة، بقلم الأستاذ حميد الحجاجي رابط - <http://alkhatib.alafdal.net/t191-topic>)
1- ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012.

- حماية الطفل من الإعلام السلبي قدر الإمكان
- تطوير برامج إعلامية (متفزة) لخدمة الجانب التربوي
- التنوع في المواد الإعلامية المقدمة للطفل
- الاهتمام بالمستوى الفني وطرائق العرض للمواد الإعلامية
- صياغة بعض البرامج الإعلامية داخل المؤسسات التعليمية والتربوية

الناشئة والتلفزيون:

يؤكد علماء النفس أنه كلما ازداد عدد الحواس التي يمكن استخدامها في تلقي فكرة معينة أدى ذلك إلى دعمها وتقويتها وتثبيتها في ذهن المتلقي، وتشير بعض نتائج البحوث إلى أن 98 في المائة من معرفتنا نكتسبها عن طريق حاستي البصر والسمع، وأن استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة 35 في المائة عند استخدام الصورة والصوت، وأن مدة احتفاظه بهذه المعلومات تزداد بنسبة 55 في المائة.⁽¹⁾ ويقول علماء النفس إن التلفزيون يأتي في علم التربية الحديثة بعد الأم والأب مباشرة، وبات من المؤكد تأثير التلفزيون على سلوكيات الأطفال طبقاً لجميع الأبحاث العلمية في هذا المجال، وأصبح من المستحيل الاعتماد على الوسائل القديمة في التربية والتنشئة والتوجيه، ولم يعد ممكناً منع الأطفال من مشاهدة التلفزيون، أو هذا الكم الهائل من البرامج والأفلام التي تشكل الآن أحد المراجع الأساسية في سلوك وتفكير وتربية وتعليم الطفل. لا شك أن للتلفزيون آثار سلبية وأخرى إيجابية في حياة الطفل، حيث إن الأفلام التي تعرض في التلفزيون تنقل الأطفال إلى دنيا بديلة، وقد تكون قريبة من دنيا الطفل بعض القرب، وقد تكون بعيدة عنها، وقد يحيا الطفل بعض الوقت، أو يحلم بها، أو ينفر منها، أو يخافها، وقد أشارت الكثير من الدراسات والبحوث التي تربط بين بعض "جرائم" الأطفال وبين بعض الأفلام التلفزيونية إلى أن للأفلام دوراً مباشراً في تلك الجرائم.

1- أثر التقنيات الحديثة على سلوك الطفل (مركز أملي للتدريب والاستشارات، حققه الإمام محمد بن سعود) - موقع السعودية اليوم (http://www.alriyadh.com/Contents/2001/01/22-01-2001/page15.html).

"يقول الباحث الإنجليزي هال بيكر المتخصص في غسل الأدمغة عن طريق التلفزيون: إن غسل الأدمغة يجري عن طريق (سوفت باور)؛ أي قوة الأفكار، والصور، والتأثيرات التلفزيونية والإلكترونية. (1)

وفن غسل الأدمغة بواسطة التلفزيون يجري من خلال قوة "الإيحاء".

وتلعب قوة الاعتقاد عليه بشكل تدريجي، بعد تواصل الإدمان عليه قابلية لدى الجمهور في تقبل ما يعرض من صور وأخيلة كواقع.

فما يوحي به التلفزيون على أنه "الواقع" يتحول إلى واقع في أذهان المدمنين المتلقين.

لقد بات التلفزيون عنصراً شديداً التأثير في تحديد عناصر خيال الطفل وقيمه، حيث إن الوالدين لا يستطيعان إبعاد تأثير التلفزيون عن أطفالهم؛ لأنهما أنفسهما أصبحا متعلقين به.

إن الصورة المتحركة المصحوبة بالصوت في المراحل المبكرة للطفل التي يختزنها تصبح فيما بعد رصيده الثقافي، والوجداني، والشعوري.

إن سحر التلفزيون (والفيديو) يفوق تأثير أي أداة إعلامية أخرى، خصوصاً مع التطور في فنون العرض، واستخدام المؤثرات السينمائية (أفلام 3D) الحديثة.

ومع الوقت يتحول الإبهار البصري إلى إبهار معرفي وثقافي، يجعل الطفل يتقبل جل ما يصاحب المادة التلفزيونية من توجيهات وسلوكيات. (2)

وسائل إعلام الطفل في الوطن العربي:

"إن واقع إعلام الطفل العربي ليس على المستوى الذي يمكنه من القيام بدوره في تربية وإعداد الطفل العربي، وتنقيفه، وإن خطورة التقصير في وسائل الإعلام العربية تجاه الطفل العربي تكمن في أنها تفتح الباب أمام وسائل الإعلام والثقافة الغربية التي تغزو مجال إعلام الطفل العربي؛ مما يكون له أسوأ الأثر في تشكيل شخصية الأطفال العرب، وقيمهم، وعقيدتهم.

1- إشكالية العنف في التربية ووسائل الإعلام. الدكتور محمد أحمد النابلسي، أستاذ الطب النفسي / لبنان - رابط http://www.hayatnafs.com/mona3at_fi_alnafs/violenceineducationandmedia.htm

1- ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

الكتاب:

- يتميز كتاب الطفل العربي بالآتي:
- قلة العدد: كل 100 طفل يشتركون في نسخة واحدة من كتاب واحد في السنة؛ أي أن نصيب الطفل الواحد لا يزيد على بضعة أسطر سنويًا
- غياب المتخصصين في الكتابة للأطفال
- ندرة المكتبات والدور المتخصصة في نشر كتاب الطفل
- ضعف الإخراج الفني
- قلة الكتب المترجمة الهادفة
- ندرة معارض الكتاب المتخصصة بالطفل
- تغييب ثقافة الإبداع والابتكار
- غياب الأهداف التربوية في الكثير من كتب الأطفال

مجالات الأبطال:

- تتميز المجالات العربية بـ: القلة العديدة
- ما يقارب 80 مليون طفل (6-14) سنة، تخدمهم 15 مجلة بمتوسط 20.000 نسخة (لا تتجاوز 400.000 نسخة بأية حال: كل 200 طفل يشتركون في نسخة واحدة من عدد واحد من مجلة واحدة!!). (1)
- ضعف المحتوى:
- 50% مادة ترفيهية بحتة (تختلف من مجلة لأخرى)
- 25% مادة تعليمية / تربوية (تميل للسوء والانحراف في الكثير منها)
- 25% مادة محايدة ثقافية عامة
- قلة الجيد من المجالات (لا يتجاوز 20% من المتاح في السوق)

1- المصدر السابق.

- قلة المادة التربوية والدينية (لا تزيد على 10%) في أغلب المجالات
- غياب التوجيه السلوكي الإسلامي
- تقديم القدوات السيئة
- إهمال المستوى العقلي والنفسي، فالكثير من القصص والمغامرات تتجاوز مستوى الأطفال وأعمارهم
- كثرة المواد المترجمة من مجلات أجنبية دون انتقاء
- عدم التكامل مع برامج المدرسة التعليمية
- قلة المتخصصين في ميدان الكتابة والرسوم الفنية
- إهمال قضايا العقيدة
- سيطرة المادة الترفيهية على صفحات المجلة
- عدم تقديم القدوات الصالحة وبطريقة مناسبة

التلفزيون:

ما يقارب خمسين قناة تلفزيونية للأطفال في أوروبا مقابل خمسة في العالم العربي، الأولى غربية بالكامل، والثانية كرتون ياباني مدبلج (في الغالب).

والثالثة منوعات سطحية، والرابعة ذات مهنية عالية، لكن مع غياب المضمون التربوي، والخامسة محافظة (مشفرة) (المجد)، لكنها متواضعة فنيًا، ومهنيًا.

يقلل البعض من الآثار السلبية للقنوات الفضائية العربية على الأطفال، ويتهمون من يتحدثون عن هذه الآثار بالمبالغة والتخويف للذين لا مسوغ لهما!

وهؤلاء - مخطئون، فالآثار المحسوسة للبت التلفزيوني بعامة على الأطفال لم تعد مجالًا للشك.

هل العلاج إذن أن نمنع بث القنوات الفضائية، ونغلق أبوابنا دونه، ربما كان هذا علاجًا ناجحًا للبعض، ولكنه علاج محدود؛ لأن القادرين على تنفيذه قلة وسيواجهون عقبات كثيرة.

ومع مرور الزمن يصبح مثل هذا العلاج غير ذي جدوى، فالتقنيات تتطور حتى تستعصي على المنع، والسيل ينهمر تباغًا حتى لا تنفع معه سدود.

وتلك حقيقة واقعية وقد لا نرضى بها، ولكن لا بد من التعامل معها حتى نحسن المواجهة، ونقل من آثار الشر على أطفالنا. (1)

2- واقع برامج الأطفال في القنوات العربية

- ندرة المادة الكرتونية الهادفة المناسبة للأطفال
- ندرة المسرحيات والمنوعات الهادفة والتربوية للأطفال
- القلة العددية من حيث عدد الساعات
- اعتماد البرامج المستوردة (أكثر من 50%)
- اعتماد التوجيه المباشر في الغالب
- قلة التشويق واعتماد النمطية
- الاعتماد واسع النطاق على أفلام الكرتون، وكأن هناك معادلة خاصة بهذا الجانب:
تلفزيون + طفل = أفلام كرتون
- احتواء الكثير من الأفلام الغربية على مشاهد لا تليق بالطفل، وتؤثر على سلوكه.
 - احتواء بعض أفلام الكرتون الغربية على شعوذة وانحرافات عقائدية فيما يتعلق بالخالق - عز وجل -.
 - غياب البعد الأخلاقي فيما يعرض من أفلام الكرتون الغربية كافة، وانتشار العنف وثقافته في أغلب الكرتون.

السينما:

هناك شبه انعدام لسينما الأطفال (خلاف واقع سينما الكبار)، مع إنتاج محدود على شكل كرتون يقدم على شكل حلقات تلفزيونية، إضافة إلى انعدام المسارح الخاصة بسينما الطفل.

1- ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

الإذاعة:

- ندرة برامج الأطفال في الإذاعات العربية
- عدم وجود مُعدّي برامج أطفال متخصصين.
- ضعف مستوى برامج الأطفال.
- نمطية البرامج واعتمادها غالبًا على الأغاني.
- الاختيار غير الموفق غالبًا لأوقات بث برامج الأطفال.
- إنتاج محدد على شكل كاسيت للأطفال يغلب عليه الأناشيد، (هناك بعض التجارب الجيدة مثل تجربة مؤسسة محسن للإنتاج).

مسرح الطفل:

- له دور كبير في تنمية التفكير، وتطوير مهارات الاتصال، وزيادة الحصيلة المعرفية. 1

واقعه:

- عدم وجود مسارح خاصة بالأطفال في الأحياء، وأحياناً كثيرة حتى في المدارس.
- عدم الاهتمام بفن التمثيل ودوره في تطوير قدرات الطفل المختلفة.
- تخلف صناعة الدمى، وهي مكملة للمسرح.

الكمبيوتر والإنترنت وألعاب الكمبيوتر:

- يساعد الكمبيوتر في تطوير قدرات الطفل الذهنية والعقلية، ويسهم في العملية التعليمية بشكل كبير، كما يمكن إضافته للمؤثرات الإعلامية؛ بحكم احتوائه على مواد ذات بعد ثقافي وتربوي.

الواقع:

- الدخول البطيء للكمبيوتر في المدارس.
- ندرة برامج الكمبيوتر العربية الخاصة بالطفل.

(1) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

- انعدام برامج الألعاب الإلكترونية العربية.
- أقل من 1% من مواقع الإنترنت العربية للأطفال، 40% من مادتها قصصية، وهي تفتقد للتفاعلية، وتعتمد في كثير من الأحيان على المواقع الأجنبية. 1

10- تقييم المواد الإعلامية المقدمة للناشئة:

- قلة المواد الإعلامية المقدمة بما لا يتناسب مع عدد الأطفال في العالم العربي.
- انخفاض المستوى الفني للمواد الإعلامية؛ بسبب التكاليف العالية، أو قلة الخبرات.
- غياب الأهداف عن الكثير مما يقدم للأطفال، والاكتفاء فقط بـ"ماذا يعجبهم؟"
- غلبة المواد المترجمة وخصوصاً في أفلام الكرتون (المدلجة).
- اللغة العربية المقدمة من خلالها المواد المرئية ركيكة أو صعبة بالنسبة للناشئة.
- غلبة المواد الترفيهية، وقلة المواد الجادة.
- غياب البرامج التي تعنى بإذكاء عقلية الطفل، وتطوير مهاراته العلمية، والفنية، واليدوية، وتحسين ملكة الإبداع والتفكير لديه.
- إشغال وقت الطفل قد يكون أفضل تسمية لمواد وبرامج التلفاز العربية.
- غلبة التهريج والإثارة المتكلفة في مواد الأطفال.
- التأثير بعقلية الغرب فيما يقدم من إنتاج محلي، سواء في الأسلوب، أو حتى في المحتوى.
- توجيه الطفل لاهتمامات ليست ضمن أولوياته، وعدم ربط الطفل بخالقه كجزء من العقيدة التي يتربى عليها. (2)

هل يقوم الإعلام في منطقتنا العربية بالدور المطلوب منه في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة؟

للأسف لا، إذن ما هو الحل؟

(1) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

(1) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان: دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

إن العالم في ظل الثورة التكنولوجية الهائلة لوسائل الإعلام كيف يمكننا كأسر مسلمة، لها تراثها، وعاداتها، وتقاليدها، أن تحمي أبناءها من تأثيرات واضحة لتلك الوسائل التي جعلت من العالم قرية صغيرة يؤثر بها الفرد بالآخرين، ويتأثر بهم من خلال ما يعرف بالعولمة التي طالت مختلف مرافق حياة الإنسان، حيث بتنا نلاحظ آثار ذلك على بناء الإنسان الفرد، وعلى تنمية المجتمع، لا بل وعلى تربية الطفل ونشأته.

فالطفولة الناجحة ضمان تطوير وفاعلية للجيل القادم الذي يستمد المجتمع منه، تنميته وقوامه، ولم تترك الشريعة الإسلامية التي يستمد منها مجتمعنا العربي قوامه وفاعليته هذه الطفولة تتلوى تحت سلبات هذا الإعلام المنفتح؛ لهذا علينا أن نقوم بالتهذيب والمراقبة والترشيد لصناعة طفولة سليمة مؤثرة، وقادرة على تجاوز تحديات العولمة والإعلام المنفتح. لهذا أقدم بعض التوصيات:

(الأسرة، المدرسة، الإعلام، الناشئة):

- * إنشاء مؤسسة إعلامية خاصة بالطفولة.
- * ميثاق تربوي لمواد الناشئة (على غرار ميثاق الشرف الإعلامي).
- * التوعية الصحيحة والجادة لأولياء الأمور بالتأثيرات السلبية لوسائل الاتصال على أبنائهم.
- * إيجاد وتوفير البديل، مثل القنوات الهادفة، وأشرطة الفيديو المنتقاة.
- * توعية النشء من خلال الندوات والمناظرات التوعوية بسلبات ما تبثه وسائل الإعلام الحديثة. (1)
- * تنمية وعي المُشاهدة لدى النشء؛ لمعاونتهم على انتقاء وتقييم البرامج التي يشاهدونها.
- * تعميق مسؤولية الناشئة لتحمل تبعات سلوكياتهم بعقلانية واستقلالية.
- * تنمية رقابة الضمير لدى الناشئة بالتنقيف، والتربية، والتوجيه المناسب.
- * ترشيد الأسر (ولا سيما رب الأسرة) لاستخدام تقنيات الاتصال والإعلام بانتقاء البرامج.
- * تفعيل الدور التوعوي للمدرسة بشأن الآثار الناجمة عن سوء استخدام تقنيات الاتصال

(1) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان: دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

والإعلام، والانعكاسات السلبية للبرامج السيئة.

* تنمية جانب التقوى والحياء وخشية الله - سبحانه وتعالى - في السر والعلن.

* تنشئة الأبناء على القيم الإسلامية الفاضلة، وعلى تنمية الفطرة السليمة.

* أن تحرص الأسرة على إرشاد وتوجيه أبنائها لما يصلح لهم، ويفيدهم من البرامج.

* أن يحرص الأبوان على عدم ترك أبنائهم أسرى لما يشاهدونه من برامج في القنوات الفضائية، بل أن يحرصوا على مشاركتهم، ومناقشتهم فيما يشاهدونه؛ لينتسني لهم تصحيح المفاهيم الخاطئة.

* أن تحذر الأسرة من ترك أبنائها أسرى لشاشة التلفاز، وأن تحرص أن تكون متابعة لأبنائها، وأن تكون البرامج التلفزيونية تحت رقابتها.

* تكوين الحصانة في نفوس الناشئة، وهي أهم الحلول.

* توجيه الناشئة إلى ممارسة الأنشطة والهوايات المختلفة.

* تنمية روح الخلق، والابتكار، والإبداع، في شخصية الطفل.

* الاهتمام بالمواد الترفيهية التي تحقق ميول الناشئة نحو اللعب، وملء وقتهم بأشياء مفيدة.

* غرس وتدعيم عادة حب القراءة في نفوس الناشئة، وتدريبه على احترام الكتاب، وتقدير قيمته.

* إعداد الكفاءات الإعلامية المتخصصة في إعلام الطفل المسلم، وتشجيع كافة الكوادر الإعلامية التي تعمل في إنتاج، وإعداد، وإخراج، وتقديم المواد الإعلامية التي تسهم في إثراء العمل الإعلامي الموجّه للأطفال.

* الاهتمام بإصدار مجلات متخصصة للطفل تتماشى مع المراحل العمرية للصغار.

* إطلاق حرية الصغار في التعبير عن أفكارهم، وآرائهم، واكتشاف مواهبهم وتنميتها، وذلك

بمشاركتهم في تحرير المواد الإعلامية التي توجه إليهم. 1

* إجراء البحوث والدراسات الميدانية التي تقوم باستطلاع آراء الأطفال والمربين عن مضمون صحف الأطفال، وطرق إخراجها، والاستفادة من نتائج هذه الدراسات.

(1) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي بعنوان: دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

- توفير الإمكانيات المادية والفنية اللازمة لإصدار صحف الأطفال؛ حتى تضمن لها البقاء والاستمرارية، مع تهيئة المناخ المناسب لعملية الصدور.

- التأكيد على أهمية تنشئة الطفل المسلم على الإيمان بالله، وتقوية اعتباره بالانتماء الحضاري الإسلامي، وتحصينه ضد عوامل الانحراف؛ لذلك يجب أن نقوم بالآتي:

1 - تقوية جهاز المناعة لدى الطفل، وذلك من خلال التربية الإيمانية، والعقلية، والبدنية، والنفسية، والاجتماعية.

2 - إيجاد البديل الإعلامي والتربوي (القنوات الفضائية)؛ لأن النفس إن لم تُشغل بالطاعة شغلت صاحبها بالمعصية.

وعليه وفي ظل هذا الضخ الإعلامي المتواصل والمؤثر، لا بد من وقفة متأنية لتحديد الدور التربوي لهذا الإعلام، وبيان موقف التربية الإسلامية، ودورها في هذا المجال.

ومن ثم فإن من الأهمية بمكان إحداث نوع ما، من التنقيف الإعلامي التربوي داخل منازلنا ومدارسنا، بحيث يتم إعداد منهج إعلامي تربوي هادف يرمي إلى الاستفادة الإيجابية القصوى من وسائل الإعلام؛ بقصد استخلاص المهم والضروري لبناء الشخصية المسلمة، وتزويدها بمعلومات سليمة في شتى ضروب المعرفة: 1 السياسية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية، والصحية، والأخلاقية دون إفراط، مع ضرورة الحذر كل الحذر من عمليات الاستقطاب الجذابة والشائقة لوسائل الإعلام.

إعداد القائمين على البرامج في جميع وسائل الإعلام إعداداً تربوياً متخصصاً، يكسبهم المهارات والخبرات والمعلومات التي تساعدهم على التعامل الإيجابي في هذا المجال.

إشراك الخبراء المتخصصين من رجال الدين، والإعلام، والتربية في تصميم البرامج وإعدادها ومتابعة تنفيذها.

إبراز أهداف البرامج بصورة واضحة؛ حتى يمكن متابعتها لدى كافة الفئات.

الاهتمام بالبرامج المتخصصة التي تستهدف قطاعات أو فئات معينة في المجتمع.

(1) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان: دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

الحرص على تجويد البرامج وتطويرها بصورة مستدامة، ومتابعة كل جديد مفيد في مجال الإعلام حتى تصبح أكثر جذبًا للمشاهد، وأجدي نفعًا. 1

إبراز الطابع الإسلامي للإعلام من خلال التركيز على تعاليم الإسلام، وقيمه، وبنها سلوكًا حيًا أمام المتلقيين من قبل المقدمين للبرامج، والمخرجين، والمنفذين ونحوهم، ممن يتولون مسؤولية الإعلام الإسلامي، ويحملون رسالته بحيث يستطيع المشاهد أو المتلقي أن يصف الوسيلة الإعلامية بسهولة، من خلال سماتها الواضحة، ومحتواها المتميز المفيد الذي يعكس وجه الإسلام المشرق، والله من وراء القصد، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. 2

1- المصدر السابق.

(2) ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان: دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012، تقديم حفيظ بن عيسى بن ناصر الراجحي.

تنمويًا:**الأسس الفكرية:****تعريف التنمية لغتًا واصطلاحًا:****التنمية الفكرية، والتنمية البشرية، والتنمية التطويرية:****تعريف التنمية لغتًا واصطلاحًا:**

التنمية من الناحية اللغوية مأخوذة من نما نموًا، بمعنى الزيادة في الشيء، فيقال: نما المال نموًا؛ أي زاد وكثر. (1)

وأما من الناحية الاصطلاحية فقد اختلفت الأقوال في تحديد مفهوم التنمية، وسبب ذلك اختلاف الآراء حول عملية التنمية من حيث مجالاتها وشموليتها؛ فبعضهم يقتصر في تحديد مفهوم التنمية على مجال معين كالمجال الاقتصادي مثلاً، فيقوم بتعريفها من خلال هذا المجال المحدد للتنمية، بينما بعضهم الآخر يرى أنها عملية شاملة لمختلف المجالات، فيكون تحديد المفهوم تبعاً لهذه الرؤية الشمولية للعملية التنموية. 2

وعلى الرغم من ذلك، فإن كلمة التنمية بوصفها مصطلحاً ذا معنى محدد إذا أطلقت فتتصرف إلى معنى التنمية الاقتصادية في الغالب، ذلك أنّ الفكر الاقتصادي الغربي هو الذي وضع مؤشرات التنمية في العصر الحديث، من خلال منظور اقتصادي.

فضلاً عن ذلك، فإنّ التلازم بين التنمية والاقتصاد في الفكر الغربي، وانتشار هذا المنظور وهيمنته الناتجة عن الهيمنة الغربية على العالم، والتبعية التي تميّز بها العالم الثالث، جعلت المؤسسات الرسمية في العالم العربي والإسلامي، ولاسيما المسؤولين عن مجال التنمية، يتجهون هذا الاتجاه الغربي في حصر التنمية في المجال الاقتصادي، وإهمال ما سواها، ظناً منهم أنّ هذا التنبؤ سيقود حتماً إلى تنمية بلدانهم، والخروج بها من التخلف والانحطاط الاقتصادي، ولكن الواقع خيب ظنهم.

(1) نقلًا عن: عيد، إبراهيم حسن: دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي (مصر: دار المعرفة، 1990م) ص70.
2- عارف، نصر محمد: نظرية التنمية السياسية المعاصرة (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992م) ص 39.

لكنّ هذا المفهوم للتنمية الذي يجعل من الإنتاج مقياساً لها، بحيث إذا توفر نمو وزيادة في الإنتاج كانت هناك تنمية، وإذا انقضى انتفت، قد ضيق من مجالات التنمية في المجتمعات الإنسانية، ثم حصر طاقات الإنسان المتنوعة، والتي يمكن تنميتها، في طاقة واحدة هي الطاقة المادية المتمثلة في الإنتاج والاستهلاك لما أنتج.

زد على ذلك، فإنّ جعل الإنتاج مقياساً للتنمية، بحيث تكون التنمية الاقتصادية متوقفة على الإنتاج ليس بمقياس سليم في حدّ ذاته، بل إنّ الواقع يشهد بخلاف ذلك؛ فهذا المقياس قد حقق نجاحاً باهراً في البيئة الغربية؛ لأنّ هذا التوجه في العملية التنموية كان متماشياً ومنسجماً مع النظرة الغربية للكون والإنسان والحياة. 1

التنمية الفكرية:

وقبل أن نخوض في طرق التنمية الفكرية، لا بد من الإشارة إلى أن كل ما يتصل بتغيير الفكر والآراء والعقائد، يعدّ أمراً في غاية الصعوبة، وقد يحتاج من صاحبه جهد سنين لتنمية فكره. ومع ذلك نقول: إن ثمره التنمية الفكرية عظيمة الأثر في حياة من ينجح في الوصول إليها. فتعلم مهارات التفكير وتنميتها يختصران على الإنسان الطرق الشاقة لبلوغ الغايات الكبرى، سواء في نطاق التنمية الشخصية، والاجتماعية، أو السياسية، والاقتصادية. وتحديدًا يمكن تلخيص أهمية التنمية الفكرية باختصار من خلال النقاط التالية:

احترام وجهات نظر الآخرين. (2)

- الدقة في فهم وتقييم الآراء.
- البعد عن التبسيط والتسطيح في تحليل القضايا والمشكلات.
- وللتفكير السليم مبادئ وأسس تقيه الانحراف، وتضمن له السير ضمن أطر آمنة، منها:
- التفكير في حدود المعقول، والبعد عن الخوض في الغيبيات التي تعتبر خارج قدرة العقل الإنساني.

(1) الجابري، محمد عابد: «الروافد الفكرية العربية والإسلامية لمفهوم التنمية البشرية»، ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م).

(2) المصدر السابق.

- التخطيط طويل الأمد، وعدم استعجال النتائج والثمرات.
- الرؤية الشمولية، وإدراك العلاقات والتأثيرات، ورفض الثنائيات (معي أم ضدي)، (نعم أو لا)، (هجوم أم دفاع)، (خطأ أو صواب)؟... إلخ.
- الالتزام بالقيم والأخلاق النزيهة في السراء والضراء، وضبط النفس، والبعد عن الروح الانتقامية.
- النقد المستمر للذات، وقبول النقد من الآخرين.
- التواضع وعدم ادعاء الموضوعية هو عين الموضوعية، فذلك أدعى للمفكر أن يعاود النظر، ويصل لنتائج أثنى وأنفس.
- التفكير في الأولويات يصون رأس المال - ألا وهو الوقت - من الضياع.
- الإبداع يستدعي الخروج عن المألوف والمعهود.
- فهذه المبادئ تعد ضرورية للمفكر؛ ليضبط تفكيره، وليبصر طريقه، ويحفظ وقته من سرقة المجادلين على جوانب الطرقات، ولكل مفكر أن يضيف مبادئ تهمة في المكان والزمان المحددين. 1
- أما عن مهارات وتقنيات التفكير، فهي بمثابة الخطوات العملية لتطوير أساليب التفكير، وقد يحتاج المرء لبعض هذه المهارات، بحسب المواقف المختلفة، ونجمل المهارات التي يستفيد القارئ منها فيما يلي.

تتمثل هذه المهارات في العناصر التالية:

- مهارة حل المشكلات: وهي محاولة حل مشكلة من خلال جمع المعطيات، وتحديد الأهداف.
- مهارة تحديد الأولويات: وينجح صاحبها في ترتيب الأمور حسب أهميتها.
- مهارة تطبيق الإجراءات: أي العمل على إنجاز المهام بدقة عالية.

1- إبراهيم العسل: التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996م).

- مهارة التتابع: وتعني العناية الفائقة في ترتيب الأفكار، والفقرات، والأشياء بحسب الأولويات.
- مهارة المرونة: وهي القدرة على فهم الأشياء بطرق مختلفة. وذلك يحتاج إلى الدراية، والممارسة، وعصر الذهن؛ للخروج به من التفسير الأحادي للأشياء.
- مهارة تحديد العلاقة بين السبب والنتيجة: وهي مهارة ربط الأسباب بالمسببات والنتائج. وفي ذلك تمرس على التحليل العميق للأحداث.
- مهارة تنمية المفاهيم وتطويرها: والوصول إليها يكون عن طريق تحليل الأمثلة المتعلقة بمفهوم معين لإعطائه مسمىً معين.
- مهارة الاستنتاج: ولا بد من توافر المعلومات الكافية قبل ذلك، ثم التحليل، واستخراج النتائج بناء عليها. ¹
- مهارة تقييم المعلومات: وتعتمد على التمييز بين المعلومات المهمة وغيرها.
- وأود القول: إن قوة الأفكار تكمن في توافر ثلاثة معايير، ألا وهي: (الوضوح، والدقة، والعمق) فكل فكرة افتقدت إحدى الأمور الثلاثة فلن تجد سبيلها إلى العقول؛ ولذا كان من الضروري بالإضافة إلى معرفة أهمية التنمية الفكرية، ومبادئها، ثم تطبيق مهاراتها، التأكد من رسوخ هذه المعايير في ثنايا الفكرة التي ندركها.
- وختاماً، لا ننسى أن التفكير ثمرة لأمانة العقل الموهوب من عند الله - سبحانه وتعالى - وما كان للإنسان أن يوظف عقله فيما يضر ولا ينفع، بل ينبغي أن يطلق لعقله العنان فيما ينفع الخلق، وليشيد بفكره حضارة الرحمة والإنسانية التي مازال البشر يبحثون عنها لينعموا في ظلها بالأمن والسلام الدائمين. ⁽²⁾

1- المصدر السابق.

2- كتاب مهارات التفكير أ.د. جودة أحمد سعادة، دار الشروق للطباعة، الأردن، سنة 2003.

2- كتاب مفهوم التنمية من منظور إسلامي، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، دار الباز، الطبعة الأولى، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، مكتبة نزار الباز، الطبعة الأولى.

التنمية البشرية:

في العقد الأخير من القرن الماضي تنامي الوعي بقيمة الإنسان هدفاً ووسيلة في منظومة التنمية الشاملة، وبناء على ذلك كثرت الدراسات والبحوث والمؤتمرات التي عقدت لتحديد مفهوم التنمية البشرية، وتحليل مكوناتها وأبعادها، كإشباع الحاجات الأساسية، والتنمية الاجتماعية، وتكوين رأس المال البشري، أو رفع مستوى المعيشة، أو تحسين نوعية الحياة. وتستند قيمة الإنسان في ذاته وبذاته إلى منطلقات قررتها الديانات السماوية التي تنص على كرامة الإنسان، والذي جعله الله خليفة في أرضه ليعمرها بالخير والصلاح. لقد ترسخ الاقتناع بأن المحور الرئيس في عملية التنمية هو الإنسان.

فرض مصطلح التنمية البشرية نفسه في الخطاب الاقتصادي، والسياسي، على مستوى العالم بأسره، وخاصة منذ التسعينيات، كما لعب البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وتقاريره السنوية عن التنمية البشرية دوراً بارزاً في نشر وترسيخ هذا المصطلح.

ما هي التنمية البشرية؟ 2

إن مصطلح التنمية البشرية يؤكد على أن الإنسان هو أداة وغاية التنمية، حيث تعتبر التنمية البشرية النمو الاقتصادي وسيلة لضمان الرخاء للمجتمع، وما التنمية البشرية إلا عملية تنمية وتوسع للخيارات المتاحة أمام الإنسان، باعتباره جوهر عملية التنمية ذاتها؛ أي أنها تنمية الناس بالناس وللناس.

إن مفهوم التنمية البشرية هو مفهوم مركب من جملة من المعطيات، والأوضاع، والديناميات. والتنمية البشرية هي عملية أو عمليات تحدث نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل والمدخلات المتعددة والمتنوعة؛ من أجل الوصول إلى تحقيق تأثيرات وتشكيلات معينة في حياة الإنسان وفي سياق المجتمع، وهي حركة متصلة تتواصل عبر الأجيال زماناً، وعبر المواقع الجغرافية والبيئية على هذا الكوكب. 1

والتنمية البشرية المركبة تستدعي النظر إلى الإنسان هدفاً في حد ذاته، حين تتضمن كينونته والوفاء بحاجته الإنسانية في النمو، والنضج، والإعداد للحياة. إن الإنسان هو محرك الحياة في

(1) المصدر السابق.

مجتمعه، ومنظمتها، وقائدها، ومطورها، ومجددها. إن هدف التنمية يعني تنمية الإنسان في مجتمع ما بكل أبعاده الاقتصادية، والسياسية، وطبقاته الاجتماعية، واتجاهاته الفكرية، والعلمية، والثقافية.

إن مفهوم التنمية البشرية مركب يشمل مجموعة من المكونات والمضامين تتداخل وتتفاعل في عملياته ونتائجه جملة من العوامل والمدخلات والسياقات المجتمعة وأهمها: عوامل الإنتاج، والسياسة الاقتصادية والمالية، ومقومات التنظيم السياسي ومجالاته، وعلاقات التركيب المجتمعي بين مختلف شرائحه، ومصادر السلطة والثروة، ومعايير تملكها وتوزيعها، والقيم الثقافية المرتبطة بالفكر الديني والاقتصادي، والقيم الحافزة للعمل، والإنماء، والهوية، والوعي بضرورة التطوير والتجديد أداة للتقدم والتنمية.

وهكذا يمكن القول إن للتنمية البشرية بعدين..

البعد الأول يهتم بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل الحياة لتنمية قدرات الإنسان، وطاقاته البدنية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، والمهارية، والروحانية....

أما البعد الثاني فهو أن التنمية البشرية عملية تتصل باستثمار الموارد، والمدخلات، والأنشطة الاقتصادية التي تولد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات البشرية عن طريق الاهتمام بتطوير الهياكل، والبنية المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس.

التنمية البشرية هي السبيل للتقدم بخطوات واثقة مدروسة نحو تحديد وتحقيق أهدافك.

فلكي تحقق السعادة يجب أن تنمي الجوانب السبعة لشخصيتك.

تعرف على الجوانب السبعة للتنمية الذاتية:

لكي تحقق السعادة والنجاح، فعليك أن تهتم بتنمية كل من هذه الجوانب في حياتك:
الجانب الإيماني والروحاني، والجانب الصحي والبدني، والجانب الشخصي، والجانب الأسري،
والجانب الاجتماعي، والجانب المهني، والجانب المادي.¹

وتحقيق الاستقرار في كل من هذه الجوانب يشكل ركناً رئيسياً في تحقيق النجاح والاستقرار.

(1) المصدر السابق.

التنمية التطويرية:

يُعد مفهوم "التنمية التطويرية" من المفاهيم الحديثة، والتي ظهرت مع بداية الاهتمام العالمي بقضايا البيئة، وحماية الموارد الطبيعية من الاستنزاف، والاستخدامات غير الرشيدة لتلك الموارد.

وتتعدد أنماط ومستويات التنمية التطويرية، كما أن تلك التنمية تركز على مبادئ تحكم السلوك البشري مع المعطيات البيئية المتنوعة؛ لذلك فإنَّ هناك أهدافاً نسعى إلى تحقيقها تلك التنمية من خلال مشاركتنا ومساهماتنا مع جميع الهيئات والمؤسسات لتطوير وتحديث العمل المؤسسي للمركز (دار السلام روما)، وباستخدام الأدوات التي تكفل الوصول إلى تحقيق تنمية تطويرية حقيقية.

يتطلب تحقيق التنمية التطويرية إيجاد تغييرات على أرض الواقع مؤسسية، تصمم بعناية لتلبي الاحتياجات التي تم تحديدها.

ويتحقق ذلك من خلال تطبيق عنصر "التخطيط الإستراتيجي".

ومن خطتنا لبلوغ هذا التطور في المركز:

- 1- إنشاء جريدة أسبوعية ناطقة باللغة الإيطالية والعربية للدعوة إلى الله.
- 2- إنشاء أول محطة إذاعية سمعية للمسلمين بإيطاليا.
- 3- العمل على اعتراف الحكومة الإيطالية بالدين الإسلامي.
- 4- العمل على إدخال الدين الإسلامي في المدارس التعليمية لأبناء المسلمين.
- 5- العمل على وجود برنامج يومي على القنوات الحكومية للتعريف بسماحة الدين الإسلامي.

وذلك لإيماننا الكامل والشامل بمفهوم التطور الفكري؛ لأن الأساس الفكري للمفهوم هو الانطلاق من أنه في نطاق التأثير المتبادل بين العوامل المادية والروحية المتفاعلة، فإن الإنسان هو العامل الحاسم في التطور الاجتماعي.

شروط التنمية البشرية: فإن المسجد يهتم برواده؛ لرفع حدود التنمية عندهم من شروط إدارية كارتفاع المهارات الفنية، والإدارية، وتطور أساليب الإدارة، واعتماد أسلوب التخطيط، والتقنية كاستخدام التقنية وتوطينها.

وسكانية كالاستغلال الأمثل للموارد البشرية، وارتفاع مستوى المعيشة. وصحية كتحسن مستوى الرعاية الصحية.

واجتماعية كنمو ثقافة العمل والإنجاز، وتغير المفاهيم المقترنة ببعض المهن والحرف، ومرونة البناء الاجتماعي، والمساواة الاجتماعية.

وسياسية كعدم احتكار السلطة وتحقيق الديمقراطية.

ونفسية كتهيئة المناخ النفسي العام والتشجيع على التنمية.

ويهتم أيضاً المسجد بتنمية الذات في تطوير شخصية المسلم؛ ومن ثم فإن العلاقة بينهما علاقة تحديد وتكامل، أي أن مفهوم التنمية البشرية يحد مفهوم تنمية الذات، ويهدف المسجد إلى تنمية الذات، وتنمية مهارات الحياة العملية كمهارات القيادة، والتواصل، وتنظيم الوقت والتفاوض... فالنجاح أو الفشل يتوقف أساساً على الإنسان وليس على الظروف. 1

فإن الأساس الفكري للمسجد هو مفهوم (الانطلاق من أن الإنسان هو العامل الحاسم في التطور الاجتماعي) يتسق مع مفاهيم استخلاف الإنسان وتسخير الطبيعة في المنهج الإسلامي، كما أن الأصول الفكرية لمفهوم تنمية الذات (قاعدة أن تغيير العالم يبدأ من الذات) (2) تتسق مع تقرير المنهج الإسلامي على أسبقية التغيير الذاتي على التغيير الموضوعي، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن آلٍ} (3).

(1) مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات، د.صبري محمد خليل/ أستاذ فلسفة القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم.

2- مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات (د.صبري محمد خليل/ أستاذ فلسفة القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم- رابط <http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-31272.htm>).

3- سورة الرعد، آية: 11.

اقتصادياً؛

مصادر الدخل؛

المال هو وقود أي عمل خيري مؤسسي يسهم في تنمية المجتمع، وبدونه قد يكون صعباً أن يمارس هذا العمل دوره على النحو المأمول، غير أن تدفق الأموال من المتبرعين إلى المشروعات الخيرية ليس أمراً سهلاً، إنما يحتاج إلى جهد منظم من طالب التبرع، حيث يقوم بإقناع المتبرع بمشروعه؛ لكي يموله سواء أكان هذا المتبرع فرداً أو مؤسسة.

كما أن عليه معرفة القوانين الحاكمة للتبرعات، والتي تختلف من دولة لأخرى، إضافة لمعرفة معلومات دقيقة عن المتبرع وتوجهاته، خاصة في ظل ظروف التضيق الدولي على عملية التبرعات، وربطها بما يسمى بـ "الإرهاب" أحياناً، بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

ويعد القطاع الأسري والأفراد المصدر الرئيس لأغلبية التبرعات في المركز الإسلامي، حيث يميل الأفراد إلى التبرع غالباً بصفتهم كأعضاء أسرة. وأبرز مصادر التمويل المرتبطة بالأفراد والأسر هي: زكاة المال، وزكاة الفطر، والصدقات، والتبرعات النقدية، والتبرعات العينية، والأوقاف، والاستقطاعات الشهرية؛ حيث يتم دعوة الراغبين في دعم المنظمة إلى تخصيص مبالغ معينة من رواتبهم يتم اقتطاعها شهرياً من الراتب مباشرة، وتحويلها إلى المنظمة التطوعية.

كيفية تنمية مصادر الدخل؛

- الحملات البريدية التي يتم بوساطتها توجيه رسائل متضمنة قسائم يتم تعبئتها، ويرفق بها الدعم الذي يقدمه الفرد في حالة رغبته في تقديم الدعم أو التبرع.
- الحملات الإعلامية للدعوة إلى دعم المنظمة التطوعية، وذلك عبر وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمقروءة.
- حصالة الخير وتوضع في الأسواق، أو المدارس، وتستهدف جمع التبرعات من الراغبين في ذلك.
- العمل على إنشاء مشروعات تنموية لرعاية المراكز الإسلامية، والأسر الفقيرة.

إن النمو الاقتصادي عملية يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية ومستمرة عبر فترة ممتدة من الزمن (ربع قرن)، بحيث تكون هذه الزيادة أكبر من معدل نمو السكان، مع توفير الخدمات الإنتاجية، والاجتماعية، وحماية الموارد المتجددة من التلوث، والحفاظ على الموارد غير المتجددة من النضوب. (1)

كما يعرف أيضاً على أنه الزيادة في كمية السلع والخدمات التي ينتجها اقتصاد معين. وهذه السلع يتم إنتاجها باستخدام عناصر الإنتاج الرئيسية، وهي: الأرض، والعمل، ورأس المال، والتنظيم.

متطلبات التنمية الاقتصادية:

التخطيط وتوفير البيانات والمعلومات اللازمة.

الإنتاج بجودة وتوفير التكنولوجيا الملائمة؛ لتوفير الموارد البشرية المتخصصة.

وضع السياسات الاقتصادية الملائمة.

توفير الأمن والاستقرار اللازمين.

نشر الوعي التنموي بين المواطنين.

يعتبر أهم متطلب من متطلبات التنمية الاقتصادية العدالة الاجتماعية، حيث إن عدم توافرها يؤدي إلى إخلال بعملية التنمية. وأيضاً المشاركة المجتمعية في عملية التنمية، وذلك بإشراك المجتمع في قرارات التنمية، وذلك لزيادة تقبل المجتمع للتغيير نحو التنمية الاقتصادية. (2)

مساعدة المحتاجين:

يسعى المركز لأن يكون مؤسسة اقتصادية فيرعى أسر المتعفين عن طريق اللجان الخيرية التي تقوم على جمع التبرعات من الميسورين، وتوزيعها على المحتاجين. ويقوم المسجد بالتوفيق بين الرجل والمرأة بقصد الزواج ممن لم يحالفهم الحظ في الزواج بالطرق التقليدية، أو

1- مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات، د.صبري محمد خليل/ أستاذ فلسفة القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم- رابط <http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-31272.htm>

2- تقرير التنمية البشرية لعام 2003، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، 2003، ص. 15-16.

لحاجة في المال من جانب الرجل. قام المسجد بجمع طلبات الرجال والنساء والتوفيق بين القائمتين، وقد أثمرت هذه المبادرة بتزويج من لم يحالفه الحظ بالزواج.

وانطلاقاً من مفاهيم التطور الاقتصادي للمركز (دار السلام) الاستخلاف وتنمية الذات، فقد تم - بفضل الله - إنشاء مشروع تنموي اقتصادي في المركز هو الأول في تاريخ المراكز الإسلامية في أوروبا، اعتماداً على الله، وثقة بإيماننا نحو التنمية الاقتصادية الحقيقية فقد أنشأنا مشروعاً لتوليد الكهرباء بالطاقة الشمسية فوق سطح المسجد، وهو مشروع يعد من إنجازات مركز دار السلام، ويعتبر تطبيقاً لمفهوم التنمية البشرية الاقتصادية، وتنمية لمصادر الدخل.

وإليك بعض صور الطاقة الشمسية:



الفصل الثاني الاندماج الفكري والثقافي في الغرب

المبحث الأول: واقع المسلمين في الغرب

وسوف نتناولها من حيث:

- العقيدة
- العبادات
- الأخلاق
- المعاملات

العقيدة :

العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة لغة: مأخوذة من العقد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والثوق.

وتطلق العقيدة على الأمر الذي يعتقدّه الإنسان، ويعقد عليه قلبه وضميره، بحيث يصير عنده حكماً لا يقبل الشك.

والعقيدة الإسلامية اصطلاحاً:

هي مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يؤمن بها، وتكون عنده يقيناً لا يمازجه شك. (1)

الخلل العقدي في الغرب:

نعني بالخلل العقدي: كل أمر من شأنه أن ينحرف بالعقيدة الصحيحة عن أصلاتها وأصلها، فيسلك المرء سبيلاً غير سبيل الرسل والأنبياء، وينتهج نهجاً بدعياً بوازع الهوى أو العقل المحض، أو الجهل، أو التقليد، مبتعداً عن هدي الرسل والأنبياء، في أمور الاعتقاد.

والخلل في العقيدة الإسلامية يراد به كل ما ينشأ لدى الفرد المسلم من اضطراب فيما يخص ذات الله، أو نوات الأنبياء، أو ما يتصل بهما من الغيبيات التي حجبها الله عن خلقه لغاية عنده؛ أي إنه كل خلل يُصيب معنى الإيمان الذي فسره النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث

1- كتاب: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم.. د.محمد أحمد ملكاوي- الناشر دار ابن تيمية الرياض، 1992.

جبريل المشهور بقوله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». 1

أسباب الخلل العقدي:

ولهذا الخلل أسباب كثيرة أعظمها أربعة: اتباع الهوى، وتقديم العقل، والجهل، ثم التقليد، ولنا مع كل واحدة من هذه الأربع وقفة سريعة:

1- فأما الهوى، فهو رأس كل انحراف وفساد وقع فيه الإنسان وسيقع، من لدن آدم - عليه السلام - إلى وقت قيام الساعة، فبالهوى طُمست حقائق، وزُيفت عقائد، وغرق أقوام في بحور من التيه والغى والضلال.

والهوى زعيم كل عداء واجه أنبياء الله ورسله في دعواتهم، وبه جوبهت دعوات الإصلاح، وحركات التجديد في كل عصر ومصر. والهوى هو وازع الشر والانحراف في كل نفس، وهو إما أن يكون بنزغ من الشيطان، وإما أن يكون من طبع النفس البشرية، ومآلهما واحد وهو الانحراف عن الجادة، والاختلال العقدي.

والهوى أو الميل يراد به ميل النفس إلى ما تحب، وأكثر استعمالاته تكون في الحب المذموم، يقول الله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}. 2 وقصص هذا النوع من أسباب الاختلال (العقدي) لا تكاد تنتهي، سيما في عصور الضعف العلمي، خاصة هذا العصر الذي كثرت فيه الأهواء، حتى صار الهوى والعجب بالرأي ونكران الدليل، معبودًا من دون الله، لدى كثير من مدعي العلم والفهم والثقافة.

ومن الأمثلة العامة على هذا الأمر ما نراه في قضايا الولاء والبراء، ومسائل الاستغاثة والاستعانة بغير الله، إلى غير ذلك من الأمور التي يستحسنها البعض، ويدافع عنها بغير برهان، يقول الله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ}. 3 وقال - عز وجل - مُحذِّرًا نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأمه من آفة الهوى: {لَوْلَا تَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْتَرَاهُمْ أَنْ يَفْتُتُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}. 1

2- أخرجه البخارى . كتاب بدء الوحي رقم 1 عن عمر بن الخطاب

1- سورة النازعات، آية: 40-41.

2- سورة الأنعام، من الآية: 119.

لهذا وجب على الإنسان مغالبة هواه؛ لينجو من شرك أطماعه ورغباته، يقول ابن القيم: "ولما امتحن المكلف بالهوى من بين سائر البهائم، وكان كل وقت تحدث عليه حوادث جعل فيه حاكمان؛ حاكم العقل، وحاكم الدين، وأمر أن يرفع حوادث الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين. وأن ينفاد لحكمهما، وينبغي أن يتمرن على دفع الهوى المأمون العواقب؛ ليتمرن بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه". (2)

2- والسبب الثاني من أسباب الاختلال العقدي؛ ركوب مركب العقل، والتجديف بغير هدى. فجنائية تقديم العقل على الوحي عظيم الأثر في إحداث موجات عاتية من الاختلال العقدي والفكري في المجتمعات، ولا يعني هذا إهمال الإسلام كدين لمكانة العقل، وإنما المراد هو الاعتدال في الأمر، وتحتية العقل عما لا يدخل في إطاره، فللعقل مجالات ليس له أن يتخطاها إلى ما دونها، وإلا سقط الإنسان في متاهات من الغي، بسبب سوء الفهم، وإعمال العقل فيما لا عقل فيه، وإنما إنصات وتسليم، ومن ذلك أمور العقيدة التي لا سبيل لمعرفة إلا سبيل الوحي. إلى جانب هذا الأمر؛ فإن لتفاوت العقول والأفهام دلالة خطيرة، من شأنها أن تنحي هذا العقل عن ساحة المسائل العظام كمسائل العقيدة، وما يرتبط بها من أمور، هي في الأصل من أخص خصائص الوحي، فلكل عقل طريقته الخاصة في فهم الأمور والتعاطي معها، وعليه فلفهم المسألة الواحدة طرائق عدة تختلف من عقل إلى عقل ومن زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، فللعقل حيثيات وموائمات تؤثر بشكل كبير على طريقة تفكيره.

3- ومن أكبر الدواعي المسببة للانحراف العقدي؛ جهل الإنسان.

والجهل للأسف الشديد صار من أشد آفات هذا الزمان، بل صرنا نرى الجهلة يتصدرون لمواطن العلم والفتوى، فصرنا نرى رعوساً جاهلة، تُفتي الناس بغير علم، وتتحدث في دين الله بغير مراد الله - عز وجل - ومراد رسوله - صلى الله عليه وسلم - . بل قد يصل الجاهل بجهله إلى حد عبادة غير الله، فالجاهل كالأعمى لا يرى من حال نفسه أو حال غيره شيئاً، وقد حدث في القديم أن طلب بني إسرائيل بجهل منهم من نبيهم موسى - عليه السلام - أن يتخذ

3 - سورة المائدة، من الآية: 49.

1 - روضة المحبين؛ لابن القيم، ص: 486..

لهم إلهًا من دون الله، قال الله - تعالى - في كتابه العزيز: {اجْعَلْ لَنَا إلهًا كَمَا لَهُمْ آلهةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفَاعِلُونَ} (1)

4- والتقليد رابع الأسباب المحدثة للخلل العقدي.

والمقصود به التقليد المجرد عن كل عقل وضابط من الشرع، فالتقليد ليس كله شر بل نحن مأمورون بالتقليد المرادف للاتباع الحق، فنحن مأمورون باتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل كبيرة وصغيرة، والعمل بفهم صحابته وتابعيهم، يقول الله - تعالى - في حق نبيه - صلى الله عليه وسلم - : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (2)

ومن حديث الافتراق المشهور يتبين لنا حض النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته على اتباع حال صحابته - رضوان الله عليهم - وترسم خطاهم في مسائل الدين، يقول - صلى الله عليه وسلم - : «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» (3). ثم؛ نحن مأمورون باتباع سبيل المؤمنين عامة، يقول الله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (4).

أما الاتباع المذموم أو ما يعرف بالتقليد، فيرتبط بالأساس بتقليد الجهلاء، ومن لا خلاق لهم، وأرباب المذاهب الفاسدة والأفكار الهدامة، أو تقليد ملل الكفر والمحرقين لأديان السماء.

يقول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} (5)

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "وسواء كان هؤلاء الذين تعنيهم الآية هم المشركون الذين تكرر منهم هذا القول كلما دعوا إلى الإسلام، وإلى تلقي شرائعهم وشعائيرهم منه، وهجر ما ألفوه في الجاهلية مما لا يقره الإسلام، أو كانوا هم اليهود الذين كانوا

2- سورة الأعراف، آية: 138-139.

1- سورة آل عمران، آية: 31-32.

2- أخرجه الترمذي في سننه: [2641/26/5]، وإسناده حسن من حديث أنس بن مالك

3- سورة النساء، آية: 115.

4- سورة البقرة، آية: 170.

يصرون على ما عندهم من مأثور آبائهم، ويرفضون الاستجابة للدين الجديد جملة وتفصيلاً، سواء كانوا هؤلاء أم هؤلاء فالآية تتدد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله؛ وتتدد بالتقليد في هذا الشأن، والنقل بلا تعقل ولا إدراك".¹

فالتقليد القائم على خرق أصول الدين، ووحى السماء، تقليد أعمى يضر بصاحبه، والتقليد يكون في الكفر، والبدعة، والمعصية، وليس له عاقبة في الدنيا والآخرة إلا الخسران للمقلد والمقلد، يقول الله تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}.²

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا}: يعني: السادة والرؤساء تبرعوا ممن اتبعهم على الكفر، عن قتادة وعطاء والربيع، وقال قتادة أيضاً والسدي: هم الشياطين المضلون تبرعوا من الإنس، وقل: هو عام في كل متبوع. {وَرَأَوْا الْعَذَابَ}: يعني التابعين والمتبوعين، قيل: بتيقنهم له عند المعاينة في الدنيا، وقيل: عند العرض والمساءلة في الآخرة، قلت: كلاهما حاصل، فهم يعاينون عند الموت ما يصيرون إليه من الهوان، وفي الآخرة يذوقون أليم العذاب والنكال".⁽³⁾

تتمثل عقيدة المسلم الفكرية في إيمان صادق عميق من حيث الزمن واختلافه، ومن حيث البيئة وتنوعها، ومن حيث جمع العناصر كلها في منظومة واحدة هي جزء من مهمة الدعاة إلى الله عليهم أن يحرروا الشخصية الإسلامية من التبعية بكل صورها وألوانها، والتوصل إلى تأسيس وتأصيل مدارس واتجاهات إسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة، وتفرغها في إطار إسلامي، وتعمل على تأصيل الفنون، والآداب، والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأن علاقات الإنسان بربه وبنفسه وبالكون وبالناس هي مصدر قوته وأصالته.

الإيمان بأن الحياة ليست منفعة، أو مادة، ولكنها جماع المعنويات والماديات، وأن الإنسان تحركه إرادة حرة، ولكنها حرية غير مطلقة؛ لأنها تتحرك داخل إرادة الله.

وأن للكون قوانين ثابتة وسنن طبيعية، ولكنها تخضع للمعجزة الإلهية، وأن الله - تبارك وتعالى - قادر على نقض هذه القوانين متى شاء وإيقافها متى أراد.

5- في ظلال القرآن، لسيد قطب. [155/1]

1- سورة البقرة، آية: 166.

2- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. [206/2]

وأن في الفكر عقلانية، ولكنها ليست كل شيء فهناك الوجدان، وأن هناك مادية ولكنها ليست كل شيء فهناك الروح، وأن حرية الإنسان مقيدة بالضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية التي أقامها الدين، وهناك ضوابط وحدود، والاقتصاد عامل مؤثر في مجرى التاريخ، ولكن ليس الأكبر، أو النهائي، أو الوحيد. 1

ومن عقيدة المسلم أن الفكر الغربي قد سيطرت عليه الفلسفة المادية، فأصبح لا يعتني بالروح أو المعنويات، وأصبح انشطاريًا غير متكامل، وأن حضارة الغرب تمر الآن بمرحلة الأزمة، فقد عجزت عن أن تعطي سكينه النفس، وأن الفكر التلمودي أصبح الآن مُصاغًا في مناهج وفلسفات منها: الوجودية، والفرويدية، والماركسية، ومدرسة العلوم الاجتماعية، وأن فردريك، ودوركايم، وسارتر، وماركس، يمثلون سيطرة التلمودية على الفكر البشري. 2

ومن عقيدة المسلم التفرقة بين الشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام، فهذه هي رسالة السماء وتلك هي تجربة الإنسان في محاولة إقامة المجتمع الرباني على الأرض، والتفرقة أيضًا بين التقاليد والأخلاق، فالتقاليد من صنع المجتمع، والأخلاق جزء من العقيدة المنزلة.

والتفرقة بين الأصل والوافد، وبين الفكر الرباني والفكر البشري الواقع في الوثنية والمادية والإباحية.

الأول: التحدي المنبعث من واقع المسلمين: الجمود، والجبرية، وكتب البدع والخرافات.

الثاني: التحدي المنبعث من الغزو الفكري والتغريب.

الثالث: التحدي المنبعث من الهزيمة النفسية إزاء إباحيات الحضارة.

وأن يؤمن بأن هدف التغريب "في خدمة النفوذ الأجنبي والشيوعية والصهيونية (هو هزيمة العقل الإسلامي) بإذاعة الإلحاد، وتعويض المجتمع والأسرة بنشر الإباحية، وخلق مركب نفسي في أعماقنا يشعروننا بالهزيمة إزاء حضارته المادية، وأن يستقصي أنفساً كاملة لها تراثها، وتاريخها، وعقيدتها التي تتميز على كل العقائد والقيم بأنها وبائية المصدر، وأنها سبيل الرشاد والهدى إلى الحق". 3

3- كتاب عقيدة المسلم، أنور الجندي، الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946.

1- كتاب عقيدة المسلم، أنور الجندي، الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946.

2- كتاب عقيدة المسلم، أنور الجندي، الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946.

ومن عقيدة المسلم:

رفض التطور على حساب الأصالة، ورفض التقدم على حساب التفريط في الجذور والقيم الإسلامية، كما رفض تضحية القيم العليا في سبيل التقدم المادي، وأن الإسلام لم يخضع مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم، ذلك أنه ليس في المناهج والدعوات والأيدولوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين في ميراثهم وتراثهم نظيره وخير منه، وهو في الغرب مقطوع الصلة بالله، ولكنه في الإسلام متصل الحلقات، هو في الغرب انشطاري، ولكنه في الإسلام لفق متكامل.

ومن عقيدة المسلم:

أن المحاولات التي ترمي إلى استقطاب المسلمين واحتوائهم في إطار الحضارة الغربية التي تمر بأسوأ مراحلها، والتي يصرخ أهلها طلباً للتحرر منها، هي محاولات باطلة غاشة زائفة، فقد كان موقف الإسلام على مدى تاريخه وحياته واضحاً أنه لا يحتوي ولا ينصهر ولا يبرر الواقع الفاسد، ولا يؤول ثوابت نصوصه لخدمة الحضارة الزائفة.¹

ومن عقيدة المسلم:

أن انطلاق المسلمين على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن يتم دون الارتكاز على قاعدة أساسية تكون هي المصدر والمنطلق. منها نقطة البداية وإليها نقطة النهاية. هذه القاعدة ليست سوى المنهج الأصيل الذي قدمه الإسلام لبناء المجتمع، وعلى هذه القاعدة تقوم الثقافة، ويقوم النظام السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والتربوي.

ومن عقيدة المسلم:

أن من طبيعة الإسلام الحسم والثبات، وأنه لا يفسح مجالاً لأنصاف الحلول، ولا اتفاق مع أعداء الإسلام على حساب المبدأ ولا قبول للتبعية، ولا استسلام للاحتواء في إطار الأممية العالمية، وإنما يطالب الإسلام المسلمين بتغيير وسائلهم، وتحسين أساليب معيشتهم من وقت

1- كتاب عقيدة المسلم، أنور الجندي الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946

لآخر داخل الإطار العام لمبادئه الأساسية، ولمواجهة الظروف دائمة التغيير في العالم المتطور
إيماناً بأن هزائم المجتمعات الإسلامية هي نتيجة انحرافها عن الإسلام. 1

ومن عقيدة المسلم:

أن كلاً من التجربتين الغربية والشيوعية مرفوضتان في أفق المجتمع الإسلامي، وأن التجربتين
كانتا لمجتمعين مختلفين عن مجتمع الإسلام، وأن الماركسية ما هي إلا جزء من نظام غربي
وأنها رد فعل لواقع الرأسمالية الغربية التي عجزت عن إقامة مجتمع سليم، وأن كلاً من
الرأسمالية والماركسية من مصدر واحد قوامه سيطرة الربا على الاقتصاد العالمي.

ومن عقيدة المسلم:

نقد ورفض النظرية المادية، والدوافع الاقتصادية، والدوافع الجنسية، وأهواء الوجودية، وكلها
تحتقر الإنسان احتقاراً شديداً، وهناك الجبرية التي تريد أن تخلي الإنسان من المسؤولية الفردية،
وتلقي هذه المسؤولية على المجتمعات.

وتلقي هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوابع المتع الحسية، والقسوة، والحق، والبغض،
والاهتمام بالكم، وتضحية النوع والكيف، وأن ذلك كله يقوم في نظام مفهوم مادي خالص.

على المسلم في الغرب أن يكون على إحساس واع بالنوافذ والأبواب الخارجية، وما يهب على
المسلمين منها من رياح وتيارات، وأن لا يغلق الباب عليه ويظن أنه أصبح في مأمن، وأن لا
يمنعه قضاء قضاه أو رأي ارتآه في يومه ثم هدي إلى الحق فيه أن يعود إلى الحق، وأن يواجه
الأمر والقضايا في أسلوب الإسلام الجامع، واقعياً في دراسة المشكلات والقضايا متكامل
النظرة في علاجها يجمع بين المثالية والتجريبية، بين خطرة الفكر ونفثة الروح، بين العقلانية
والوجدانية، ويجب أن يعي بأن هناك أفكاراً دخلت على المسلمين من شأنها أن تحطم
الشخصية، أو تدمر الأسرة هي أفكار عبادة الحياة واللذة المعلقة فوق السرر!

ولنعلم أن أعلى درجات الرقي والثراء والغنى هي أعلى درجات التمزق والانتحار والغربة،
وأن المجتمع المتحضر الآن في ذروته يعكف على الموبقات والمخدرات أو الانتحار، ويواجه
أزمة النهاية ليفسح مكانة لتجربة أخرى. 1

2- كتاب عقيدة المسلم، أنور الجندي الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946

وعلى المسلم أن يؤمن بأنه لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث سار، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والحضارة، ويفرض عليهم مفهوم لا إله إلا الله، وأن يوقن بأن النظرة الإسلامية هي النظرة الجامعة التي لا تقف عند الجانب المادي أو الدنيوي في أي تجربة من تجارب الحياة، فهي تجمع العصر، والعلم، والتحضر، والأخلاقيات بمقياس لذلك كله وميزان. وأن يعلم بأن الجسم الإسلامي ما زال يرفض العضو الغريب، وأن الكيان الإسلامي ما زال يرفض الجسم الغريب.

وعلى المسلم في الغرب أن يؤمن بأن من أخطر المحاولات التي تجري هي ضرب الإسلام بالإسلام، أو ضربه من الداخل؛ أي ضرب الإسلام الأصيل ببعض الفرق الضالة والطوائف الدخيلة، وكلها تتلقى التوجيه والمعونة من المستعمرين والمبشرين واليهود هذه الفرق التي تشرع لأتباعها من الدين ما لم يأذن به الله، مستغلة اسم الإسلام لهدم الإسلام، ولقد خدعت هذه الفرق بعض المسلمين، وظنوا أنها من علامات اليقظة والنهضة.

وبعد: فإن هناك قدرًا ضخمًا من المعلومات والأفكار والأخبار تطرح يوميًا في أفق المجتمع الغربي عن طريق الصحافة، والإذاعة، والكتب المترجمة، أو دور الإعلام المختلفة، هي وجهات نظر متراكمة لمجتمعات أخرى فيها مادة نافعة قليلة، وفيها زيف كثير، فكيف يكون موقفنا منها نحن؟²

لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف اليقظة والحذر: وأن نتعرف عليها في ضوء قيمنا وعقيدتنا، وأن نفرق بين العلوم وبين الثقافات، وبين المعارف النافعة والمعارف الضارة التي هي من لهو الحديث لإضلال الناس بغير علم.

ونعرف أن هذه المحاولة في طرح معلومات بوجهات نظر تختلف عن وجهة نظرنا، إنما تهدف إلى احتوائنا والسيطرة علينا، وإدخالنا في دائرة الأهمية.

ومن أجل هذا؛ فإن علينا أن نفرق تفرقة واعية ودقيقة وعميقة بين وجهة نظر الإسلام في كل الأمور وبين وجهة نظر الفكر الغربي بشقه على أساس أصيل ثابت: هو أننا نقوم على أمانة الفكر الرباني القائم على التوحيد الخالص، والرحمة، والعدل، والإخاء الإنساني، وأن ذلك

1 - كتاب عقيدة المسلم، أنور الجندي، الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946.

1- المصدر السابق.

الإعصار الجائح الذي يتحرك نحونا هو من الفكر البشري القائم على المادية والعلمانية والوثنية.

العبادات :

تعريف العبادة لغتاً واصطلاحاً:

تعريف العبادة لغةً: هي التذلل والخضوع فيقال: بعير معبد؛ أي مذلل، وطريق معبد؛ أي مذلل، ذلته الأقدام.

ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت *** وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد (1)

فقوله: فوق مور معبد: أي فوق طريق مذلل من كثرة السير عليه، فالمور هو الطريق.

تعريف العبادة اصطلاحاً:

عرفت العبادة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

1_ عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. (2)

2_ وعرفها ابن القيم بأنها: كمال المحبة مع كمال الذل.

3_ وعرفها الشيخ ابن سعدي بعدة تعريفات منها قوله: العبادة روحها وحقيقتها تحقيقُ الحبِّ والخضوع لله؛ فالحب التام، والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها. (3)

1- شرح المعلقات العشر للزوزني، ص 97.

2- العبودية، ص (38).

3- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص 162.

4_ وعرفها بتعريف ثانٍ فقال: العبادة والعبودية لله اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك. (1)

الإسلام منهج وسط في كل شيء:

والأمة الإسلامية هي الأمة الوسط، وقد جاء وصفها بالوسطية في قول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} (2)

وفي الحديث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «يُدْعَى نوحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ». {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ. (3)

فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يميناً أو شمالاً عن خط الوسطية المستقيم.

وتبدو وسطية الإسلام واضحة وظاهرة في منهاجه الأعدل والأقوم.

فالمناهج الإسلامي القائم على الإيمان بالله، ووحدانيته، وتنزيهه، وإفراده - سبحانه وتعالى - بالعبادة هو وحده الذي يضمن للبشر أن يتخلصوا من عبادة غير الله - عز وجل -.

4-الحق الواضح المبين.

1- سورة البقرة، آية: 143.

2- رواه البخاري، رقم 4487 من حديث سعد بن مالك .

وهو المنهاج الوسط الذي لا إفراط فيه، ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير، فلم تتخذ الأمة الإسلامية السائرة على صراط الله المستقيم، أنداداً لله سبحانه، ولم يصفوا الله بأوصاف لا تليق به، كما فعلت اليهود، حين وصفوه بالفقر، وبأن يده مغلولة.

ولم تضل كما ضلت النصارى، الذين شبهوا المخلوق بالخالق، وأضفوا على عيسى - عليه السلام - خصائص الألوهية، فغلوا فيه، وجعلوه شريكاً لله.

ومنهاج الأمة الإسلامية، هو المنهاج الوسط المعتدل في أنبياء الله ورسله، إذ آمنوا بهم جميعاً، ولم يفرقوا بين أحد منهم، أو ينقصوه، أو يقتلوا أنبياء الله، كما فعلت اليهود:

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ}. (1)

ولم يغلوا في أحد منهم، كما فعلت النصارى مع عيسى ابن مريم - عليه السلام - وإنما قدروهم حق قدرهم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». (2)

ووسطية أهل الإسلام المستقيمين على هدية تبدو في الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها، ومطالب الآخرة والعمل لها، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} (3)

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية:

أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أي:

1- سورة المائدة، الآية: 70.

2- رواه البخاري، رقم (3213) في كتاب المحاربين عن عمر بن الخطاب .

3. سورة القصص، آية: 77.

مما أباح الله فيها من المآكل، والمشارب، والملابس، والمسكن، والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً". (1)

ولقد ذم الله اليهود لشدة حرصهم على الدنيا {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} (2)

وذم - سبحانه - النصارى الذين غلوا وابتدعوا رهبانية لم يشرعها الله، كما قال الله عنهم: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}. (3)

لقد ذمهم الله لابتداعهم في دينه ما لم يأذن به، وفي عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله.

ولما بلغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن ثلاثة رهط من أصحابه يريدون أن يشددوا على أنفسهم، ويخرجوا عن منهج الاعتدال، رد عليهم ذلك، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». (4)

فالإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا ولم يهتم بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد.

وتشريع الله في العبادة، تشريع متوسط معتدل، بين الإفراط والتفريط، والخلو والتقصير: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}. (5)

4- تفسير ابن كثير.

5-سورة البقرة، آية: 96

1- سورة الحديد، آية: 27.

2- ، رواه البخاري، رقم (5063)،كتاب النكاح عن أنس بن مالك .

3 - سورة الإسراء، آية: 110.

وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنهما - قال: «كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّلَوَاتِ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا»، أي: كانت معتدلة بين الطول والقصر. (1)

إن واقع المسلمين اليوم سيئ لا بسبب تمسكهم بالدين، بل بسبب بعدهم عن الدين؛ ولهذا فهم غير متحضرين، ويوم كانوا يعرفون دينهم المعرفة الحقّة، ويتمسكون به على بصيرة كانوا هم الأمة المتحضرة في الأرض، وسبيلهم إلى الحضارة اليوم أن يعودوا إلى دينهم، فيجدوا فيه كل مقومات الحضارة، وأولها معرفة الله وعبادته، واتباع ما أنزل الله. (2)

إن التخلف العلمي والمادي والحربي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي، الذي يشكل في مجموعه "التخلف الحضاري" ليس هو الداء الأصيل في هذه الأمة، كما يتصور الذين يفهمون أن نقل حضارة الغرب إلى الشرق هو الذي سيخلص الأمة من تخلفها، وينشئها نشأة جديدة! إن هذا التخلف بكل فروعه وأشكاله إنما هو نتيجة لتخلف العقيدة في نفوس المسلمين؛ لأن هذه العقيدة هي التي منحت المسلمين التقدم العلمي، والمادي، والحربي، والسياسي، والاقتصادي، والأخلاقي... يوم كانوا مؤمنين حقاً بهذا الدين.

فالذين يتخذون واقع المسلمين السيئ ذريعة لتتحية المسلمين، جاهلون بحقائق التاريخ، بالإضافة إلى جهلهم بالسنن الربانية التي تحكم حياة البشر على الأرض.

إن الله - تعالى - أكرم المسلمين بالهداية لدين الإسلام، وختم به الرسالات، ديناً كاملاً ونظاماً شاملاً لجميع شؤون الحياة، وأكرم الله - سبحانه - هذه الأمة بأن جعلها خير أمة: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}. (3)

تحمل الخير بأيديها، وتقيمها في حياتها، وتقود البشرية لما فيه فلاحها في الدنيا والآخرة.

إلا أن المسلمين في هذا العصر تتكبوا عن حمل دعوة الإسلام، وأهملوا أحكامه في شؤون حياتهم، فزالت دولتهم، وتمزقت وحدتهم، وتقطعت أوصالهم إلى بضع وخمسين ذؤيلة، واجتمع عليهم الأعداء من كل حدب وصوب، وأصبحت بلادهم مطمعا لكل طامع ومعتد، فغزاهم الكفار

4 - - رواه الترمذي، برقم 507 في كتاب الجمعة عن عمار بن ياسر

1- كتاب حول تطبيق الشريعة، المؤلف محمد قطب، الناشر دار القلم دمشق، سنة 1432 هجرية.

3- سورة آل عمران، آية: 110.

المستعمرون بثقافةٍ غربيةٍ فاسدة، أفسدت على المسلمين دينهم، فكراً وعملاً، وأضعفت ثقة المسلمين بأفكار الإسلام وأحكامه وتشريعاته، وعندها تمكن المستعمرون من فرض أنظمتهم وقوانينهم على بلاد المسلمين، ونهبوا ثرواتها وأفقروها، وأشعلوا فيها الحروب والنزاعات القومية والعرقية والطائفية.. ولا يزالون. (1)

وحصل من جراء ذلك ما نراه اليوم من تشتت المسلمين في الأرض يطلبون الرزق والأمن، بعد أن كانت دارهم، دار إسلام، وعلى مدى قرون طويلة، ملجأ لكل مظلوم، وأصبح أبناء المسلمين يتوافدون على بلاد الغرب بين لاجئ ومهاجر ومطارد.

وهكذا عاشت الأمة الإسلامية لعقود من الزمن في غربة عن الإسلام، يحكمها حكام ظلمة، يسومونها سوء العذاب لإبعادها عن دينها خدمةً لأسيادهم المستعمرين، حيث قام هؤلاء الحكام بفرض سياسات العلمنة والتغريب لفصل الإسلام عن حياة الأمة وشئون الدولة وعلاقات المجتمع.

أما المسلمون في الغرب فأصبحوا في غربتين: غربة عن الإسلام وغربة في العيش. إلا أن الله - سبحانه - قد كتب الخيرية في هذه الأمة وفي دينها. 2

فبعد عقود من الافتتان بالنظم المستوردة من الغرب والشرق، بدأت الأمة الإسلامية، بفضل الله ثم بجهد العاملين، تتطلع للنهضة والوحدة بإقامة حكم الإسلام، وتتشوق للعيش عيشاً إسلامياً في ظل أحكام الله في دولة خلافة راشدة.

وبدأ المسلمون في الغرب، حالهم كحال أمتهم، يتشدون العودة إلى إسلامهم، والتزام أحكامه، وإقامة شعائره في هذه الديار.

وأمام هذا التوجه نحو الإسلام اشتدت وطأة الغرب على المسلمين في بلادهم، وفي بلاده. ومن هنا أصبح المسلمون في الغرب عامة، وفي إيطاليا خاصة، يواجهون أخطاراً تتهدد هويتهم

3- كتاب حول تطبيق الشريعة، المؤلف محمد قطب، الناشر دار القلم، دمشق، سنة 1432 هجرية.
1- المصدر السابق.

الإسلامية، ويقفون أمام تحدياتٍ جسيمةٍ في سبيلِ التمسكِ بدينهم والدفاعِ عن قضاياهم. وقد أورد موقع طريق الإسلام مقالاً تحت عنوان: المسلمون في الغرب أخطار وتحديات نوجز مضمونه في: 1

تتلخّصُ الأخطارُ التي تواجهُ المسلمين في الغرب في خطريْنِ رئيسيْنِ:

الأول: هو خطرُ الذوبانِ والاندماجِ تدريجياً في حضارةِ الغربِ الفاسدة؛ حيث إن المسلمين عامةً، وجيلَ الشبابِ خاصةً، يتعرّضون في هذه الديارِ إلى سياساتٍ رسميةٍ جائرة، تقومُ على تسخيرِ مؤسساتِ التعليمِ والقوانينِ لفرضِ طريقةِ العيشِ الغربيةِ على أبناءِ وبناتِ المسلمين.

فتقومُ مؤسساتُ التعليمِ بتلقينِ أبناءِ المسلمين المفاهيمَ والقيمَ الغربيةَ من حريةٍ شخصيةٍ وفعاليةٍ مادية، وتنشأتهم وفق ثقافةِ الانحلالِ الأخلاقي، وفوضويةِ الغرائزِ.

وفي المقابلِ تمارسُ مؤسساتُ التعليمِ سياسةً متشددةً للتضييقِ على التزامِ الطلبةِ بأحكامِ الشرع، وعلى رأسها اللباسُ الشرعيُّ (الخِمار) وأداءُ الصلواتِ.

وبجانبِ ذلك أُصدِرَت القوانينُ تلوَ القوانينِ مستهدفةً هويةَ المسلمين، وقائمةً على التمييزِ والعدائيةِ والاضطهادِ للمسلمين بشكلٍ خاص، من قوانينِ جمعِ الشمل، وسوقِ العمل، ونزعِ الأطفالِ قسراً من أحضانِ أبويهم، وغيرها الكثيرِ.

وإن الدارسَ لهذه القوانينِ، والمراقِبَ لهذه السياساتِ، لا يبقى لديه أدنى شكٍ في أنها تهدفُ إلى هدمِ وتفكيكِ العائلةِ المسلمة، والنساءِ والأطفالِ، وتتنزُّرُ بنشوءِ جيلٍ من أبناءِ المسلمين يتنكرُ للإسلام، ويحملُ عقليةً ونفسيةً غربيةً، غريبةً عن دينه، وأهله، وأمته.

أما الخطرُ الثاني: فيتمثلُ في محاولاتِ تأويلِ الإسلامِ بما يخالفُ النصوصَ الشرعيةَ في الكتابِ والسنة، وذلك عبرَ استحداثِ ما يُسمّى بـ "الإسلامِ العصري"، أو "الإسلامِ المعتدل" الذي يرضى عنه أعداءُ الإسلام، وعلى رأسهم أمريكا، فهذا ينادي بـ "إسلامِ أمريكي" وذلك يريدُ "إسلاماً أوروبياً"، وآخر ينادي بـ "إسلامِ فرنسي" و"إسلامِ إيطالي"، أما الإسلامُ الذي جاء به

2 موقع طريق الإسلام مقال تحت عنوان: المسلمون في الغرب أخطار وتحديات (رابط <http://ar.islamway.net/article/19543/%>-1)

محمدٌ، - صلى الله عليه وسلم - من عند الله تعالى، فهو بريءٌ من جميع هذه الدعوات.

لقد بدأ الحديثُ مؤخرًا عن مشروعٍ جديدٍ يقومُ على تأهيلِ الأئمةِ وتدريبهم الإسلامَ والثقافةَ الغربيةَ، وهو مكرٌ سيئٌ، يُراد منه حرفُ المسلمينَ عن دينهم وعن فهمِ أحكامِهِ، والعملِ به كما شرعَ اللهُ - تعالى - في كتابِهِ وسنةِ نبيهِ - صلى الله عليه وسلم - .¹

ويقومُ هذا المشروعُ على تأويلِ نصوصِ الشرعِ بما يوافقُ مفاهيمَ الغربِ وحضارتهِ وقيمهَ ونُظمه، بعيدًا عن دلالاتِ اللغةِ العربيةِ، لغةِ القرآنِ والسنةِ، وبعيدًا عن أصولِ التفسيرِ، وعلمِ الحديثِ، وأصولِ الفقه.

وإنَّ خطورةَ هذا المشروعِ من الوضوحِ بمكان لا تخفى حتى على غير المسلمين، فقد صرَّح أحدُ الصحفيينِ مُعلقًا على هذا المشروعِ بالقول: "إنَّ السببَ وراءَ إنشاءِ هذهِ الدراسةِ هو رغبةُ السياسيينِ في تحقيقِ الذوبانِ والسيطرة".

بل إنَّ بعضَ الدعواتِ بين الحين والآخر تظهر لتخاطب فيه المسلمين قائلًا: "ينبغي على المسلمين المتعلمين أن يعملوا على تطويرِ إسلامٍ ديمقراطي يتوافقُ مع ديمقراطيتنا، وهو ما سيلقى احترامًا كبيرًا، أما إن تمسكوا بما تحويه الشريعة من أحكامٍ غيرِ ديمقراطية، فسيواجهون مشاكلَ كبيرةً في السياسةِ الإيطالية".

إذا فالرسالةُ واضحةٌ: إن كان المسلمون مصممين على التمسكِ بدينهم، فليحملوا إسلامًا مُشوَّهًا، دينًا كهنوتيًّا روحياً فرديًّا، وفقًا للمقاييسِ الغربيةِ عن الدين، دينِ الكنيسةِ التي أصبحت تبيحُ كلَّ شيءٍ تفرِضُهُ النظمُ العلمانيةُ والرأسماليةُ والقوانينُ الوضعية.

أما التحدياتُ التي يواجهها المسلمون في هذهِ الديار، فنتمثلُ في تحديَّينِ أساسيينِ:

الأول: حملاتُ التشويهِ التي تتعرضُ لها العقيدةُ الإسلاميةُ وأحكامُ الإسلامِ، والتي بلغت ذروتها في نشرِ الرسوماتِ المسيئةِ للرسولِ الكريمِ، - صلى الله عليه وسلم - وما سبقها من تحريضٍ سياسيٍ رسمي. حيث افترت تلك الرسوماتُ الحاقدةُ على رسولِ الله - عليه السلام - واصمةً

1- موقع طريق الإسلام مقال تحت عنوان: المسلمون في الغرب أخطار وتحديات (رابط <http://ar.islamway.net/article/19543/%>

إياه بـ "الإرهاب"، و"التطرف"، و"اضطهاد المرأة".¹

وقد تصاعدت حملات التشويه هذه، سياسياً وإعلامياً وتعليمياً، في محاولة للحد من إقبال كثير من المسلمين على دينهم، ولحد من ازدياد أعداد معتنقي الإسلام من أصول إيطالية.

ومع كون هذا التحدي يستخدم سلاح التشويه والافتراء على الإسلام، إلا أنه يستدعي من المسلمين التصدي له بالفكر والحجة وبيان زيفه، لئلا يلتبس على الناس الحق بالباطل، ولئلا يفقد المسلمون ثقتهم بدينهم واعتزازهم به.

أما التحدي الثاني: فيتمثل في محاولات بذر الفرقة والشقاق بين المسلمين وفق المبدأ الغربي المشهور "فرق تسد".

وتقوم هذه المحاولات السياسية والإعلامية على تصنيف المسلمين وفق مصطلحات غريبة مغرضة، فهذا مسلم "متطرف"، وذاك مسلم "معتدل"، وآخر "أصولي"، وهكذا.

ومع كون هذه المحاولات تستخدم أساليب الترغيب والترهيب، وأصبحت مكشوفة لدى الكثيرين، إلا أنها تمثل تحدياً جسيماً لاستغلالها نقاط ضعف المسلمين، ولأثرها الواضح في إذكاء الخلافات؛ مما يستدعي مواجهتها جماعياً بالتلاحم، والتوحد، والعمل الجاد المُجد. إن مواجهة هذه الأخطار، وتلك التحديات، تحتم على المسلمين جميعاً، أفراداً وجماعات وهيئات، القيام بواجباتهم كما أمر الله سبحانه، وأن يتحملوا مسؤولياتهم كاملةً، أمام الله وأمام هذه الأجيال من أبناء المسلمين، وهو ما يقتضي منا القيام بالأمور التالية:

أولاً: بذل الجهود في سبيل الحفاظ على هوية المسلمين، عقيدة وعبادة وسلوكاً، وهو ما لا يتم بالاهتمام فقط بالعبادات والأمور الفردية؛ بل يحتاج إلى ثقافة إسلامية مبدئية شاملة، تتضمن مجموعة من أفكار الإسلام وأحكامه في شتى المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وعلى رأسها الأمور العقديّة؛ لتتكون لدى المسلمين في هذه الديار المناعة الفكرية والنفسية ضد الانزلاق في الانحلال الأخلاقي والسلوكي، ولحمايتهم من الزيغ والضلال.²

1- موقع طريق الإسلام مقال تحت عنوان: المسلمون في الغرب أخطار وتحديات (رابط <http://ar.islamway.net/article/19543/%> رابط)

1- المصدر السابق.

إن الحفاظ على الهوية الإسلامية يقتضي أن تتكاتف الجهود لتتقيد المسلمين بمفاهيم الإسلام والأحكام الشرعية التي تلزمهم في حياتهم، وذلك ليتحقق الالتزام بالإسلام عن وعي وثبات، وليتمكن المسلمون من تحكيم الشرع في علاقاتهم فيما بينهم، ومع غير المسلمين، دون إفراط أو تفريط. 1

ويجبُ العملُ كذلك على ترسيخ انتماء المسلمين لأمتهم، وتوعيتهم على قضاياها، لما جاء (2) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» متفقٌ عليه.

وعليه فلا يجوزُ أن يُعزَلَ المسلمون في إيطاليا عن أمتهم وقضاياها، أو أن تُعزَلَ الأمةُ عنهم وعن قضاياهم، بحيث يجري التعامل مع المسلمين في هذه الديار كأفرادٍ فاقدي الجذور، أو كـ "أقلية" لا انتماء لها ولا حضارة، يسهلُ محاصرتها وهضمُ حقوقها، وعزلها لإخضاعها والتعدي على مقدساتها، والقضاء على هويتها.

فالمسلمون في هذه الديار جزءٌ لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وهم يتقوون بأمتهم، وتتقوى الأمة بهم، وقد رأينا جيمعاً أهمية تحريك المسلمين في العالم الإسلامي أثناء قضية الرسوم المسيئة؛ مما جعل العديد من الدبلوماسيين ورجال الأعمال في أوروبا وغيرهم ينادون بضرورة احترام المسلمين ومقدساتهم. 3

ثانياً: العملُ الجادُ لتوحيد صفوف المسلمين وجهودهم من خلال التناصح والتعاون في خدمة الإسلام، والدفاع عن قضايا المسلمين وحقوقهم، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾. (4)

وهنا تجدرُ بنا الإشارةُ إلى قضية مهمة، وهي أن الخلافَ في مسائل الفروع، وفق قواعد

2- كتاب حول تطبيق الشريعة، المؤلف محمد قطب، الناشر دار القلم، دمشق سنة 1432 هجرية. 1

2- رواه البخاري في كتاب غداء الالباب في شرح منظومة الاداب برقم 4691 عن النعمان بن بشير

1- (بناء الدولة الصالحة، يوسف القرضاوي رابط 2- <http://www.qaradawi.net/new/library2/280-2014-01-26-18-52>)

2 - سورة المائدة، آية:

الاجتهاد، هو اختلاف مشروع؛ لكونه يستند إلى نصوص الكتاب والسنة، وهو اختلاف لا يجوز أن يؤدي إلى الفرقة والتنازع، فإن التوحد على الإسلام، وهو الحق، قوة للمسلمين، وإن التنازع والخلاف المذموم ضعف، يُغري بنا الأعداء، وصدق الله - تعالى - حيث يقول: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} (1)، أي قوتكم.

وإن ما يواجهه المسلمون من اعتداء متكرر على دينهم ونبیهم وقرآنيهم، وما يُحيط بهم من أخطار تتهدد كياناتهم، يوجب عليهم أن يتحدوا حول قضاياهم المصيرية، في الفكر والموقف والعمل، وأن يكونوا صفاً واحداً كالبنين المرصوص، كما وصفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه الإمام البخاري، حيث قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»، ولقوله عليه السلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه» (2).

ثالثاً: الوقوف صفاً واحداً لمواجهة محاولات التحريف، وابتداع إسلام جديد، أمريكياً كان أو أوروبياً، وذلك من خلال إيجاد الوعي لدى المسلمين على حقيقة مهمة، وهي: "أن الإسلام هو ما جاء به الوحي في الكتاب والسنة"، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أُنبِئُكُمْ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي} (3).

وروى الإمام أحمد عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة» (4).

كما يجب التأكيد على حقيقة قرآنية أخرى، وهي أن الله - سبحانه - قد أكمل هذا الدين، فقال سبحانه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (5)، وقال عز وجل: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} (6).

فكما أن الإسلام شرع أحكام العبادات والأخلاق، فقد شرع أيضاً أحكام المعاملات من اجتماع، واقتصاد، وحكم، وشمل في تشريعه علاقات الأفراد وشئون الدولة والمجتمع.

3- سورة الأنفال، آية: 46.

2- رواه البخاري في كتاب المظالم عن عبد الله بن عمر برقم (2310).

3- سورة الأنعام، آية: 203.

4- رواه الترمذي، عن العرياض بن سارية تحت رقم (2619).

5- سورة المائدة، آية: 3.

6- سورة النحل، آية: 89.

رابعاً: مواجهة حملات التشويه والافتراء التي تطال الإسلام وأهله؛ وذلك من خلال الارتقاء بالمسلمين، بوعيهم وسلوكهم، ليردوا عن دينهم، وعن أمتهم تهمة "الإرهاب"، و"التطرف"، متمسكين بما سماهم به الله حيث قال: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} (1)، وليتمكنوا كذلك من حمل الدعوة الإسلامية إلى غير المسلمين بالحكمة؛ أي بالحجة والبرهان، والجدال بالحسنى، بفكر إسلامي نقي، وبنفسية المؤمن المعتز بدينه، امثالاً لأمر الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (2).

الأخلاق:

الخلق لغة واصطلاحاً:

الخلق لغة: بسكون اللام أو ضمها: السجية، والخلقة هي الطبيعة، والخلقة هي الفطرة. سواء كانت خيراً أو شراً. 3

وأما اصطلاحاً: فالخلق الصورة الباطنة للإنسان والتي يمكن أن تظهر للآخرين بأشكال مختلفة على جوارحه الظاهرة للناس. وعرفه ابن المبارك فقال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وقيل: هو صلاح القلب مع صلاح الجوارح.

التعريف المميز للأخلاق الإسلامية:

الأخلاق الإسلامية هي مجموعة الأقوال والأفعال التي يجب أن تقوم على أصول وقواعد وفضائل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم وسنة الأكرم - صلى الله عليه وسلم - . ومما يستنبط من هذا التعريف أن الأخلاق في الإسلام ليست جزءاً من الدين بل هي جوهره وروحه. وكيف لا ورسولنا - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». 4

1- سورة الحج، آية: 78.

2- سورة فصلت، آية: 33.

1- مختار الصحاح.

2- رواه البخاري في باب الادب المفرد برقم 273 عن أبي هريرة.

نبذة من أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم -:

لقد قصدت أن أذكر شيئاً من سيرة النبي المصطفى والرسول المجتبي؛ حتى يتجلي لنا هدي نبينا - صلى الله عليه وسلم - في هذا الجانب العظيم والله - جل وعلا - يقول: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر}.¹

ويصفه - جل وعلا - في آية عظيمة في كتابه العزيز: {وإنك لعلي خلق عظيم}.

ومن هنا يظهر لنا هذا الخلق العظيم الذي تجلى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلقد كان - صلى الله عليه وسلم - يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وأوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا بذيئاً في لسانه ولا في قوله. وكان الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة صفات أدبه الله بها، فلم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً. قالت عائشة - رضي الله عنها: «ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها».²

وكان من صفاته الجود والكرم على ما لا يقدر قدره، وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أبداً، وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل فكان أشجع الناس. قال علي - رضي الله عنه - «كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».³

وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، يغضي حياءً، ويغضي من مهابته، فلا يكلم إلا حين يبتسم. وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، وكان يسمى قبل نبوته بالأمين. وكان أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر. يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم. قالت عائشة - رضي الله عنها -

1- سورة الأحزاب، آية: 21.

2- رواه مسلم باب الفضائل برقم 2327 من حديث أم المؤمنين عائشة .

3- الشفاء، للقاضي عياض، ورواه أصحاب الصحيح والسنن.

«كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده، كما يعمل أحدكم في بيته وكان بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»¹.

كان أوفي الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مآكل ولا ملابس. وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يعظم غنياً لغناه، وكان متواصل الأحران، دائم الفكر. ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة. يعظم النعمة وإن دقت، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير. إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه.

جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام. يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة. وكان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته. فهذه الخلال ما هي إلا خطوط قصار من مظاهر كماله، وعظيم صفاته - صلى الله عليه وسلم - أما حقيقة ما كان عليه فأمر لا يدرك كنهه، ولا يسبر غوره إلا الله - تعالى -.

منافع الخلق الحسن ومضار الخلق السيئ:

لا ريب أن الأخلاق الحميدة هي القيم الإنسانية التي بها يرتقي المسلم، وبها يعتلي شأنه ويرتفع مقامه في هذه الدنيا وفي الآخرة، وإليك ذكراً لهذه المنافع والثمار.

(1) يضبط بها سلوك الفرد من الداخل، فالخلق الكريم يمنع صاحبه من الإضرار بنفسه وبمجتمعه. فلا يؤذي نفسه، ولا يؤذي الآخرين.

(2) الأخلاق الحسنة سبب لسعادة العبد في الدنيا، فصاحب الخلق الحسن يحب الناس ويحبونه فتلين له المصاعب، وتنتفتح له الأبواب المغلقة، فينجح في أعماله ووظائفه، ويترقى بسببها إلى أعلى الدرجات.

1- مشكاة المصابيح (2- 521).

(3) صاحب الخلق الحسن أقرب الناس مجلساً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأحبهم إليه. عن عبد الله بن عمر قال - صلى الله عليه وسلم - : «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً». 1

(4) الخلق الحسن يوصل بصاحبه إلى أعلى الدرجات في الآخرة، فهو أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة. قال - صلى الله عليه وسلم - : «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق». 2

(5) حسن الخلق سبب لصلاح المجتمع وسعادته، بل هو من أهم عوامل قوة الأمة ورفعها.

(6) راحة النفس واطمئنان القلب، حيث يعلم أنه لم يؤذِ أحداً، ولم يكدر صفو أحد.

وبعد استعراضنا لبعض من منافع الأخلاق وثمارها، نذكر بعضاً من مضار الأخلاق السيئة وعواقبها:

(1) صاحب الخلق السيئ مذکور بالذكر القبيح، يمقته الله - عز وجل - ويبغضه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويبغضه الناس على اختلاف مشاربهم. عن جابر - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً». 3

(2) صاحب الخلق السيئ هو من ملأ الله أذنيه من ذم الناس له شراً، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع». 4

(3) سوء الخلق سبب لفساد المجتمع وشقائه وتعاسته، وأعظم برهان على هذا تلكم المشاكل والقلاقل من ظلم وعدوان، وأكل حقوق عباد الله، كلها راجع إلى الأخلاق السيئة.

(4) صاحب الخلق السيئ فوضوي في كل جانب حياته، فهو يؤذي نفسه، ويؤذي الآخرين فيجلب التعاسة لنفسه وللآخرين.

1- رواه الترمذی باب البر والصله برقم 1937 عن جابر بن عبد الله

2- رواه الترمذی برقم 2003 باب البر والصله من حديث أبي الدرداء

3- رواه الترمذی برقم 2003 باب البر والصله من حديث أبي الدرداء

4- رواه ابن ماجه برقم 4214 من حديث بن عباس

(5) سوء الخلق يجلب لصاحبه الهم، والغم، والكدر، وضيق العيش. قال أبو حاتم سلمة بن دينار - رحمه الله تعالى - : السيئ الخلق أشقى الناس وهم في سرور، فيسمعون صوته فينفرون منه فرقاً منه، حتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتى إن قطته لتقر منه.

كيف تكتسب الأخلاق الحسنة؟

كثيرون أولئك الذين يعانون من أخلاق سيئة، ويسئلون كيف نكتسب الأخلاق الحسنة، وكيف نضبطها، وما هو السبيل للتخلي عن الأخلاق الرذيلة؟ نقول هنا ذكر للأسباب المعينة للتخلق بالأخلاق الحسنة:

(1) الإيمان الحق، والقرب من الله تعالى: فهذا منبع الأخلاق الحميدة، فبه تزكو النفوس، ويهذب السلوك.

(2) مجالسة ومصاحبة أصحاب الخلق الحسن: فإن للأصحاب أثراً كبيراً في سلوك الإنسان ومعاملاته ومعاشرته وقد قيل: (الصاحب ساحب)؛ أي إن كان صاحب خيراً يسحبه إلى الخير، وإن كان صاحب شراً يسحبه إلى شر، ولقد صدق الشاعر لما قال:
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

(3) محاسبة النفس: فقد خلقت أمانة بالسوء، نزاعة إلى الشر، فعاتب نفسك وحاسبها وقُدّها نحو الخير، ولا تكن ذليلاً لها تتبعها في هواها، وقد قيل:

والنفس كالطفلٍ إن ترضعه شبَّ على * * حبُّ الرضاع وإن تقطمه ينفطم

(4) التمرن والتدرب على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والتخلي عن الرذائل من الأخلاق. وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم». 1

(5) قراءة سير السلف الصالح؛ فإنها من الأسباب العظيمة والمعينة على التخلق بالأخلاق الحسنة، فالحديث عن العلماء فيه محاسنهم، وآدابهم، وأخلاقهم.

1- رواه البخاري، باب العلم (1- 161) من حديث معاوية

(6) الدعاء والطلب من الله - تعالى - فإنه من أعظم الأسباب الموصلة إلى محاسن الأخلاق، وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - : «اللهم اهديني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرفها إلا أنت»¹.

أهمية الأخلاق:

إن أعظم ما يتميز به المسلم بعد استقرار الإيمان بالله - تعالى - في قلبه، التحلي بالأخلاق الفاضلة، والتعلق بآدابها، وإلزاماتها السلوكية فهي تطعيم.

إن للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، وما أصدق كلمة الإمام الغزالي إذ يقول في إحيائه: "فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة؛ فأفعال الإنسان، إذن موصولة دائماً بما في نفسه من معان وصفات، صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب.

ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه؛ لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع، كما قال تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} (2).

(ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس، وتقويم سلوكهم، وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء، ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات، قال تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم} (3).

وتظهر أهمية الأخلاق أيضاً من ناحية أخرى، ذلك أن الإنسان قبل أن يفعل شيئاً أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه، فإذا ظهر الفعل

1- رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم برقم 1144

2- سورة الأعراف، آية: 58.

3- سورة الرعد، آية: 11.

أو الترك مرضياً مقبولاً انبعث في النفس رغبة فيه، واتجاه إليه، ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكشفت النفس عنه، وكرهته، وأحجمت عنه تركاً كان أو فعلاً.

إن المسلم الذي يعرف دينه حق المعرفة هو إنسان إيجابي، يتحرك في المجتمع الذي يحيا فيه بما ينفع نفسه، وينفع الدنيا من حوله، المسلم الحق كالغيث، حيثما وقع نفع، أو كالوردة حيثما وضعت فاحت رائحتها الطيبة يشمها الجميع، ويحس بها الجميع.

أما المسلم الذي ينزل عن الناس، ولا يحس بدوره، ولا يحس الناس به، فهو بعيد عن فهم حقيقة الدين. أقول هذه الكلمات بين يدي الموضوع الذي أريد أن أتحدث به في هذه الأسطر، وهو أخلاق المسلم في بلاد الغرب، كيف يستثمرها أعظم استثمار، ينفع به نفسه، وينفع البشرية كلها.

لا بد أن نقول أولاً، إن إقامتنا في هذه البلاد هي بمقتضى عقد مع هذا المجتمع، لم تكن في صورة العقود الرسمية، لكن الإقامات التي منحت أو الجنسيات التي اكتسبت هي عبارة عن عقد مع هذا المجتمع، والمسلم أولى الناس بالوفاء بالعقود، فإله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أوفوا بالعقود﴾ فالوفاء بالعقود واجب محتم على كل مسلم.

المسلم أيضاً حيثما كان مطالب بقول الله - عز وجل - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (1) فلا يكتفي المسلم بالإيمان والركوع والسجود من غير أن أن يكون فعالاً للخيرات، قائماً بما أوجب الله عليه من نفع الدنيا من حوله، هكذا المسلم.

لا يفهم الإسلام على أنه تسبيحات وأذكار وصلوات فقط، لكن التسبيح والذكر والصلاة يخلق منه شخصية عملية، شخصية تراقب ربها في كل تصرف، وتتحرك بالخير في المجتمع الذي تحيا فيه، أيا كان هذا المجتمع ويسع الناس بأخلاقه.

الآن في واقعنا، تجد الناس فريقين، فريقاً يرى أنه لا يكون مسلماً إلا إذا عاش كما يعيش في بلاد الإسلام بطريقة مخالفة تماماً لهذه البلاد، والآخر يرى أنه لا حق له في الحياة ما لم ينسلخ من دينه، ويعيش كما يعيش الناس من دون أخلاق، وهذا وذاك على خطأ عظيم.

1- سورة الحج، آية: 77.

إنما جاء الإسلام ليستفيد من الصالح الموجود، ويصلح الفاسد، ويهذب الأخلاق بين الناس لم يأت الإسلام ليقول اقلبوا الطاولة، إنما جاء فانتقى كل خير كان موجوداً في المجتمعات التي جاء فيها.

أولاً: تعريف مكارم الأخلاق:

لغة: السَّجِيَّة، والطبع، والمروءة، والدين.

شرعاً: حال في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال من خير أو شر، من غير حاجة إلى فكر وروية، وهذا تعريف للأخلاق كلها.

أما المكارم: فهي حال في النفس راسخة، تصدر عنها أفعال الخير، من غير حاجة إلى فكر وروية.

ثانياً: أهمية مكارم الأخلاق:

1- حقيقة دعوة الرسول: روى الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال - عليه السلام - : «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي رواية: «صالح الأخلاق»⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.⁽²⁾ وقال - عز وجل - : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽³⁾.

الله يحب مكارم الأخلاق:

روى الحاكم عن سهل بن سعد مرفوعاً: «إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»⁽⁴⁾.

بمكارم الأخلاق يرتفع أقوام، ويحط آخرون بتضييعها.

المجتمعات العربية كان فيها الخير والشر، وكانت فيه قيم نافعة وقيم فاسدة، فجاء الإسلام فعزز القيم النافعة، ودعا إليها، وشارك النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض أوجه النشاط في

1- رواه: والبخاري في ((الأدب المفرد - رقم 3657-6)) من حديث أبي هريرة

2- سورة البقرة، آية: 129.

3- سورة الجمعة، آية: 2.

4- روى الطبراني في المستدرک کتاب الايمان برقم 157 عن سهل بن سعد الساعدي .»

هذا المجتمع، شارك النبي في حلف الفضول، وهو حلف اجتمع فيه جماعة من كبراء قريش ووجهائها، وأهل الفضل فيها على أن ينصروا المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه، فحضر النبي هذا الحلف، وشارك فيه، وكان يقول بعد أن بعثه الله بالرسالة: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»⁽¹⁾ وهذا يشبه الآن التجمعات التي تسمى التجمعات المدنية، هيئات ومؤسسات تكون مهامها الوقوف مع المظلوم، والوقوف مع من يتم التمييز ضده، والوقوف مع كل صاحب حق حتى ترد الحقوق إلى أصحابها.

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - جاء وتفاعل مع أشياء طيبة كانت موجودة في ذلك المجتمع. الإسلام جاء ليقول في أي مجتمع هناك قيم نافعة، عززوها، وهناك أخلاق وقيم فاسدة، اعملوا على إصلاحها وعلى تغييرها لصالح البشرية، وهذا ما يجب أن يفهمه المسلم في هذه البلاد. لا ينبغي أن نعيش معزولين، مثلما أنه لا ينبغي أن نذوب ذوباناً، إنما نحن أمة هدانا الله إلى الحق والنور، ومن حق البشرية علينا أن تستضيء بهذا النور.

فمن واجبنا أن نندمج مع هذا المجتمع في كل نواحي الخير، وأن نشارك في كل الأنشطة الفعالة التي تخدم الإنسان، وعلينا أن نعلم أن فعل الخير ليس هو الصلاة والزكاة فقط، بل المشاركة الإيجابية في التخفيف عن المظلوم، وفي تفريج الكرب عن المكروب أيّاً كان؛ لأن الإسلام لم يقل للمسلم لا تخدم إلا مسلماً، كلا، بل الإسلام يقول للمسلم: كن خيراً للدنيا من حولك. المسلم كنهه ماء حيثما جرى انتفعت به البشرية من حوله، حيثما عاش، عاش بأخلاق الإسلام وآداب الإسلام، مع المشاركة الإيجابية في فعل الخير في المجتمع الذي يحيا فيه، هذا هو واجب المسلم في هذه البلاد بصورة بسيطة بلا تعقيد ولا فلسفة.

الأمر الثاني: أننا في هذه البلاد أصحاب رسالة، البعض يتصور نفسه مجرد إنسان جاء ليأخذ شيئاً من المال، ويعيش في ظروف جيدة وكفى، وهذا خلل وخطأ، فالمسلم يستثمر وجوده في هذه البلاد؛ ليقدم صورة الإسلام الصحيحة في شكل عملي، كما قدمها الصحابي جعفر بن أبي طالب عندما هاجر إلى الحبشة، وكانت الحبشة مملكة نصرانية، استضافت جعفر وإخوانه الفارين من جحيم الشرك، ولم يكن جعفر فيها لا شخصاً منعزلاً ولا مستغلاً، وإنما كان صاحب

1- البداية والنهاية (قال الحافظ البيهقي: أخبرنا عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف).

رسالة، استغل وجوده في الحبشة فأظهر حقيقة الإسلام، واستطاع بذكائه وحسن تعامله أن يقنع النجاشي ملك الحبشة بالإسلام. وقد مات النجاشي مسلماً على يد جعفر بن أبي طالب، وصلى النبي عليه صلاة الغائب، والسؤال هنا كيف أسلم النجاشي؟ وكيف استطاع جعفر أن يغير ملكاً في زمانه، كيف غيره؟ شارك معه، كان جعفر وإخوانه من المسلمين في الحبشة، فتعرض النجاشي لمؤامرة لإقصائه عن الملك، فلم ينسَ جعفر وإخوانه أن لهذا الرجل فضلاً عليهم، فكانوا معه في إعادته مرة أخرى إلى سدة الحكم. (1)

ألا يدل هذا على أن المسلم يجب أن يشارك في العملية السياسية في البلاد التي يحيا فيها؛ ليرفع من كان مدافعاً عن الحق ونصيراً للمظلومين؟ أليست هذه صورة واضحة؟ هكذا كان جعفر الفقيه الذي فهم دينه، وفهم دوره، وحقق صورة عملية للمسلم في بلاد غير إسلامية. لسنا مطالبين بأن نطبق الإسلام في هذه البلاد، لكننا مطالبون بأن نقدم صورة الإسلام الحقيقية، في سماحته، في رحمته، في أخلاقه في تعاونه، وبنائه، الإسلام الذي يبني ولا يهدم، يعمر ولا يدمر، يمد يده لكل من يتعاون في الخير ولا يقبض يده، يساعد في فعل الخيرات، هذا هو واجبنا في هذه البلاد، وهو واجب لا يقل أهمية عن الصلاة والصوم والزكاة، لكن كيف نحقق هذه المعاني؟

لا بد أولاً من العزيمة والإرادة وصدق النية، ونعترزم بأخلاقنا الحسنة تحقيق رسالتنا في هذه الحياة، بنشر السلام في المجتمع الذي نحيا فيه.

هناك قيم لا خلاف عليها بين المسلم وغير المسلم: العدالة، والحرية، والأخلاق، والانتصار للمظلوم، ومساعدة الضعيف، والأخذ بيد الفقير... إلخ ذلك، كلها قيم مشتركة، وعلينا أن نشارك في هذه القيم حتى نقدم للآخرين الإسلام الحقيقي، وحتى ينجح هذا العمل، لا بد من أمرين أساسيين:

الأمر الأول: تدعيم المؤسسات الإسلامية القائمة في هذه البلاد حتى تؤدي دورها، وتدعيمها بالرجال، وتدعيمها بالأموال، وتدعيمها بالأفكار، والدفع بها إلى المشاركة العملية في هذا المجتمع. فلا بد من تدعيم المراكز، والجمعيات، والمساجد حتى تقوم بدورها في تقديم الصورة

1- (رجال حول الرسول لخالد محمد خالد - ط 1 المكتبة العصرية بيروت).

الحقيقية للإسلام، ولا تكتفي بالخطب والمواعظ داخل جدران المسجد، بل تتقدم إلى المجتمع خارج هذه الأبواب لتقدم صورة الإسلام الحقيقية، وتكشف عن جمال الإسلام الذي يقول:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (1)

الأمر الثاني: العمل على إنشاء مراكز جديدة، سواء كانت تعليمية أم ترفيهية، ولا أدري ما الذي يجعل كثيرًا من أصحاب الأموال من المسلمين يستثمرون أموالهم فقط في محلات الأطعمة والأشربة، ولا يستثمرون أموالهم في إنشاء مؤسسات تعليمية خاصة أو ترفيهية تلتزم بقيم الإسلام.

أن يقوم جماعة من ذوي المال ببناء مدرسة، تستوعب المسلم وغير المسلم، لكن تحافظ على السمات الأخلاقية للمسلم، ما الذي يمنع أن يقوم جماعة من ذوي المال بإنشاء مركز للشباب، بكل أنشطته المختلفة؟

لا بد أن نعرض للآخرين الإسلام بصورة صحيحة، وأن نتقدم خطوة عملية، نقدم فيها الإسلام على صورته الحقيقية.

إن البشرية إذا عادت إلى قيم الإسلام، وانتشرت فيها أخلاق هذا الدين، فستعيش أسعد حياة. فما أحوج هذه المجتمعات إلى قيم الإسلام الحقيقية، لكن على أن يقدمها أناس مخلصون، ومؤمنون بهذه الرسالة.

المعاملات:

المعاملات في اللغة: جمع معاملة، وهي مأخوذة من العمل، وهو لفظ عام في كل فعل يقصده المكلف.

وأما في الاصطلاح: فهي الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا، كالبيع، والشراء، والإجارة، والرهن، وغير ذلك.

فائدة:

اعلم أن العلماء - رحمهم الله - يقسمون الفقه إلى أربعة أقسام:

1 - عبادات. 3 - أنكحة.

2 - معاملات. 4 - أحكام الجنايات والقضاء.

هذا ما عليه أكثر العلماء - رحمهم الله -.

وبعض العلماء لا يخصون قسم المعاملات بالمعاملات المالية، وإنما يدرجون أحكام الأنكحة بالمعاملات، فيجعلون الأقسام ثلاثة:

1 - عبادات.

2 - معاملات ولا يخصونها بالمعاملات المالية.

3 - أحكام الحدود والجنايات.

وممن ذهب إلى هذا ابن عابدين الحنفي - رحمه الله - صاحب حاشية "رد المحتار". لكن أكثر

العلماء - رحمهم الله - على تقسيم الفقه إلى الأقسام الأربعة..

والمراد بالمعاملات: المعاملات المالية، وهي تشمل أمرين:

1 - أحكام المعاوضات: وهي المعاملات التي يقصد بها العوض من الربح، والكسب،

والتجارة، وغير ذلك. وتشمل: البيع، والإجارة، والخيارات، والشركات.. وما يلحق بذلك من عقود التوثقات.

2 - أحكام التبرعات: وهي المعاملات التي يقصد بها الإحسان، والإرفاق، مثل: الهبة،

والعطية، والوقف، والعنق، والوصايا، وغير ذلك.

إذا عرفنا أن المراد بالمعاملات؛ المعاملات المالية، فالعلماء يطلقون المال على ثلاثة إطلاقات:

- 1 - الأعيان العروض: كالسيارة، والبيت، والأطعمة، والأقمشة، وغير ذلك.
- 2 - المنافع: كمنفعة السكنى في هذا البيت، ومنفعة البيع والشراء في هذا الدكان..
- 3 - العين: ويراد به الذهب والفضة وما يقوم مقامهما الآن من الأوراق النقدية، مع أن المشهور عند الفقهاء - رحمهم الله - أنهم يجعلون الأوراق النقدية من قبيل العروض. والعلماء - رحمهم الله - عرفوا المال بتعاريف متقاربة، فقالوا: هو كل عين مباحة النفع، أو كل ما أبيع نفعه فهو مال، إلا ما استثناه الشارع.

المعاصرة: مأخوذة في اللغة من العصر، والعصر يطلق في اللغة على ثلاثة إطلاقات:

- 1 - الدهر والحين.
 - 2 - من عَصَرَ الشيء إذا ضغطه حتى يحتلب.
 - 3 - الملجأ، يقال: اعتصر بالمكان؛ أي التجأ به.
- فيتلخص لنا في تعريف المعاملات المعاصرة أنها: الأحكام الشرعية للمسائل المالية التي ظهرت ووجدت في عصرنا.1

إن ثمة إشكالات عميقة تعترى واقع المسلمين في الغرب؛ لذلك نقدم هذا لينثير بعض جوانبها، ويميط اللثام عن المسكوت عنه من قضايا المسلمين بالمهجر، فيكشف الوجه الحقيقي للإسلام أمة وتاريخاً وحضارة، وهو وجه يخالف مطلقاً، سواء ما هو عليه الآن حال أغلبية المسلمين، أم ما تكشف عنه وسائل الإعلام المختلفة، من رؤى وتحاليل وآراء تسيء أيما إساءة إلى الإسلام والمسلمين.

وهذه الحالة التي يبدو عليها الإسلام في الغرب، تقتضي التنقيب عن الأسباب الخفية والمعلنة التي تقف وراء ذلك، وهذا التنقيب يبدأ من نقد الذات الإسلامية، التي لا تمثل نفسها خير تمثيل في الغرب، مما يُصعّد من النظرة المهينة والمحترقة إلى المسلمين، ثم بعد هذا النقد، يمكن أن نؤسس لحوار معقلن ومنفتح، أولاً فيما بيننا، ومن ثم مع الآخر؛ لأننا إذا لم نتمكن من إقامة

1- خالد بن علي المشيخ - من دروس الدورة العلمية بمسجد الراجحي ببريدة عام 1424هـ.

حوار صريح مع الذات والهوية، فإننا لا محالة سوف نفشل في إقامته مع الآخر، كيفما كان! وآلية الحوار هذه تمكّنا، بشكل أو بآخر، من الكشف عن حقيقتنا الضائعة بين أنقاض الصراعات المتتالية، التي ضيقت علينا فرص الدعوة العقلانية والممنهجة لإسلام معتدل ومتسامح، حتى أصبحنا أمام صورة لإسلام واقعي مهشّم، لا يمثل من الإسلام الحقيقي الخالص إلا الطقوس والعبادات واللباس.

إن حال المسلمين بالغرب، سوف يشهد بُعيد بضعة عقود زمنية منعطفًا جديدًا، نصح فيه أمام واقع جديد مغاير تمامًا لهذا الواقع الذي نحن فيه، واقع يواكب نوعية الوعي العام الذي يتصرف به هذا الجيل الأخير، وهو وعي غير مكتمل؛ لأن أسباب اكتماله غير موجودة، خصوصًا أن هذا الجيل يعيش انفصامًا رهيبًا، يبدو فيه كما لو أنه ما يزال يفتش عن هويته الحقيقية، فلا هو غربي، ولا هو شرقي، وإنما بين بين!

واقع المسلمين في الغرب، في المعاملات فيما بينهم ذلك الواقع الذي يشهد تناقضات، تتخذ طابعًا إشكاليًا يعجز معه الجميع عن صياغة حلول فورية لها، وذلك أن ثقافة المعاملة الحسنة المبنية على المحاسبة المستمرة للنفس تكاد تنعدم، بالمقارنة بالاهتمام بالجانب الطقوسي الذي يحضر بشكل شديد القوة والتأثير في السلوكيات اليومية للمسلمين.

إن اختزال الإسلام في جانب العبادات، وإهمال جانب المعاملات، وهو ما يكشف عن خلل جسيم في الوعي الديني لدى الغالبية الساحقة من المسلمين هنا.

ويحذر من أن اقتصار المسلمين على أداء العبادات قد يترتب عليه تلاشي تلك القيم الإسلامية النموذجية التي تعتبر في حد ذاتها قنوات تواصلية بين البشر، وبهذا تتبدد مفاهيم الأسرة والمجتمع والأمة، وصولاً إلى حالة انعزال رهيب تجتاح الناس، وتفصلهم عن بعضهم البعض. إن إثارة عدد من الحوارات مع شرائح متعددة من المسلمين في الغرب ما هو إلا اختبار لنوع الوعي الذي يحملونه بشأن القضايا الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية داخل المجتمع الغربي، وأوضحت نتائج الاختبار أن رفض المسلمين للمعاملة فيما بينهم ما هو إلا أحد المشاعر التي نتجت عن الطابع الإشكالي الذي يتعامل به المسلمون هنا؛ مما يؤكد أن المعركة لا تزال طويلة لإعادة توجيه إخواننا إلى ضرورة العمل بفكرة الوجهة السليمة للإسلام؛ باعتباره ديناً يفتح ذراعيه للإنسانية بكل أطيافها وأجناسها.

على الجانب الآخر، علينا تحمل بعض وسائل الإعلام الغربية التي تهاجم الإسلام والمسلمين، وتكرس للصراع الحضاري مع هذا الوجد المرفوض بتقاليد الصادمة.

ويؤكد أن هذا العداء يقتضي التنقيب عن الأسباب الخفية والمعلنة التي تقف وراء ذلك، وهذا التنقيب يبدأ بنقد الذات التي لا تمثل نفسها خير تمثيل في الغرب؛ مما يصعد من النظرة المهينة والحقيرة للمسلمين، ثم بعد هذا النقد يمكن التأسيس لحوار عقلاني ومنفتح أولاً فيما بين العرب والمسلمين أنفسهم، ثم بعد ذلك بينهم وبين الآخر.

من منن الله الكبرى، وحكمه البالغة أن انتشر الإسلام في كل أنحاء المعمورة؛ وأصبحت الصحوة الإسلامية ظاهرة طبيعية وواقعاً ملموساً واضح الدلالة.

لقد بشرنا الصادق المصدق - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث صحيحة صريحة، بأن الخلافة على منهاج النبوة آتية، وأن هذا الدين الحنيف سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وأن الله - عز وجل - سيدخله كل بيت مدر ووبر، بعز عزيز، أو بذل ذليل.

لقد أصبح تواجد المسلمين بالغرب، وبأوروبا خاصة، واقعاً لا يمكن جحوده أو تجاهله. وما ظهور المسلمين على الساحة إلا لوعيهم بضرورة المشاركة الإيجابية في ميادين الفكر المتفاعل، وعدم الانكفاء الفكري والانزواء في القرب، بعيداً عن هموم المجتمع وتفاعلاته؛ وعدم قبول عملية التهميش التي يريد أعداء الإسلام والكائدون له أن يخوض المسلمون في غلسها.

منذ عشرات السنين وموضوع اندماج المسلمين، لكي لا نقول الذوبان، يملأ الساحة الفكرية والسياسية. لكن على مسلمي الغرب أن يخرجوا من هذا الغموض، ويسمعوا صوتهم، ويفصحوا عن مساهمتهم فيما فيه خير الصالح العام، ويسعون جادين لتحقيق التعايش السليم، ونبذ نظرية الصراع الحضاري المظلمة. فالمسلم المقيم بالغرب، لا يعيش في مجتمعه الغربي بعقلية المهاجر أو عابر السبيل، بل بعقلية المواطن الذي له حقوق وعليه واجبات، والذي له حضور مسئول وأفعال في محيطه⁽¹⁾.

1- المسلمون في الغرب، المسلمون في الغرب واقع وآفاق أ. عمر محاسن (رابط

http://www.imames.com/index.php?option=com_content&view=article&id=50:2010-01-23-11-28-31&catid=36:moslimoun-fi-gharb&Itemid=55.

لا بد من الجهد والصبر والمصابرة؛ لكي يُسمع المسلمون كلمتهم إلى غرب مشحون ضد الإسلام وأبنائه. ينعنون بتهم الإرهاب والتعصب والظلامية، ويدانون مسبقاً دون أي محاكمة. لا بد من المثابرة والعمل المتواصل الرفيق؛ لإزالة الغشاوة التي تضعها على الأعين وتروج لها حملات التحقير العدائي للإسلام. هذه الحملات الشرسة من شأنها أن تؤدي بالمسلمين إلى الانزواء والعيش على هامش المجتمع، أو أن تؤدي بهم إلى التطرف والغلو القائد إلى العداة المفكك.

ما ينبغي للمسلمين بالغرب أن ينزوا وينكمشوا في مساجدهم، ويتركوا الميدان فارغاً ليس فيه من يذكر الناس بالله وبلقاء الله؛ ويثيروا لدى الإنسان الغربي أسئلة جوهرية عن سر وجوده، ومعنى حياته، من أنا؟ ما المصير؟ وإلى أين؟....

إن المتأمل والمتفحص في واقع المسلمين بالغرب، يؤلمه ويضيق صدره من وجود بعض العبارات المتداولة في صفوف الشباب المسلم، والتي لا تتناسب مع زماننا - قد كانت لها مبرراتها التاريخية في زمن معين، كعبارة دار الحرب، ودار الإسلام. هذا التصور الثنائي يُضيق الأفق أمام عملنا الإسلامي بالغرب بحيث تلتبس السبل، ويضمحل الفكر؛ ومن ثم لا نستطيع البناء.

من أجل ذلك، يجب أن نعتمد مصطلح الشهادة حجة واستشهاداً: {لتكونوا شهداء على الناس} فالمؤمن مسئول وحامل لواء، قد تولى أمانة الدلالة على الله. وحامل لمشروع جليل يهدف إلى تغيير الإنسان، فهو منصّب بمقاصده ومراميه، متشرب لمنطقه ومراحله، ثابت على مبادئه، لا يتزعزع عن خط سيره مهما تكن العقبات. إقباله على الله - عز وجل - يدفعه إلى المزيد من العمل الإيجابي، بحيث يجعل حركته مثمرة وحياته دافقة.

يشيع في المجتمع بنور إيمانه، وطيب أخلاقه، وحسن معاملته. ويدعو إلى الله على بصيرة برفق يرفض العنف، ورحمة تتأفي القسوة، ولين يأبى الفظاظة. هذه الشهادة بالقسط كفيلة بأن تنفي عن شريعتنا السمحة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

إذا كان الشعور بالمسئولية، والوعي بالتحديات التي تنتظر مسلمي الغرب، أصبح همًا انتدبت له بعض الهمم العالية، والقلوب المخلصة، فإن الكثير من المسلمين ليس لهم وعي بجدارة المهمة، وليست لهم لوعة على الإسلام، ولا عزم لهم على المبادرة والعطاء.

بل يتخذون الموقف السلبي الانسحابي، وينتقدون العاملين؛ ونحن في وقتنا الحالي، محتاجون إلى كثير من العمل الجاد، وإلى قليل من الكلام.

إن ثمة إشكالات عميقة تعترى واقع المسلمين في الغرب، وأنه يتوخى إثارة بعض جوانبها، وإمالة اللثام عن المسكوت عنه من قضايا المسلمين بالمهجر؛ ليكشف عن الوجه الحقيقي للإسلام أمة وتاريخاً وحضارة،⁽¹⁾.

وهو وجه يخالف مطلقاً ما عليه حال أغلب المسلمين الآن، أو ما تظهره وسائل الإعلام المختلفة من رؤى، وتحاليل، وآراء تسيء إلى الإسلام والمسلمين.

ويحدث ذلك نتيجة جهل بعض وسائل الإعلام الغربية بحقيقة الإسلام، أو تجاهله لتلك الحقيقة، باعتبار أنه منخرط في صراع حضاري محموم مع هذا الوافد عليه، الذي راح يتغلغل في الحياة اليومية الغربية مزاحماً ببريق ثقافته المتميزة ثقافة الآخر، ومصادماً بقيمه الخاصة عادات وتقاليد الآخر.

والحالة التي يبدو عليها الإسلام في الغرب، تقتضي التنقيب عن الأسباب الخفية والمعلنة التي تقف وراء ذلك.

وهذا التنقيب يبدأ من نقد الذات الإسلامية والعربية التي لا تمثل نفسها خير تمثيل في الغرب؛ مما يصعد من النظرة المهينة والمحترمة للمسلمين. وبعد هذا النقد يمكن التأسيس لحوار منفتح ومعقلن، بين مسلمي الغرب أنفسهم أولاً، ثم مع الآخر.

وإذا لم نتمكن، من إقامة حوار صريح مع الذات والهوية، فإننا بالضرورة سوف نفشل في إقامته مع الآخر أيًا كان.

1- المسلمون في الغرب، بقلم محمود سلطان، رابط:

<http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=778#.VEp6KCKsXtl>

وآلية الحوار تمكننا، بشكل أو بآخر، من الكشف عن حقيقتنا الضائعة بين أنقاض الصراعات المتتالية التي ضيقت علينا فرص الدعوة العقلانية والممنهجة لإسلام معتدل ومتسامح.

لقد أصبحنا بفعل هذه الصراعات أمام صورة لإسلام مهشم، لا يمثل من الإسلام الحقيقي الخالص إلا الطقوس والعبادات واللباس، أما ذلك الوجه الحضاري والعلمي والأخلاقي فلا نلمسه إلا عند أفراد منعزلين يحيون خارج أسوار المجتمع.

أغلب المسلمين في الغرب هم بين خيارين أحلاهما مر: الاندماج، أو الإحجام؛ أي أن عليهم الاختيار بين الانفتاح المشروط بشروط الغرب، أو الانغلاق؛ فلما ثقافة الغرب التي تضمن لهم رغد العيش الكريم، أو قيم الإسلام التي تضمن لهم سخط الغرب وعدم رضاه.

وتكاد مثل هذه الرؤية ذات البعدين الأبيض والأسود تهيمن على بنية التفكير لدى المسلمين الموجودين في الغرب.

ولإرساء هذه الثقافة يمكن استيحاء كل ما تمت مراكمته من موروثات أخلاقية وحضارية، يستمدّها المرء من الدين الذي يؤمن به، أو من المنظومة الاجتماعية والفكرية التي يندرج فيها.

ولا يخفى عليكم انتشار مظاهر التحلل الأخلاقي في الغرب، وخاصة الشذوذ الجنسي، والاعتصاب المنظم، والاستغلال الجنسي للأطفال، إن هذه البلاد ذاتها هي التي عاملت المهاجر المسلم بالمعروف، وقبلته بين ظهرانيها معززاً مكرماً، في حين أنه مرفوض في وطنه، وغير مسموح له بالاستقرار في إحدى الدول العربية أو الإسلامية الغنية، فهي تفتح أبوابها للأوروبيين والأمريكيين وتغلقها أمامه.

إن السلوك المتردد للمسلم في الغرب، بين الإقبال على شتى جوانب الحضارة الغربية ذات الجانب المادي أو النفعي، والإحجام عن الحثييات الأخلاقية والسلوكية السائدة في المنظومة الغربية، وهذا الذي يدفع الإنسان الغربي إلى اعتبار مثل هذا السلوك نفاقاً أو تناقضاً.

لكن ما يراه الغرب ازدواجية أو تناقضاً ليس كذلك في حقيقته؛ إذ يعبر عن الرغبة في اكتساب نوع من المناعة ضد الجانب المرفوض من الحياة الغربية⁽¹⁾.

1- (64) محمد أحمد خلف الله. القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 بيروت 1982.

لكن الغرب لم يتسنَّ له - بعد - إدراك هذه الإشكالية التواصلية، التي قد تحدث نوعاً من القطيعة الثقافية والمعرفية بين الطرفين.

لكن، إلى متى يظل المسلمون في الغرب متمسكين بحبل المناعة التي تتخذ كثيراً طابع الانزواء والتفوق، فإذا أفرطوا فيها أصبحت تطرفاً وغلواً، وإذا فرطوا أصبحت انصهاراً وتحللاً؟ هذه هي الإشكالية التي يتعين مواجهتها.

المبحث الثاني

العلاقة بين المسلم وغير المسلم

وسوف نتناولها من حيث العقيدة والمعاملات والأخلاق:

العقيدة:

يقرر الإسلام العلاقة بين البشر بأنها للتعارف، يقول المولى - عز وجل - : لِيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. (1)

وأن تعايش المسلم مع غير المسلم ليس بمستتكر ما دام في إطار العلاقة العادية دون تهديد للمسلمين، أو اعتداء على الدين، وبين - سبحانه وتعالى - أساس هذا التعايش بقوله: لِيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (2).

بل قد يتطور التعايش إلى أن يكون تعاوناً إذا كان الداعي له أمر خير ونفع للناس، روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في البداية والنهاية قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني، أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، حدثنا يحيى بن علي بن هاشم الخفاف، حدثنا أبو عبد الرحمن الأذرمي، حدثنا إسماعيل بن علي بن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «شهدت مع عمومي حلف المطيبين، فما أحب أن أنكته - أو كلمة نحوها - وإن لي حمر النعم». قال: وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن قال: وأخبرنا أبو نصر بن قتادة، حدثنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السمناني، حدثنا معلى بن مهدي، حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم، وأني كنت نقضته قال: والمطيبون: هاشم، وأمّية، وزهرة، ومخزوم» (3).

1- سورة الحجرات، آية: 13.

2- سورة الممتحنة، آية: 8.

3- قال البيهقي: كذا روي في البداية والنهاية، ص456.

غير المسلمين يَنْقَسِمُونَ إلى أربعة أقسام:

- 1 - أهل الحرب: هو الكافر الذي بين المسلمين وبين دولته حالة حرب، ولا ذمة له، ولا عهد، قال الشوكاني: "الحربي: الذي لا ذمة له ولا عهد". (1)
- 2 - أهل الذمة: الكفار المقيمون تحت ذمة المسلمين بدفع الجزية؛ قال ابن القيم: "أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب، ومن المجوس". (2)
- وَحُكْمُ أَهْلِ الذِّمَّةِ الْمُعَاهِدِينَ الَّذِينَ يُسَاكِنُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ، وَيُدْفَعُونَ الْجِزْيَةَ - أَنَّهُمْ يَخْضَعُونَ لِلْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي غَيْرِ مَا أُقْرُوا عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقَاثِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَالزَّوْجِ وَالطَّلَاقِ، وَالْمَطْعُومَاتِ، وَالْمَلْبُوسَاتِ، وَلَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْكَفُّ عَنْهُمْ وَحِمَايَتِهِمْ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: "وَسُمِّيَ أَهْلُ الذِّمَّةِ؛ لِدُخُولِهِمْ فِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ". (3)
- 3 - المعاهد: هو الكافر الذي بينه وبين المسلمين عهد مهادنة، قال ابن بطال: "والمعاهد: الذي بينه وبين الإمام عهد وهدنة"، وإذا دخل ديار المسلمين سمِّي مُسْتَأْمَنًا. (4)
- 4 - أهل الأمان: المستأمن: هو الحربي المقيم إقامة مؤقتة في ديار المسلمين، قال الشيخ محمد بن عثيمين عندما سُئِلَ: البعض يتأول في مسألة أهل الذمة بدعوى عدم وجود ولي الأمر العام أو الخلافة، أو لعدم وجود أهل الذمة أصلًا بدعوى عديدة؛ ولذلك لا يجدون غضاضةً في دعوة الناس للاعتداء على غير المسلمين من المعاهدين؟ فأجاب بقوله: أنا أوافق على أنه ليس عندنا أهل ذمة؛ لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤثون الجزية، وهذا مفقود منذ زمن طويل، لكن لدينا معاهدون ومستأمنون، ومعاهدون معاهدة عامة، ومعاهدة خاصة، فمن قَدِمَ إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تجارة، وسُمِحَ له بذلك، فهو: إما معاهد أو مُسْتَأْمَن، فلا يجوز الاعتداء عليه؛ وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ». (5) فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله - عز وجل - مُحْتَرِمُونَ لِمَا اقْتَضَى الْإِسْلَامُ احْتِرَامَهُ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالْأَمَانِ، فَمَنْ أَخْلَى بِذَلِكَ فَقَدْ أَسَاءَ لِلْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ

1- حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله التركي.

2- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، صالح العايد.

3- الحوار من أجل التعايش، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

4- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، صالح العايد.

5- رواه البخاري، برقم 3166 كتاب الجهاد عن عبد الله بن عمرو

بمظهر الإرهاب، والغدر، والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام، واحترم العهود والمواثيق، فهذا هو الذي يُرجى خيره وفلاحه". (1)

أمر الإسلام أتباعه بالإحسان إلى الجار، وحرّم إيذاءه بشيء ولو كان الجار غير مسلم، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة؛ حيث كان له - صلى الله عليه وسلم - جار يهودي، وكان يعودُه إذا مَرِضَ، وحدّد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حقوقَ الجار؛ فعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق جاري عليّ؟ قال: «إن مرض عُدته، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنّأته، وإن أصابته مصيبة عزّيته، ولا ترفع بناءك فوق بناءه فتسد عليه الريح، ولا تؤذ به بريح قدرك إلا أن تغرّب له منها». (2)

وذهب بعض أهل العلم إلى أن للمسلم تعزية غير المسلم إذا ما مات له قريب، ويقول في تعزيته إن كان الميت غير مسلم - ما يجوز قوله، مثل: أخلف لكم الله خيراً منه، وأحسن عزاءكم، ولا يدعو له بالأجر، ولا لميته بالرحمة؛ لأنهما ليسا من أهل الأجر والرحمة، وينبغي أن يقصد بذلك كله تأليف قلب غير المسلم على الإسلام، كما للمسلم أن يزور قبر غير المسلم للعبّطة، ولا يُسلم عليه، ولا يدعو له، أو يستغفر؛ للحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي، فلم يؤذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها، فأذن لي». (3)

وقد علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقّ العيادة لغير المسلمين، وحق إطعامهم عند حاجتهم إلى الطعام، يقول - صلى الله عليه وسلم -: «فكّوا العاني - يعني: الأسير - وأطعموا الجائع، وعودوا المريض». (4)

حُكْم عام يشمل المسلمين وغير المسلمين، ويثني الله - تعالى - على عباده المؤمنين الذين يُطعمون الطعام على حبه المسكين، واليتيم، والأسير؛ قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَّا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. (5)

1- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة، تأليف أحمد الريسوني، ومحمد الزحيلي. 1

2 - معجم الطبراني، باب بر الام رقم 1014 عن بهز بن حكيم

3 - رواه مسلم، برقم 976 كتاب الجنائز من حديث أبي هريرة

4 - رواه البخاري، باب فكك الاسير برقم 3046 من حديث أبي موسى الاشعري

5 - سورة الإنسان، آية: 9.

قال قتادة: "لقد أمر الله بالأسارى أن يُحسن إليهم، وإنهم يومئذٍ لمشركون".

وقال الحسن: "كان الأسارى مشركين يوم نزلت هذه الآية".¹

وكان من عادة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقري الضيف، ويكسب المعدم من غير المسلمين، ويُعين على نوائب الحق لغير المسلمين، هذه خديجة - رضي الله عنها - حين جاءها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول نبوعته وهو يقول: «زملوني، زملوني»، قالت: "والله لا يُخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر"، انظر هل كان ثم أحد من المسلمين دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعامل معه هذه المعاملة الحسنة؛ من صلة الرحم، وإكرام الضيف، وإكساب المعدم، وإعانة من أصابته مصيبة في ماله؟ وكان العهد أول رسالته، ووحى القرآن إليه، ولم تظهر دعوته بعد، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقوم بعيادة المرضى من غير المسلمين أيضًا؛ فعن أنس - رضي الله عنه - أن غلامًا ليهود كان يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأناه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعود، فقال: «أسلم» فأسلم.⁽²⁾

وكان - صلى الله عليه وسلم - يُعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء، والأخذ والعطاء؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين»؛ يعني: صاعًا من شعير.⁽³⁾

حق الحرية في الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين:

من الحريات التي كفلها الإسلام في حق غير المسلمين: حرية الاعتقاد والعبادة، لم يُجبر الإسلام الناس، ولم يُكرههم على الدخول فيه، بل أتاح لهم مطلق الحرية، ووكل الأمر إلى أنفسهم؛ فقال الرب - عز وجل - : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} ⁽⁴⁾، وامتنالًا لهذه الآية الكريمة دأب المسلمون على دعوة الناس إلى الإسلام، وعرضه عليهم من دون إكراه وإجبار، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يمر بعجوز نصرانية، ويعرض عليها الإسلام ويدعوها إليه قائلاً: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمدًا بالحق، قالت: أنا

1 - السيوطي في كتابه: الدر المنثور (8. 371).

2- رواه البخاري باب عيادة المشرك برقم: 5333 من حديث أنس

3- رواه البخاري باب البيع والشراء برقم: 4476 من حديث عائشة.

4- سورة البقرة، آية: 256.

عجوز كبيرة، والموت إليّ قريب، فقال عمر - رضي الله عنه - : اللهم اشهد، وتلا قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (1)، يتحدث الأستاذ أحمد الحوفي في كتابه "سماحة الإسلام" عن هذه الحرية في الاعتقاد والعبادة التي أتاحتها الإسلام لغير المسلمين في المجتمع المسلم، فيقول: "أما الحرية الدينية، فقد كفلها الإسلام لأهل الكتاب، فهم أحرار في عقيدتهم، وعبادتهم، وإقامة شعائرهم في كنائسهم" (2).

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحمله تبعه عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني، التحرر الذي تتكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب معتسفة، ونظم مُذَلَّة، لا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله - باختياره لعقيدته - أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها، غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فيما أن يعتق مذهب الدولة هذا، وهو يحرمه من الإيمان بالله للكون يُصرف هذا الكون، وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب! إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت لها بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداءً، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مرأى - هو الذي ينادي بأن {لا إكراه في الدين}، وهو الذي يبين لأصحابه - قبل سواهم - أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين (3)، وتاريخ الإسلام الطويل شاهد على أن الشريعة وأهلها قد كفّلوا لأتباع الأديان الذين يعيشون في ظل الإسلام البقاء على عقائدهم ودياناتهم، ولم يُرغم أحد على اعتناق الإسلام، ومعلوم لدى القاضي والداني أن هذا لم يكن موقف ضعف من دولة الإسلام، بل كان هذا هو مبدأها، حتى حين كانت في أوج قوتها أمة فنيّة قادرة، ولو أرادت أن تفرض على الأفراد عقيدتها بالقوة القاهرة، لكان ذلك في مقدورها، لكنها لم تفعل (4) وهناك

1- سورة البقرة، آية: 256.

2- (كتاب سماحة الإسلام)، لأحمد الحوفي (ص: 79)، الناشر المطبعة الأميرية القاهرة، ط- (1)، 1422 هجرية.

3- (في ظلال القرآن) 1: 291.

4- كتاب تلبيس مردود في قضايا حية؛ صالح بن حميد (ص: 31-32)، الناشر دار العاصمة - الرياض - 1431 هجرية.

شهادات من العلماء غير المسلمين ممن يُوثق بهم أن الإسلام ترك لغير المسلمين حرية الاعتقاد، تقول المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغلييري في كتابها: "دفاع عن الإسلام": "كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية الاعتقاد، وحتى يُجْمعوا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد، والجيوش الإسلامية ما كانت تُتبع بحشد من المبشرين اللحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين في مراكز محاطة بضروب الامتياز لكي ينشروا عقيدتهم، أو يدافعوا عنها، ليس هذا فحسب، بل لقد فرض المسلمون في فترة من الفترات على كل راغب في الدخول في الإسلام أن يسلك مسلكاً لا يساعد من غير ريب على تيسير انتشار الإسلام؛ ذلك أنهم طلبوا إلى الراغبين في اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضي، ويُعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأي ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى كَسْب دنياوي⁽¹⁾، لقد كفل الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي حرية الاعتقاد وحرية العبادة، وحماية معابدهم، وصوامعهم وبيعهم، وجعل هذا من أسباب الإذن للمسلمين في القتال: {أَنْزَلَ لِلَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}⁽²⁾.

وإن الإسلام لم يَقُمْ على اضطهاد مُخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالكُرْه عن عقائدهم، أو المساس الجائر لأموالهم، وأعراضهم، ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض⁽³⁾.

ومن المقرر عند الفقهاء أنه لو أُكْرِه أحد على الإسلام، فإنه لا يصح إسلامه، قال في المغني: "وإذا أُكْرِه على الإسلام من لا يجوز إكراهه، كالذمي، والمستأمن، فأسلم، لم يثبت له حكم الإسلام، حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً⁽⁴⁾ يترك الإسلام لغير المسلم حرية ممارسة العبادات التي تتفق مع عقيدته، ثم يأمر بالمحافظة على بيوت العبادة التي يُمارس فيها شعائره، ويحرم على المسلمين الاعتداء على بيوت العبادة، أو هدمها، أو تخريبها، أو الاعتداء على القائمين فيها، سواء في حالتَي السلم والحرب، والوثائق التاريخية كثيرة في وصية الخلفاء لقادة

1- كتاب حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام؛ صالح العايد (ص: 32-33)، طبعة الأوقاف السعودية 2011.

2- سورة الحج، آية: 39-40.

3- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام؛ محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط 1، 1409هـ، (ص 6).

4- المغني؛ لابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، د. عبد الفتاح الحلو، (12: 291).

الجيوش، وفي المعاهدات التي أبرمت في التاريخ الإسلامي، وعند الفتوحات، ومنها الوثيقة العمرية مع أهل بيت المقدس، والدليل المادي الملموس شاهد على ذلك ببقاء أماكن العبادة التاريخية القديمة لليهود والنصارى وغيرهم في معظم ديار الإسلام والمسلمين (1).

إن الفتح الإسلامي اعترف أيضاً بالآخر، ولم يُرغم أي واحد على الدخول في الإسلام، في حين عندما انتصر ملوك شبه الجزيرة النصارى أطبقوا على إبادة المسلمين، وإحراق كتبهم وتراثهم، وتحويل مساجدهم إلى كنائس، إذ لم يبقَ في إسبانيا ولو كتاب واحد من ملايين الكتب التي ألفها واقتناها ونسخها علماء الأندلس، وورثاؤها، ونسآؤها، أما الكتب التي هي بمكتبة الإسكوريال، فهي مغربية الأصل قرصنها قرصان فرنسي، وتسلط عليه الإسبان، فجعلوها في دير الإسكوريال، وقد أُلّف جُلّها بالحرق وغيره. (2)

ومن شواهد التاريخ في هذا أنه لما توسّعت رُقعة الدولة الإسلامية زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية، وبخاصة في نجران، فما كان منه - صلى الله عليه وسلم - إلا أن أقام معهم المعاهدات التي تتسم باللين، والرفق، والتسامح، حيث تؤمن لهم حرية المُعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم (3) فهذا ما ورد في معاهدة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، ومِلَّتْهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وصلواتهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وألا يغيروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا مِلَّتْهم، ولا يُغيّر أسقف عن أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يبطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً، فبينهم النصف، غير ظالمين ولا مظلومين، على ألا يأكلوا الربا، فَمَنْ أكل الربا من ذي قبل، فذمّتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل

1- (كتاب حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة؛ أحمد الريسوني، محمد الزحيلي، محمد عثمان شبير (ص. 63)، الناشر وزارة الأوقاف السعودية عام 2009).

2- (الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة؛ عبد السلام الهراس (ص: 17) - وزارة الأوقاف السعودية 2010).

3- (كتاب التعامل مع الآخر، شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية؛ إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، الناشر مركز الملك عبد العزيز 2006).

منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله، وذمة النبي محمد رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير متقلين بظلم»⁽¹⁾.

فإن عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى نجران قد بلغ الذروة في تعامل الدولة الإسلامية مع دور العبادة هذه، إلى الحد الذي نصَّ فيه على أن مساعدة الدولة الإسلامية لغير المسلمين في ترميم دور عباداتهم هي جزء من واجبات هذه الدولة؛ ولأن غير المسلمين هم جزء أصيل في الأمة الواحدة، والرعية المتَّحدة لهذه الدولة، فجاء في هذا الميثاق مع نصارى نجران: ولهم إن احتاجوا في مَرَمَّةٍ يبيعهم وصوامعهم أو شيء من مصالح أمور دينهم إلى رفد ومساعدة من المسلمين، وتقوية لهم على مَرَمَّتِها - أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وموهبة لهم، ومِنَّةً لله ورسوله عليهم. 2

يقول صالح عايد في كتابه: "حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام"، عن ول ديورانت:

"لقد كان أهل الذمة (المسيحيون، والزرذشتيون، واليهود، والصابئون) يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيراً لها في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم، ومعابدهم، وكانوا يتمتعون بحُكم ذاتي يخضعون فيه لعلمائهم، وقضاتهم، وقوانينهم"⁽³⁾.

وهذا خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر - رضي الله عنه - يُوصي أسامة بن زيد وجيشه: "يا أيها الناس، قفوا؛ أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"⁽⁴⁾.

وهذا عمر بن الخطاب يكتب لأهل إيلياء عهداً، وهو يُصالحهم بالجابية، عن خالد وعبادة - رضي الله عنهما - قالوا: "صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة

1- (كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) 6: 420، تأليف محمد بن يوسف الصالحي، الناشر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، عام 1418هـ).

2- الإسلام والآخر، الحوار هو الحل - الصفحة 17.

3- (كتاب حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام؛ صالح العايد (ص: 13 - 131)، طبعة الأوقاف السعودية 2011).

4- (تاريخ الرسل والملوك؛ الطبري، 3: 227).

كتابًا واحدًا، ما خلا أهل إيلياء، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمتها، وبريئتها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله؛ فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية⁽¹⁾.

يتحدّث الدكتور يوسف القرضاوي عن هذه الحرية التي أعطاهها الإسلام لغير المسلمين، وهم يعيشون في المجتمع الإسلامي، فيقول: ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارى يؤدّون عباداتهم، ويقيمون شعائرهم في حرية وأمان، كما هو منصوص عليه في العهود التي كتبت في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - مثل عهد الصلح بين الفاروق وأهل إيلياء - القدس⁽²⁾.

ويقول توماس أرنولد في كتابه: "الدعوة إلى الإسلام": "فغير المسلمين تمتّعوا بهذه الحرية في الاعتقاد والعبادة على أحسنها وأتمها، فلم يمسسهم سوء في معابدهم وكنائسهم على أيدي المسلمين". ثم يقول توماس أرنولد: "وقد حافظ المسلمون على كنائس النصارى، ولم يمسوها بسوء، يقول البطريق النسطوري ياف الثالث في رسالة بعث بها إلى سمعان مطران ريفاردشير ورئيس أساقفة فارس: وإن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه، وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس

1- (تاريخ الرسل والملوك)؛ الطبري 3: 227.

2- الأقليات الإسلامية والحل الإسلامي؛ يوسف القرضاوي (ص: 13)، دار وائل للنشر عمان 2003 ط- 1.

يَعْطِفُونَ عَلَى دِينِنَا، وَيُكْرِمُونَ قُسْسَنَا وَقَدِيسِي الرَّبِّ، وَيَجُودُونَ بِالْفَضْلِ عَلَى الْكِنَائِسِ
وَالْأَدْيَارِ".⁽¹⁾

ويقول حمدي شفيق في كتابه: الإسلام والآخر (الحوار هو الحل) طبقت الخلافة الراشدة هذه
السنة النبوية، وساد هذا التطبيق على امتداد تاريخ الإسلام في بلاد الديانات الوضعية من فارس
إلى الهند إلى الصين؛ حتى لقد تمتع أهل هذه الديانات لا بحرية الاعتقاد فقط، وإنما أيضاً بحرية
مناظرة علماء الإسلام في مجالس الخلفاء إبان مجد وقوة وعظمة الخلافة الإسلامية، ولقد أورد
(السير توماس أرنولد) - بإعجاب - كيف أن زعيم المانوية المجوس - في فارس -
(يزدانخت) قد أتى بغداد، وناظر المتكلمين المسلمين، في حضرة الخليفة المأمون، فلما أفحمه
علماء الإسلام، تاق المأمون إلى أن يُسلم (يزدانخت)، ففاتحه في ذلك، لكنه رفض في أدب،
وقال للخليفة: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لا يُجبر الناس
على ترك مذهبهم، فتركه المأمون وشأنه، بل وطلب حمايته من العامة حتى يبلغ مأمنه بين
أتباعه وأنصار مذهب من المجوس، وهكذا بلغ الإسلام القمة.⁽²⁾

يقول المفكر المصري المسيحي الدكتور نبيل لوقا بباوي: التسامح الديني الذي حققته الدولة
الإسلامية في مصر، وحرية العقيدة الدينية التي أقرها الإسلام لغير المسلمين، وتركهم أحراراً
في ممارسة شعائرهم الدينية داخل كنائسهم، وتطبيق شرائع ملتهم في الأحوال الشخصية؛
مصدقاً لقوله - تعالى - في سورة البقرة: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} ⁽³⁾.

ويدعي بعض المستشرقين أن الإسلام يقتل أصحاب الديانات الأخرى، ويجبرهم على الدخول
في الإسلام، ولكن الرسول بعد قدومه إلى المدينة المنورة، عقد تحالفاً مع اليهود المقيمين هناك،
وذكرت الوثيقة أن اليهود الموجودين في المدينة لهم عهد وزمة، وأنهم آمنون على حياتهم،
وعلى دينهم وأموالهم، ويمارسون شعائرهم الدينية، وذكرت أيضاً أن الوثيقة نصت على تحقيق
العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية؛
إعمالاً للقاعدة الإسلامية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا).⁽⁴⁾

1- (الدعوة إلى الإسلام؛ توماس أرنولد (ص: 102)، ترجمة وتحقيق حسن عابدين، الناشر مكتبة النهضة المصرية 1971م).

2- (الإسلام والآخر، الحوار هو الحل؛ حمدي شفيق (ص: 77-78) الناشر فهرس مجلة رسالة الإسلام، عام 1949م).

3- سورة البقرة، آية: 256.

2- السلام العالمي، حسن البناء، (ص 135)، طبع مكتبة وهبة الثانية - القاهرة.

وهذا يُثبت أن الإسلام لم ينتشر بالسيف والقوة؛ لأنه تمَّ تخيير غير المسلمين بين قبول الإسلام أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية (ضريبة الدفاع عنهم، وحمايتهم، وتمتعهم بالخدمات العامة).

فمن اختار البقاء على دينه فهو حرٌّ، وقد كان في قدرة الدولة الإسلامية أن تجبر المسيحيين على الدخول في الإسلام بقوتها، أو أن تقضي عليهم بالقتل إذا لم يدخلوا قهراً، ولكن الدولة الإسلامية لم تفعل ذلك؛ تنفيذاً لتعاليم الإسلام ومبادئه، فأين دعوى انتشار الإسلام بالسيف؟! (1)

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة في كتابها: "شمس العرب تسطع في الغرب":

"العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام؛ فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سُمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم من ممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم، وأديرتهم، وكهنتهم، وأخبارهم، دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفّس الصُعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ، وبعد فظائع الإسبان واضطهاد اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية، فبطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف. (2)

حق العدل والمساواة والبر والإحسان:

أقام الإسلام المجتمع على دعائم قوية ثابتة، ومنها: العدل بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، والعدل صفة خلقية كريمة، تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة، والبعد عن الظلم، والبغي، والعدوان، والعدل في الإسلام هو مما يكمل أخلاق المسلم لما فيه من اعتدال، واستقامة، وحب للحق، وهو كذلك صفة خلقية محمودة تدل على شهامة ومروءة من يتحلّى بها، وعلى كرامته واستقامته، ورحمته وصفاء قلبه؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ

1- (38) (الإسلام والآخر، الحوار هو الحل؛ حمدي شفيق (ص: 65-66)، الناشر فهرس مجلة رسالة الإسلام عام 1949م).

2- (39) شمس العرب تسطع على الغرب- زيغريد هونكة (ص: 364)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط-1 (2001).

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ⁽¹⁾، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ⁽²⁾.

يقول ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين:

"فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل".

وقد ورد في الحديث الشريف قوله - صلى الله عليه وسلم - : «تعدل بين اثنين صدقة»⁽³⁾

والإسلام يربأ بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم، فالظالم مطرود من رحمة الله، ولقد أوعد الله - سبحانه وتعالى - الظالمين بأشد العقوبات؛ قال تعالى: {لَا لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ⁽⁴⁾، وقال الله - تعالى - : {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ⁽⁵⁾ كما تضمنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الأحاديث التي تقر العدل، وتحرم الظلم، منها: قوله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه رضوان الله عليهم: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» ويقول الله - عز وجل - : {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ⁽⁶⁾.

هذه آية من كتاب الله العزيز تأمر بالتعامل بالحسنى والمعروف والعدالة والإنصاف مع كل شخص لم يُعاد المسلمين، أيًا ما كانت عقيدته، ومن هذه الآية وجبت حقوق كثيرة لغير المسلمين على المسلمين، والعدل اسم من أسماء الله الحسنى، وكما يقولون: "العدل أساس الملك"، فالعدل

1- سورة النحل، آية: 90.

2- سورة النساء، آية: 58.

3- إعلام الموقعين عن رب العالمين؛ ابن القيم (3: 3).

4- سورة هود، آية: 18.

5- سورة إبراهيم، آية: 42.

6- سورة الممتحنة، آية: 8.

والإنصاف حقٌّ أوجبهُ الإسلامُ على أتباعه تُجاه الآخرين من غير المسلمين، أيًا ما كانت عقيدتهم، وأيًّا ما كان سلوكهم وتعاملهم معهم. (1)

يقول - تعالى - : {لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (2)، يقول الأستاذ رشيد رضا في تفسيره "تفسير المنار": أي ولا يكسبنكم ويحملنكم بغير قوم وعداوتهم لكم، أو بغضكم وعداوتكم لهم، على عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم بحقهم إذا كانوا أصحاب الحق، ومثلها هنا الحكم لهم به، فلا عُذْرَ لمؤمن في ترك العدل، وعدم إيثاره على الجور والمحاباة، بل عليه جعله فوق الأهواء، وحفظ النفس، وفوق المحبة والعداوة مهما يكن سببهما، فلا يتوهَّمَنَّ متوهم أنه يجوز ترك العدل في الشهادة للكافر، أو الحكم له بحقه على المؤمن. ولم يكتفِ بالتحذير من عدم العدل مهما يكن سببه، والنية فيه، بل أكد أمره بقوله: {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}. (3)

أي: قد فرضتُ عليكم العدل فرضًا لا هوادة فيه، {اعْدِلُوا هُوَ}؛ أي: العدل المفهوم من {اعْدِلُوا}، أقرب لتقوى الله؛ أي لاتقاء عقابه وسخطه باتقاء معصيته، وهي الجور الذي هو من أكبر المعاصي؛ لما يتولد منه من المفساد. (4)

وقال البيضاوي: "لا يَحْمِلَنَّكُمْ شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعدتوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كقذف وقتل نساء وصبية، ونقض عهد؛ تشفيًا مما في قلوبكم، {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}؛ أي: العدل أقرب للتقوى، صرح لهم بالأمر بالعدل، وبين أنه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور، وبين أنه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا العدل مع الكفار، فما ظنُّك بالعدل مع المؤمنين؟! (5)

- 1- (الحوار من أجل التعايش؛ د. عبد العزيز بن عثمان التويجري (ص: 157-158) دار الشروق - القاهرة الطبعة الأولى 1419هـ/1998م).
- 2- سورة المائدة، آية: 8.
- 3- سورة المائدة، آية: 8.
- 4- (42) (تفسير المنار؛ الأستاذ رشيد رضا (6: 226-227) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م).
- 5- تفسير البيضاوي (3: 222)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ).

وقال ابن كثير: "ومن هذا قول عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - لما بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرُص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفُق بهم، فقال: والله لقد جئتم من عند أحب الخلق إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. (1)

والإسلام دين العدل والتسامح والتعايش بين بني البشر، والتعاون على البرِّ والتقوى، ولا ينهى عن الإحسان إلى الناس مهما اختلفت أديانهم، وألوانهم، وأوطانهم، ويصون كرامة الإنسان وحرية في الاعتقاد، والعيش الحر الكريم، فهذا رسول الله في جماعة من أصحابه وأنصاره، وهم مائة وثلاثون رجلاً، يُصيبهم الجوع، وقد مسّت الحاجة إلى الطعام، يمرُّ بهم رجل مُشرك، فيتعامل النبي - صلى الله عليه وسلم - معه معاملة حسنة، ويشترى منه شاةً بثمنها، ولا يُكره الرجل على أن يتنازل عن الثمن، أو يُخفّف منه، والقوة كانت متوافرة لدى النبي - صلى الله عليه وسلم - والحاجة كانت شديدة، والرجل كان كافرًا، ولكن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - كان مطبوعًا على العدل، ومجبولًا عليه، ومأمورًا به {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} (2)، وبالمقابل منه نرى الجيوش الاستعمارية المحتلّة بلاد الإسلام والمسلمين في هذه الأيام قد حوّلت البِقاع الآمنة إلى أتون الحرب والشر؛ فلا يُراعون حرمةً، ولا يحفظون حقًا، بل يعيثون في الأرض فسادًا.

هذا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يأمر مناديه أن يُنادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل نمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس، ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلًا، فقال عمر: ما تقول يا نمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم، كتاب الله أحق أن يُتبع من كتاب الوليد، قم فارُدْ عليه ضيَعته فردّها عليه. (3)

هذا هو العدل والإنصاف الذي حبّب الإسلام والمسلمين إلى غير المسلمين، ومكّنه من قلوبهم، وجعل حكمهم أحبّ إليهم من غيرهم.

1- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1: 565).

2- سورة الشورى، آية: 15.

3- البداية والنهاية؛ ابن كثير (9: 213).

كما نقل البلازري في كتابه فتوح البلدان: أن النصارى في الشام سنة 13 هجرية أرسلوا إلى أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن

كانوا على ديننا؛ أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا. (1)

اشتكى يهودي علياً إلى عمر - رضي الله عنهما - وكان جالساً بجانبه، فقال له عمر: "قم يا أبا الحسن، قف بجانب اليهودي موقف القضاء"، وبعد تبرئة علي باعتراف اليهودي، لاحظ عمر على وجه علي تغييراً، فقال له: "أوقد ساءك أني أوقفك بجانب اليهودي موقف القضاء"، فقال علي: "لا، وإنما خشيت ظنَّ اليهودي مُحاباتي عليه؛ لما ناديته باسمه، وناديتني أبا الحسن"، وهذا عمر - رضي الله عنه - أيضاً يقول في رسالته إلى أبي موسى الأشعري يوصيه: (ساوِ بين الناس في وجهك، وعدلك، ومجلسك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يبيئس ضعيف من عدلك).

وهذه المساواة بين الناس تتمثل في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - واضحة بيّنة: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التَّنَّ» (2).

روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنا عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذ جاء قبطي من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، قال: وما لك؟ قال أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا مني عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إليّ يضربني بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين، وبلغ ذلك عمراً أباه، فخشي أن آتيك، فحبسني في السجن، فانفلت منه، وهأنذا أتيتك، قال أنس - رضي الله عنه -: فوالله ما زاد عمر على أن قال: اجلس، وكتب إلى عمرو يقول: إذا جاءك كتابي هذا، فأقبل وأقبل معك بابنك محمد، وقال للمصري: أقم حتى يأتيك مقدم عمر، فدعا عمرو ابنه، فقال: أأحدثت حدثاً؟ أجريت

1- فتوح البلدان؛ البلازري (ص: 139)، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت عام النشر: 1988 م.

2- سنن أبي داود، رقم: (5116) من حديث عبد الرحمن بن صخر

جناية؟ قال: لا، قال: فما بال عمر يكتب فيك؟ فقدا على عمر، قال أنس - رضي الله عنه -: فوالله إنا عند عمر، إذا نحن بعمر، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه، فقال عمر: أين المصري؟ قال: هأنذا، قال: دونك الدرّة، فاضرب بها ابن الأكرمين، فضربه حتى أثنخه، ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع عنه حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال عمر: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال المصري: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت واشتفيت، يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني، قال عمر - رضي الله عنه -: أما والله لو ضربته، ما حلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدّعه، يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ فجعل عمرو يعتذر ويقول: إني لم أشعر بهذا، ولم يأتني، ثم التفت عمر إلى المصري فقال: انصرف راشداً، فإذا رابك ريب، فاكتب لي (1).

وقد أمر الله - تعالى - عباده المؤمنين بالبرّ مع غير المسلمين والإحسان إليهم:

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} (2) وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين، ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، بل نظرته الكلية لهذا الوجود، الصادر عن إله واحد، المتّجه إلى إله واحد، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي من وراء كل اختلاف وتوزيع، فليتحرك المسلمون العدل في معاملاتهم مع غير المسلمين، ولا يبخسوا من حقوقهم شيئاً، {وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}؛ (3) أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلّة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يُقاتل؛ قاله ابن العربي (4).

ولقد أوجب الإسلام على أتباعه البرّ مع الأبوين، والإحسان إليهما، والتعامل معهما بالحسنى ولو كانا مشركين: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (1). وأمر الإسلام المسلمين أن يؤتوا ذوي القربى، والمساكين، وأبناء السبيل حقوقهم ولو كانوا غير مسلمين:

1- فتوح مصر والمغرب؛ لأبي القاسم المصري، (ص: 195)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: 1415.

2- سورة الممتحنة، آية: 8.

3- في ظلال القرآن، الأستاذ سيد قطب.

4- تفسير القرطبي.

1- سورة الإسراء، آية: 23.

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾⁽¹⁾، هذه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - تقول: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قَرِيشٍ إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصْلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صَالِيهَا».⁽²⁾

وَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾.⁽³⁾

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُوصِي أَصْحَابَهُ بِالْقَبْطِ خَيْرًا؛ حِفَاطًا عَلَى ذِمَّتِهِمْ وَرَحْمَةً، وَيَقُولُ: «إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبْطِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمَةً».⁽⁴⁾

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يَذْكَرُ فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمَةً»، قَالَ النَّوَوِيُّ: وَفِي رِوَايَةٍ: «سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ»، وَفِيهَا: «فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمَةً»، قَالَ الْعُلَمَاءُ الْقَيْرَاطُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُكْثِرُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ، وَالتَّكَلُّمُ بِهِ، وَأَمَّا الذِّمَّةُ، فَهِيَ الْحُرْمَةُ وَالْحَقُّ، وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الذَّمَامِ، وَأَمَّا الرَّحْمُ؛ فَالْكَوْنُ هَاجِرًا أَوْ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الصَّهْرُ؛ فَالْكَوْنُ مَارِيَةً أَوْ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ.⁽⁵⁾

وَيُرْوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَأَى حُلَّةَ سِيْرَاءٍ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ»، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهَا حُلَّةٌ، فَأَعْطَى عُمَرَ مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَوْتِنِيهَا، وَقَدْ قَلْتِ فِي حُلَّةِ عَطَارِدٍ مَا قَلْتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبِسَهَا»، فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخًا لَهُ مُشْرِكًا بِمَكَّةَ.⁽¹⁾

1- سورة الإسراء، آية: 26.

2- صحيح البخاري، رقم: 4913 باب البر والصلة من كتاب الادب من حديث أسماء بنت أبي بكر .

3- سورة الممتحنة، آية: 8.

4- مسند أحمد، رقم: (174/5) من حديث أبي ذر

5- شرح مسلم، للنووي، (97/16).

1- صحيح مسلم، رقم: (2068) من حديث بن عمر

قال النووي: "وفي هذا دليل لجواز صلة الأقارب الكفار، والإحسان إليهم، وجواز الهدية إلى الكفار، والمشركون بمكة كانوا أهل حرب".

أمر الإسلام أتباعه بالإحسان إلى الجار، وحرّم إيذاءه بشيء ولو كان الجار غير مسلم، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة؛ حيث كان له - صلى الله عليه وسلم - جار يهودي، وكان يعودُه إذا مَرِضَ، وحدّد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حقوقَ الجار؛ فعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق جاري عليّ؟ قال: «إنّ مرض عُدته، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنّأته، وإن أصابته مصيبة عزّيته، ولا ترفع بناءك فوق بناءه فتسدّ عليه الريح، ولا تؤذّه بريح قدرك إلا أن تغرّب له منها». (1)

وذهب بعض أهل العلم إلى أن للمسلم تعزية غير المسلم إذا ما مات له قريب، ويقول في تعزيته - إن كان الميت غير مسلم - ما يجوز قوله، مثل: أخلف لكم الله خيراً منه، وأحسن عزاءكم، ولا يدعو له بالأجر، ولا لميته بالرحمة؛ لأنهما ليسا من أهل الأجر والرحمة، وينبغي أن يقصد بذلك كله تأليف قلب غير المسلم على الإسلام، كما للمسلم أن يزور قبر غير المسلم للّعظة، ولا يُسلم عليه، ولا يدعو له، أو يستغفر؛ للحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي، فلم يؤذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها، فأذن لي». (2)

وقد علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقّ العيادة لغير المسلمين، وحقّ إطعامهم عند حاجتهم إلى الطعام، يقول - صلى الله عليه وسلم -: «فكّوا العاني - يعني: الأسير - وأطعموا الجائع، وعودوا المريض». (3)

حُكْم عام يشمل المسلمين وغير المسلمين، ويثني الله - تعالى - على عباده المؤمنين الذين يُطعمون الطعام على حبه المسكين، واليتيم، والأسير؛ قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (1) قال قتادة (2)

1- معجم الطبراني، رقم: (1014). كتاب الجنائز من حديث بهز بن حكيم

2- صحيح مسلم، كتاب الجنائز رقم: (976). من حديث أبي هريرة

3- صحيح البخاري، كتاب فكاك الأسير رقم: (3046) من حديث أبي موسى الأشعري

1- سورة الإنسان، آية: 9.

2- ذكره السيوطي في الدر المنثور (8: 371).

"لقد أمر الله بالأسارى أن يُحسن إليهم، وإنهم يومئذٍ لمشركون"، وقال الحسن: "كان الأسارى مشركين يوم نزلت هذه الآية".

وكان من عادة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقري الضيف ويكسب المعدم من غير المسلمين، ويُعين على نوائب الحق لغير المسلمين، هذه خديجة - رضي الله عنها - حين جاءها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول نبوته وهو يقول: «زملوني، زملوني» (1) قالت: "والله لا يُخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرَّحِم، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر"، انظر هل كان ثمَّ أحد من المسلمين دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعامل معه هذه المعاملة الحسنة؛ من صلة الرَّحِم، وإكرام الضيف، وإكساب المعدم، وإعانة من أصابته مصيبة في ماله؟ وكان العهد أول رسالته ووحى القرآن إليه، ولم تَظهر دعوته بعد، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقوم بعبادة المرضى من غير المسلمين أيضاً؛ فعن أنس - رضي الله عنه - أن غلاماً ليهود كان يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده، فقال: «أسلم» فأسلم، وكان - صلى الله عليه وسلم - يُعامل مُخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء، والأخذ، والعطاء؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين»؛ يعني: صاعاً من شعير (2).

وكان - صلى الله عليه وسلم - يقبل هدايا غير المسلمين؛ كما ورد أنه - صلى الله عليه وسلم - قبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية، امرأة سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ في خيبر؛ حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم، وقد قرَّر الفقهاء قَبُول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب، قال في المغني "ويجوز قَبُول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل هدية المقوقس صاحب مصر" (1).

وحق البرِّ مع غير المسلمين يتمثل في الدعاء لهم من الله بالخير، والرُّشد، والهدى، ودعوتهم إلى ما فيه سعادتهم وكرامتهم في الدنيا والآخرة؛ أعني الإسلام، والتألم لما يعيشونه من الكفر، والجحود، والإلحاد، والتحرُّق له، وقد تجلَّى هذا الخلق الكريم والوصف الجليل في ذات الرسول

1- ذكره السيوطي في الدر المنثور (8: 371).

2- صحيح البخاري، كتاب عيادة المريض رقم: (5657). من حديث أنس

1- صحيح البخاري، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم برقم 2617 من حديث ابي هريره

- صلى الله عليه وسلم - وجاء ذكره في الكتاب المبين: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾⁽¹⁾، وكان - صلى الله عليه وسلم - يمدُّ يده إلى الله بالدعاء لغير المسلمين بالهداية للإسلام، لقد قَدِمَ الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا قد كفرتُ وأبتُ، فادعُ الله عليها، فقيل هلكت دوس؛ ظنًا بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما رفع يديه للدعاء عليها؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم» وجاء الأنصار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله، أخرجتنا نبالُ ثقيف؛ فادع الله عليهم، قال: «اللهم اهدِ ثقيفًا».⁽²⁾

فعادوا فعاد فأسلموا، فوجدوا من صالحي الناس إسلامًا، ووجد منهم أئمة وقادة، ودعا - صلى الله عليه وسلم - أيضًا لأم أبي هريرة قبل إسلامها؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كنتُ أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مُشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أكره، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنتُ أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم اهدِ أم أبي هريرة»، فخرجتُ مستبشرةً بدعوة نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جئتُ فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مُجافٌ، فسمعتُ أُمِّي خَشْفَ قَدَمِيَّ فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلتُ ولبستُ درعها، وعجلتُ عن خمارها، ففتحتُ الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيته وأنا أبكي من الفرح».⁽¹⁾

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، حينما تغلَّب التتارُ على الشام، ذهب ليُكلم "قطوشاه"²

حق غير المسلمين في عصمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم:

فحق الحماية الذي أوجبه الإسلام على أتباعه لغير المسلمين يتضمَّن حماية دمائهم، وأرواحهم، وحماية أعراضهم، وأموالهم أيضًا، فانقق العلماء على عصمة دمائهم، وأرواحهم، كعصمة

1- سورة الكهف، آية: 6.

2- سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين؛ إعداد، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيان، نقلًا عن المغني، لابن قدامة، (13: 200).

1- صحيح مسلم، باب فضائل أبي هريرة رقم: (2491).

1- تاريخ الطبري، (ج - 2).

أعراضهم، وأموالهم؛ لقول الله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقَلُونَ} (1) وقوله - عز وجل - : {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (2)، ولقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا». (3)

والمعاهد كما قال ابن الأثير: أكثر ما يُطلق على أهل الذمة، وقد يُطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب. (4)

وبلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم أنه يحترم ما يعدونه حسب دينهم مالا، وإن لم يكن مالا في نظر المسلمين، فالخمر والخنزير لا يُعدان عند المسلمين مالا متقوماً، ولا يجوز للمسلم أن يملك هذين الشئيين لا لنفسه، ولا لبيعهما للغير، أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم، فهما مالان عنده، بل من أنفس الأموال، كما قال فقهاء الحنفية، فمن أتلّفهما على الذمي غرّم قيمتهما. (5)

شكا أحد رهبان النصارى في مصر إلى الوالي أحمد بن طولون أحد قواده؛ لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغاً من المال بغير حق، فما كان من ابن طولون إلا أن أحضر هذا القائد وأنبه وعزّره وأخذ منه المال، وردّه إلى النصراني، وقال له: لو ادّعت عليه أضعاف هذا المبلغ لألزمته به، وفتح بابه لكل متظلم من أهل الذمة، ولو كان المشكو من كبار القواد وموظفي الدول (1).

ويحمي الإسلام عرض الذمي وكرامته، كما يحمي عرض المسلم وكرامته، فلا يجوز لأحد أن يسبّه، أو يتهمه بالباطل، أو يُشنع عليه بالكذب، أو يغتابه، ويذكره بما يكره، في نفسه، أو نسبه، أو خلقه، أو خلقه، أو غير ذلك مما يتعلّق به.

فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيّع ذمّة الله - تعالى - وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذمة دين الإسلام.

1- سورة الأنعام، آية: 151.

2- سورة المائدة، آية: 32.

3- صحيح البخاري، كتاب الديات باب إثم من قتل نمياً بغير ذنب رقم: (3166) من حديث عبد الله بن عمرو .

4- فيض القدير (6: 153).

5- التعامل مع الآخر؛ إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، (ص: 103)، نقلًا عن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي؛ يوسف

القرضاوي (ص: 15).

1- المصدر السابق (ص: 21-22).

علاقة المسلم بغير المسلم من جانب المعاملات:

حفظ الكرامة الإنسانية في الإسلام:

الناس في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط، وهم أبناء العائلة الإنسانية، ويُوفّر الإسلام لهم جميعاً الحقّ في العيش والكرامة، دون استثناء أو تمييز؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} 1 والاختلاف الذي يوجد في أفراد العائلة الإنسانية من حيث اللون والجنس واللغة - آية من آيات الله تعالى؛ كما قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} 2 وهذا الاختلاف ليس مدعاة للتنافر والتناكر، بل هو سبب للتعرف والتعاضد والتعاون على الخير والبرّ والتقوى؛ كما تحدّث عنه القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} 3.

لقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يُراعوا الكرامة الإنسانية التي وهبها الله - تعالى - للإنسان فضلاً منه ورحمة، ولم يُفرّق فيها بين المسلم وغير المسلم، وهو يؤكّد على أن الناس كلهم أبناء أب واحد وأم واحدة، كما نادى به الرسول - صلى الله عليه وسلم - في خطبته لحجة الوداع مُدوياً ومجلجلاً: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا هل بلغت». (1)

إن الإنسان في نظر الإسلام مُكرّم، بصرف النظر عن أصله، وفصله، دينه وعقيدته، مركزه وقيّمته في الهيئة الاجتماعية، فقد خلقه الله مُكرّماً، ولا يملك أحد أن يُجرّده من كرامته التي أودعها في جبلته، وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله، وبمحمد بن عبد الله رسول الله ونبيه، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين

1- سورة الإسراء، آية: 70.

2- سورة الروم، آية: 22.

3- سورة الحجرات، آية: 13.

4- مسند الإمام أحمد، باب شعب الإيمان برقم 23489 من حديث جابر بن عبد الله

له، فالكرامة البشرية حقٌّ مشاعٌ يتمتع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف.

لقد قامت مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيمه كلها على احترام الكرامة الإنسانية، وصونها، وحفظها، وعلى تعميق الشعور الإنساني بهذه الكرامة، وما دامت الرسالة الإسلامية تتغيًا في المقام الأول سعادة الإنسان وصلاحه، وتبتغي جلب المنفعة له ودرء المفسدة عنه، فإن هذه المقاصد الشريفة هي منتهى التكريم للإنسان بكل الدلالات الأخلاقية، والمعاني القانونية للتكريم (1).

لقد أمر الإسلام أتباعه بالمحافظة على كرامة غير المسلمين، ومراعاة مشاعرهم، ونهى عن جرح عواطفهم؛ فقال الله - عز وجل - : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (2)، وقال - عز وجل - : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (3)، نهى صريح عن النيل من الآلهة التي يعبدونها المشركون من الوثنيين والبوليين، وكل هذا صوتاً لكرامة الإنسان، وحفاظاً على حرّيته، واحتراماً لمشاعره؛ يقول الإمام القرطبي عند تفسير هذه الآية الكريمة: لا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية (4).

وحفظ الكرامة الإنسانية يتجلى لنا في التعامل النبوي مع غير المسلمين حتى مع الأموات منهم؛ فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: مرّ بنا جنازة، فقام لها النبي - صلى الله عليه وسلم - وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي؟! قال: «إذا رأيتم الجنازة، فقوموا» وفي رواية: فقال - صلى الله عليه وسلم - : «أليست نفساً؟». (1)

1- كتاب الحوار من أجل التعايش، د. عثمان عبد العزيز التويجري، ص. 126 _ 127.

2- سورة العنكبوت، آية: 46.

3- سورة الأنعام، آية: 108.

4- تفسير القرطبي 7. 61.

5- صحيح البخاري، باب الجنائز رقم 1311 _ 1312 من حديث جابر بن عبد الله.

التعامل مع غير المسلمين في الإسلام:

إن دعوة الإسلام للتعامل الحسن مع غير المسلمين، القائم على البرِّ، والقسط، والإحسان، نستطيع أن ندرك ما شرع الإسلام من حقوق وواجبات، ألزم المسلمين القيام بها نحو إخوانهم المواطنين غير المسلمين، لقد سوَّى الإسلام بين المسلمين وغيرهم، فأعطى للذميين في المجتمع الإسلامي الحقوق نفسها التي للمسلمين، وحقَّ لهم أن يعيشوا آمنين على أنفسهم، وعلى أموالهم، وعلى أعراضهم، بل ويتمتعون بالبرِّ والإحسان، وفي ذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»¹ ويقول - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ قَذَفَ ذَمًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَيَاطِطٍ مِنْ نَارٍ»، «مَنْ آذَى ذَمًّا فَإِنِّي خَصَمُهُ وَمَنْ كُنْتُ خَصَمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»².

يقول عبد الله بن عبد المحسن التركي في كتاب حقوق الإنسان في الإسلام: تُعدُّ المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس، والألوان، واللغات، مبدأً أصيلاً في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره، قائماً في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية، أو الفارسية، أو الرومانية، إذ كان سائداً تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك، تبعاً لوضعها الاجتماعي المتدني، وكانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقير، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات، مثل المجتمع الهندي، كان يعرف طائفة المنبوذين، وكان محرماً على أفراد الطبقة أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تُتيح لهم ذلك. (1)

إن الإسلام دين يدعو إلى كل خير، وينهى عن كل شر؛ يدعو إلى الإحسان إلى الناس كافة، والتعامل معهم بالحسنى؛ على أساس أن الجميع عيال الله وخلقه تعالى، وأن أحبَّ الخلق إلى الله أنفعهم وأجداهم لعياله؛ لذا أمر الرب - عز وجل - عباده - والناس كلهم عباده طوعاً أو كرهاً أن يقولوا التي هي أحسن وأطيب؛ يقول - عز وجل - «لَوْ قُلَّ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا»⁽²⁾، يريد الربُّ - عز وجل - أن

1- أخرجه الترمذي وقال: " حديث حسن " و أحمد (440/5 و 441 و 444) من طرق عن عطاء بن السائب عنه

2- (أخرجه البغدادي في تاريخ بغداد) 4. 34.

1- حقوق الإنسان في الإسلام؛ عبد الله بن عبد المحسن التركي (ص: 68-69)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

2- سورة الإسراء، آية: 53.

يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَبَّصُ بِهِمُ الدَّوَائِرَ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَنْزِعَ بَيْنَهُمْ، وَيَجْعَلُهُمْ عُرْضَةً لِلْخِصَامِ، وَالْجِدَالِ، وَالسَّبَابِ، وَالْقِتَالِ، فَالْقَوْلُ الْحَسَنُ - الَّذِي هُوَ أَصْلُ التَّعَامُلِ وَأَسَاسُهُ - يُسَبِّبُ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ، وَيُعَقِّبُ الرَّحْمَةَ وَالْمُودَةَ فِي الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (1)، فَلنَتَأَمَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدَّمَ الْقَوْلَ الْحَسَنَ لِلنَّاسِ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَنُدْرِكُ أَهْمِيَّةَ التَّعَامُلِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفَضْلَهُ عَلَى سَائِرِ أَحْكَامِ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَعِنْدَمَا ذَكَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ وَمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ صِفَاتٍ حَسَنَةٍ وَأَخْلَاقٍ طَيِّبَةٍ، ذَكَرَ فِي مُقَدِّمَتِهَا وَطَلِيْعَتِهَا: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (2)، {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}، يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ الْجَاهِلُ بِالسِّيِّئِ، لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ، بَلْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَأَكْمُ أَعْمَالِكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} (3).

وَالْإِسْلَامُ لَا يُفَرِّقُ فِي التَّعَامُلِ الْحَسَنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِ، سِوَاءَ كَانَ مُشْرِكًا، أَوْ يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، أَوْ مَجُوسِيًّا؛ حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ...» (1) الْحَدِيثُ، وَصِيَّةٌ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ بِاللُّغَةِ، وَدَعْوَةٌ مِنْهُ صَارِمَةٌ، إِلَى التَّعَامُلِ الْحَسَنِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ، وَاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ، وَأَدْيَانِهِمْ، بِالرَّحْمَةِ وَالْأَلْفَةِ، وَالْمُودَةِ وَالرَّفَافَةِ، وَيَضْمَنُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْقَائِمِينَ بِهَذَا التَّعَامُلِ الْحَسَنِ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَخْبَرَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَيُؤْذِنُونَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؛ يَقُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا». (2)

1- سورة البقرة، آية: 83.

2- سورة الفرقان، آية: 63.

3- سورة القصص، آية: 55.

1- مصنف بن أبي شيبة باب الادب من حديث عبد الله بن عمرو، رقم (24852).

2- صحيح مسلم، رقم (2613). من حديث هشام بن عروه

ولقد أوصى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالإحسان إلى كل شيء، قريباً كان أو بعيداً، مسلماً كان أو غير مسلم، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «في كل كبد رطبة أجر»⁽¹⁾ وجعل - صلى الله عليه وسلم - كلَّ جُهدٍ وسَعْيٍ يبذله الرجل المسلم فيستفيد منه إنسان، أو دابة، أو طائر، إلا كان له صدقة؛ يقول - صلى الله عليه وسلم -: «ما من مسلم غرس غرساً، فأكل منه إنسان أو دابة، إلا كان له صدقة»⁽²⁾. والإسلام لا يسمح لأتباعه بسوء التعامل مع الطير، أو الحيوان، فضلاً عن الإنسان، روى ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى حُمرة - وهي طير صغير - تفرش لما أخذ بعض الصحابة ولدها، فقال: «مَنْ فَجَع هذه بولدها؟! رُدُّوا ولدها إليها»⁽³⁾.

ولننظر فيما حكى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قصة امرأة زانية تُعامل كلباً معاملة حسنة، فتستحقُّ المغفرة والرحمة عند الله - عز وجل -: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «غُفِرَ لامرأة مومسة مرَّت بكلب على رأس ركيٍّ يلهت، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خُفها فأوثقت به بخمارها، فنزعت له من الماء، فغُفِرَ لها بذلك»⁽⁴⁾.

وأوعد النبي - صلى الله عليه وسلم - على سوء التعامل حتى مع الحيوان، فضلاً عن الإنسان؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «عُذِّبَت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار»، قال: فقال - والله أعلم -: «لا أنتِ أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنتِ أرسلتها فأكلت من خَشَائش الأرض»⁽¹⁾؛ لذا أوجب الإسلام على المسلم حقوقَ الحيوان من الإنفاق عليه، والرعاية له بما يحتاج إليه.

1- صحيح مسلم، كتاب الاوسط في السنن من حديث هشام بن حكيم رقم (2244).

2- صحيح البخاري، في كتاب المسقاه والمظالم والادب رقم (6012)، وصحيح مسلم، باب السلام من حديث أبي ذر رقم (1552).

3- سنن أبي داود، من حديث عبد الله بن مسعود رقم (2675).

4- صحيح البخاري، باب آداب المشي من حديث أبي هريره رقم (3321).

1- صحيح البخاري، باب موسوعة الاخلاق من حديث عبد الله بن عمر رقم (2365).

فهل يسوغ لإنسان بعد دراسة هذه النصوص الواضحة المشرقة أن يقول من عند نفسه ظناً بغير علم: إن الإسلام دين يُملي على أتباعه الإرهاب، وسفك الدم، وقتل النفس؟!!

كلا والله، إنها فرية افتراها المغرضون من أعداء الإسلام، وأعداء الإنسانية في مختلف العصور والدهور، لقد أقرَّ الإسلام لغير المسلمين حقوقاً، وألزم أتباعه القيام بها على أتمه وأحسنه، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة بهذا الصدد؛ فهو الرحمة المهداة، والنعمّة المسداة، لقد تعامل - صلى الله عليه وسلم - مع جميع غير المسلمين من المشركين، والمجوس، وأهل الكتاب من النصارى واليهود المعاملة الحسنة، التي تحار منها العقول؛ فقال - صلى الله عليه وسلم - «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»⁽¹⁾، وكلمة (الناس) لفظة عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دين؛ قال ابن بطّال فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن، والكافر، والبهائم، المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام، والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب".

تعامل المسلم مع غير المسلم من ناحية الأخلاق:

إن للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان، وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معانٍ وصفات، وما أصدق كلمة الإمام الغزالي إذ يقول في إحيائه: "فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة؛ فأفعال الإنسان، إذن موصولة دائماً بما في نفسه من معانٍ وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب.

ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه؛ لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع، كما قال - تعالى - : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾⁽¹⁾.

(ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس، وتقويم سلوكهم، وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتركيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر، ورخاء

1- صحيح البخاري، باب موسوعة الاخلاق . من حديث جرير بن عبد الله رقم (7376)

1- سورة الأعراف، آية: 58.

وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معانٍ وصفات، قال تعالى: {إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم}.⁽¹⁾

وتظهر أهمية الأخلاق أيضاً من ناحية أخرى، ذلك أن الإنسان قبل أن يفعل شيئاً أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضياً مقبولاً انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكشفت النفس عنه، وكرهته وأحجمت عنه تركاً كان أو فعلاً.

إن المسلم الذي يعرف دينه حق المعرفة هو إنسان إيجابي، يتحرك في المجتمع الذي يحيا فيه بما ينفع نفسه وينفع الدنيا من حوله، المسلم الحق كالغيث، حيثما وقع نفع، أو كالوردة حيثما وضعت فاحت رائحتها الطيبة يشمها الجميع ويحس بها الجميع.

أما المسلم الذي ينعزل عن الناس ولا يحس بدوره، ولا يحس الناس به، فهو بعيد عن فهم حقيقة الدين. أقول هذه الكلمات بين يدي الموضوع الذي أريد أن أتحدث به في هذه الأسطر، وهو أخلاق المسلم في بلاد الغرب، كيف يستثمرها أعظم استثمار، ينفع به نفسه وينفع البشرية كلها. لا بد أن نقول أولاً، إن إقامتنا في هذه البلاد هي بمقتضى عقد مع هذا المجتمع، وإن لم تكن في صورة العقود الرسمية، لكن الإقامات التي منحت أو الجنسيات التي اكتسبت هي عبارة عن عقد مع هذا المجتمع، والمسلم أولى الناس بالوفاء بالعقود، فانه تبارك وتعالى يقول: {ربأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود} فالوفاء بالعقود واجب محتّم على كل مسلم.

المسلم أيضاً حيثما كان مطالب بقول الله - عز وجل - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}⁽¹⁾ فلا يكتفي المسلم بالإيمان والركوع والسجود من غير أن يكون فعالاً للخيرات، قائماً بما أوجب الله عليه من نفع الدنيا من حوله، هكذا المسلم لا يفهم الإسلام على أنه تسبيحات وأذكار وصلوات فقط، لكن التسبيح والذكر والصلاة يخلق منه شخصية عملية، شخصية تراقب ربها في كل تصرف، وتتحرك بالخير في المجتمع الذي تحيا فيه، أيا كان هذا المجتمع، ويسع الناس بأخلاقه.

الآن في واقعنا، تجد الناس فريقين، فريقاً يرى أنه لا يكون مسلماً إلا إذا عاش كما يعيش في

1- سورة الرعد، آية: 11.

1- سورة الحج، آية: 77.

بلاد الإسلام بطريقة مخالفة تماماً لهذه البلاد، والآخر يرى أنه لا حق له في الحياة ما لم ينسلخ من دينه ويعيش كما يعيش الناس من دون أخلاق، وهذا وذاك على خطأ عظيم.

إنما جاء الإسلام ليستفيد من الصالح الموجود، ويصلح الفاسد، ويهذب الأخلاق بين الناس لم يأت الإسلام ليقول اقبلوا الطاولة، إنما جاء فانقضى كل خير كان موجوداً في المجتمعات التي جاء فيها.

إن تعاليم الإسلام علمتنا مكارم الأخلاق.

أولاً: تعريف مكارم الأخلاق:

هي السجية والطبع والمروءة والدين كما أنها حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية .

ثانياً: أهمية مكارم الأخلاق:

1- حقيقة دعوة الرسول: روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال عليه السلام: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي رواية: «صالح الأخلاق». (1)

وقال تعالى: {ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويُعلمهم الكتاب والحكمة ويُزكّيهم إنك أنت العزيز الحكيم} (2)

وقال عز وجل: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزكّيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} (1).

فضل مكارم الأخلاق:

- فالنبي - صلى الله عليه وسلم - ضامن بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه. 2
- «أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق». 3

1- أخرجه البخاري في باب الادب المفرد من حديث أبي هريره برقم 881

2- سورة البقرة، آية: 129.

1- سورة الجمعة، آية: 2.

4- رواه أبو داود برقم 4169 من حديث صدى بن عجلان .

5- رواه أبو داود كتاب الرقائق من حديث ابى هريره رقم 7989

• أقرب الناس من المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً». 1

• بل كان ذلك أحد أبرز مهام البعثة النبوية «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». 2

وهذه الأخلاق تشمل المسلم والكافر: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. فحسن الخلق لجميع الناس مسلمهم وكافرهم ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». 3 والناس تشمل المسلم والكافر.

ويقول تبارك وتعالى في بيان شافٍ في التعامل مع الكفار ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (4) أَنْ تَبَرُّوهُمْ؛ أي: تحسنوا إليهم، فالبر هو الإحسان، والخير الوفير.

عن أسماء بنت أبي بكر، - رضي الله عنهما - قالت: قَدَمْتُ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أُمِّي قَدَمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصْلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صَلِّي أُمَّكَ». 5

وكما أن حسن الخلق مع الكافر يظهر له الدين بوجهه المشرق، ويحبه في تعاليمه وشرائعه، فإن سوء الخلق مدعاة للنفور من الدين وأهله.

روى الحاكم عن سهل بن سعد مرفوعاً:

«إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها».

روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب الأخلاق، ويكره سفاسفها». معالي

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن طلحة بن عبيد الله مرفوعاً: «إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها».

6- رواه المنذرى من حديث جابر بن عبد الله برقم 3.354.

7- رواه البخارى فى باب الادب المفرد برقم 881

8- . - الترمذي برقم 1987 من حديث أبي ذر

1- سورة الممتحنة، آية: 8.

2- رواه البخاري، كتاب الادب باب البر والصله من حديث أسماء برقم 5634

بمكارم الأخلاق يرتفع أقوام ويُحطُّ آخرون بتضييعها، مثل: إبليس: قال الله - تعالى - فيه: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين}. (1)

المجتمعات العربية كان فيها الخير والشر، وكانت فيه قيم نافعة وقيم فاسدة، فجاء الإسلام فعزز القيم النافعة، ودعا إليها وشارك النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض أوجه النشاط في هذا المجتمع، شارك النبي في حلف الفضول، وهو حلف اجتمع فيه جماعة من كبراء قريش ووجهائها، وأهل الفضل فيها على أن ينصروا المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه، فحضر النبي هذا الحلف وشارك فيه وكان يقول بعد أن بعثه الله بالرسالة: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جذعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت». وهذا يشبه الآن التجمعات التي تسمى التجمعات المدنية، هيئات ومؤسسات تكون مهامها الوقوف مع المظلوم، الوقوف مع من يتم التمييز ضده، الوقوف مع كل صاحب حق حتى ترد الحقوق إلى أصحابها فالنبي - صلى الله عليه وسلم - جاء وتفاعل مع أشياء طيبة كانت موجودة في ذلك المجتمع. الإسلام جاء ليقول في أي مجتمع هناك قيم نافعة، عززوها، وهناك أخلاق وقيم فاسدة، اعملوا على إصلاحها وعلى تغييرها لصالح البشرية، وهذا ما يجب أن يفهمه المسلم في هذه البلاد. لا ينبغي أن نعيش معزولين، مثلما أنه لا ينبغي أن نذوب ذوباناً، إنما نحن أمة هدانا الله إلى الحق والنور، ومن حق البشرية علينا أن تستضيء بهذا النور.

فمن واجبنا أن نندمج مع هذا المجتمع في كل نواحي الخير، وأن نشارك في كل الأنشطة الفعالة التي تخدم الإنسان، وعلينا أن نعلم أن فعل الخير ليس هو الصلاة والزكاة فقط، بل المشاركة الإيجابية في التخفيف عن المظلوم، وفي تقريج الكرب عن المكروب أياً كان؛ لأن الإسلام لم يقل للمسلم لا تخدم إلا مسلماً، كلا، بل الإسلام يقول للمسلم: كن خيراً للدينا من حولك.

المسلم كنهر ماء حيثما جرى انتفعت به البشرية من حوله، حيثما عاش، عاش بأخلاق الإسلام، وآداب الإسلام مع المشاركة الإيجابية في فعل الخير في المجتمع الذي يحيا فيه، هذا هو واجب المسلم في هذه البلاد بصورة بسيطة بلا تعقيد ولا فلسفة. الأمر الثاني، أننا في هذه البلاد أصحاب رسالة، البعض يتصور نفسه مجرد إنسان جاء ليأخذ شيئاً من المال، ويعيش في ظروف جيدة وكفى، وهذا خلل وخطأ، فالمسلم يستثمر وجوده في

1- سورة البقرة، آية: 34.

هذه البلاد ليقدّم صورة الإسلام الصحيحة في شكل عملي، كما قدمها الصحابي جعفر بن أبي طالب عندما هاجر إلى الحبشة، وكانت الحبشة مملكة نصرانية، استضافت جعفر وإخوانه الفارين من جحيم الشرك، ولم يكن جعفر فيها لا شخصاً منعزلاً ولا مستغلاً، وإنما كان صاحب رسالة، استغل وجوده في الحبشة فأظهر حقيقة الإسلام، واستطاع بذكائه وحسن تعامله أن يقنع النجاشي ملك الحبشة بالإسلام، والذي مات مسلماً على يد جعفر بن أبي طالب، وصلى النبي عليه صلاة الغائب، والسؤال هنا كيف أسلم النجاشي؟ وكيف استطاع جعفر أن يغير ملكاً في زمانه، كيف غيره؟ شارك معه، كان جعفر وإخوانه من المسلمين في الحبشة، فتعرض النجاشي لمؤامرة لإقصائه عن الملك، فلم ينسَ جعفر وإخوانه أن لهذا الرجل فضلاً عليهم، فكانوا معه في إعادته مرة أخرى إلى سدة الحكم.

ألا يدل هذا على أن المسلم يجب أن يشارك في العملية السياسية في البلاد التي يحيا فيها ليرفع من كان مدافعاً عن الحق ونصيراً للمظلومين؟ أليست هذه صورة واضحة؟ هكذا كان جعفر الفقيه الذي فهم دينه، وفهم دوره، وحقق صورة عملية للمسلم في بلاد غير إسلامية. لسنا مطالبين بأن نطبق الإسلام في هذه البلاد، لكننا مطالبون بأن نقدم صورة الإسلام الحقيقية، في سماحته، في رحمته، في أخلاقه في تعاونه، وبنائه، الإسلام الذي يبني ولا يهدم، يعمر ولا يدمر، يمد يده لكل من يتعاون في الخير ولا يقبض يده، يساعد في فعل الخيرات لو افعلوا الخير لعلمكم تفعلون⁽¹⁾ هذا هو واجبنا في هذه البلاد، وهو واجب لا يقل أهمية عن الصلاة والصوم والزكاة، لكن كيف نحقق هذه المعاني؟

لا بد أولاً من العزيمة والإرادة وصدق النية، مع أخلاقنا الحسنة؛ كي نحقق رسالتنا في هذه الحياة، ونحقق السلام في المجتمع الذي نحيا فيه.

هناك قيم لا خلاف عليها بين المسلم وغير المسلم: العدالة، والحرية، والأخلاق، والانتصار للمظلوم، ومساعدة الضعيف، والأخذ بيد الفقير... إلخ ذلك، كلها قيم مشتركة، وعلينا أن نشارك في هذه القيم حتى نقدم للآخرين الإسلام الحقيقي، وحتى ينجح هذا العمل، لا بد من أمرين أساسيين:

الأمر الأول: دعم المؤسسات الإسلامية القائمة في هذه البلاد حتى تؤدي دورها، تدعيمها

1- سورة الحج، آية: 77.

بالرجال، تدعيمها بالأموال، تدعيمها بالأفكار، والدفع بها إلى المشاركة العملية في هذا المجتمع. فلا بد من تدعيم المراكز والجمعيات والمساجد حتى تقوم بدورها في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، ولا تكتفي بالخطب والمواعظ داخل جدران المسجد، بل تتقدم إلى المجتمع خارج هذه الأبواب لتقدم صورة الإسلام الحقيقية، وتكشف عن جمال الإسلام الذي يقول: {بأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}.

(1)

الأمر الثاني: العمل على إنشاء مراكز جديدة، سواء كانت تعليمية أم ترفيهية، ولا أدري ما الذي يجعل كثيرًا من أصحاب الأموال من المسلمين يستثمرون أموالهم فقط في محلات الأطعمة والأشربة، ولا يستثمرون أموالهم في إنشاء مؤسسات تعليمية خاصة أو ترفيهية تلتزم بقيم الإسلام.

ما الذي يمنع أن يقوم جماعة من ذوي المال ببناء مدرسة، تستوعب المسلم وغير المسلم؛ لكي تحافظ على السمات الأخلاقية للمسلم، ما الذي يمنع أن يقوم جماعة من ذوي المال بإنشاء مركز للشباب، بكل أنشطته المختلفة.

لا بد أن نعرض للآخرين الإسلام بصورة صحيحة، وأن نتقدم خطوة عملية، نقدم فيها الإسلام على صورته الحقيقية. البشرية إذا عادت إلى قيم الإسلام وانتشرت فيها أخلاق هذا الدين، فستعيش أسعد حياة.

فما أخرج هذه المجتمعات إلى قيم الإسلام الحقيقية، لكن على أن يقدمها أناس مخلصون مؤمنون بهذه الرسالة.

المبحث الثالث

تحليل الاندماج الفكري وآثاره الإيجابية والسلبية

تعريف الاندماج لغتياً واصطلاحاً من حيث الذوبان والانعزال:

الاندماج التعريف والتأصيل:

الاندماج في لغة:

جاء في مختار الصحاح دمج الشيء أي دخل في غيره، واستحكم فيه، وأدمج الشيء لفه في ثوبه، وفي القميص المحيط دمج دمجاً دخل في الشيء، واستحكم فيه كأندمج وادمج قال: والتدامج التعاون.⁽¹⁾

وكذلك في لسان العرب⁽²⁾ يقول اندمج وادمج بتشديد الدال إذا دخل الشيء في الشيء واستتر فيه، وأدمجت الشيء إذا لففته في ثوب.

وجاء في القواميس الغربية تعريف كلمة Integrate: أن تجمع شيئين إلى حد أنهما يعملان معاً، أو تجعل شخصاً مقبولاً كعضو في جماعة اجتماعية خاصة إذا كان هذا الشخص ينتمي إلى ثقافة مختلفة.⁽³⁾ من الملاحظ أن التعريفات اللغوية تصب في قالب واحد، ألا وهو جعل الشيء المراد دمجاً في الآخر كأنه لم يكن، حيث يفقد خواصه ومميزاته، ولذلك جاءت التفسيرات اللغوية بمعنى دخل في غيره واستحكم فيه، وهذا المعنى ما توحىه كلمة الاندماج، أما التدامج فهو تفاعل؛ ولذلك جاء في القاموس المحيط بمعنى التعاون، وهذا المعنى غير مستعمل في موضوعنا هذا على الساحة على الأقل في كثير من الأقطار، وإن كنا نأمل أن يكون هو المراد لا المعنى الأول.

1- القاموس المحيط، ج1 باب الميم، فصل الدال.

2- لسان العرب ج2، ص275.

3- Oxford Dictionary p 675.

الاندماج اصطلاحاً:

مصطلح الاندماج يستخدم في كثير من العلوم كعلوم اللغة، والتربية، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، وعلم النفس، وما يهمننا في هذا البحث هو مدلول اللفظ عند علماء الاجتماع، وهم يعنون به دائماً:

إعادة تكوين كيان ما أو وحدة ما، من خلال ربط عدد من البشر؛ لتشكيل وحدة اجتماعية أو ثقافية. 1

يعيش المسلمون في دول الغرب حالة من الصراع بين الحفاظ على هويته الإسلامية التي تتمتع بخصوصية، وبين الاندماج في مجتمع يتعارض في كثير من أساليب معيشتة ومعتقداته مع ما ترسخ في داخل المسلمين حول هذا التحدي وكيفية التعاطي معه.

إنّ المسلمين في أوروبا يسعون من خلال المؤسسات الإسلامية للتواصل مع المجتمع وخاصةً الفئات المؤثرة من مفكرين ووسائل الإعلام، إلا أنّ هناك صعوبات تواجه عملية اندماج المسلمين في بعض المجتمعات الأوروبية، خاصة أنّ الاندماج يعني الإذابة والانسلاخ.

فالمسلمون لا يمكنهم أن يندمجوا في سياق المجتمع إلا إذا تخلوا عن الكثير من مقومات شخصيتهم وهويتهم الإسلامية؛ لذلك طرحنا مصطلح الاندماج الإيجابي بأن يتفاعل المسلمون مع المجتمع، ويكون لهم دور في خدمته، ولكن في الوقت نفسه يحافظون على هويتهم وشخصيتهم، وهم في هذا مثل غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، علماً بأنّ قوانين الأنظمة العلمانية لا تمنع محافظة الإنسان على دينه، وأن يكون له شعائره وتطبيقاته والتزاماته.

إننا لا نرفض الاندماج؛ لأننا أيضاً نعتقد أنّ المسلمين من واجبه ومن مصلحتهم أن يندمجوا في مجتمعاتهم؛ لأنّ عدم الاندماج معناه أن نعيش خارج المجتمع، أو على هامشه، فهذا ليس فيه لا مصلحة للمسلمين ولا مصلحة للمجتمع.

نريد أن يكون المسلمون جزءاً من هذا المجتمع يتفاعلون معه ويعملون لصالحه، كما هم يستفيدون من وجودهم فيه كمواطنين.

1- نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، د. موسى رشيد حتملة، كلية الدراسات العربية والإسلامية- دبي (مجلة المجتمع)، رابط: <http://www.majma.org.jo/G05/05/04/06>

على أن المسلم يمكنه أن يعيش بدينه وبإسلامه في مجتمع غير إسلامي، بل نحن نقول تاريخياً المجتمع الإسلامي الأول الذي بناه النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة كان مجتمعاً تعددياً، وكلنا نعلم دستور المدينة الذي أقرّ فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - حقوق المواطنة لكل أهل المدينة.

والمجتمع الغربي نفسه يتعود على التعامل مع المسلمين، ومعرفة ما لديهم من عادات، وأعراف، وأعمال، وممارسات.

إلا أن هناك بعض الدول في أوروبا تلجأ إلى تعديل قوانينها للتضييق على المسلمين، فعلى سبيل المثال صدر العديد من الأحكام لصالح المحجبات والمنتقبات، إلا أنه قد تم تعديل القوانين مما يمثل إشكالاً كبيراً.

إنّ الدول الأوروبية التي سعت وما زالت تسعى لصناعة بعض الوجوه التي يراد لها أن تكون ناطقة باسم الإسلام والمسلمين، وهي في الأساس بعيدة ومنفصلة ومنقطعة عن واقع المسلمين باءت بالفشل،⁽¹⁾ فالمسلمون من حقهم أن يعيشوا في مجتمع ديمقراطي مفتوح، وأن يكون من يمثلهم منبثقاً منهم.

إنّ مثل هذه المحاولات الغربية لا تحصل مع أصحاب الأديان الأخرى، فلا تتجرأ هذه الدول أن تتدخل في الشأن الديني للطوائف الأخرى، ولكن مع الأسف تسمح لنفسها وتجد من بين المسلمين من يتجاوب معها لتحقيق مصالح معينة.

إلا أنه بالرغم من أن عدد الذين يقومون بالدعوة والتعليم والتربية والتوجيه أقل بكثير مما تدعو إليه الحاجة، إلا أن المسلمين في أوروبا يشهدون نوعاً من الصحو والالتزام بالإسلام.

إنّ بعض الحملات التي تشنّ من حين لآخر في الإعلام، أو من قبل بعض الأحزاب العنصرية يكون له أحياناً أثرٌ عكسيٌّ؛ حيث ينتبه المسلمون أكثر إلى العودة إلى أصولهم.

بل وجد الذين يعتقدون الإسلام من تلك الحملات المغرضة العنصرية سبباً يدعوهم إلى التفكير، والنظر فيبحثوا عن الإسلام ويكون ذلك سبباً لهدايتهم.

1- علم الاجتماع السياسي، أ. د. إبراهيم أبراش (الناشر دار الشروق للنشر والتوزيع - ط1 1998).

إنَّ الوجود الإسلامي في الغرب يحتاج إلى دعاة يفقهون الإسلام، ويدركون حقيقة الواقع حتَّى يقدم الإسلام بالأسلوب المناسب الذي يمكن أن يحقق للمسلمين تواصلاً مع مجتمعاتهم، لا نريد أن ينفصل المسلمون عن المجتمع؛ لأنَّ هذا الانفصال فيه خطورة عليهم.

ويواجه المسلمون في الغرب في سبيل تحقيق الرغبة في التعايش، والاندماج دون ذوبان في المجتمع، مع الحفاظ على ثقافتهم وهويتهم الإسلامية، الكثير من التحديات، من بينها:

اللغة، التي تعد المفتاح الأساسي لتحقيق ذلك، فاللغة هي وسيلة التواصل والاتصال، وتبادل الرؤى والأفكار بين الأفراد والمجتمعات، إذ تعتمد عليها كل الثقافات في انتقالها والتعرف عليها، فتعلم لغة الدولة التي تستقر فيها الجاليات المسلمة تيسر لهم القيام بواجباتهم وعلاقاتهم بالآخرين أفراداً ومؤسسات، وكذلك حصولهم على مطالبهم وحقوقهم.

لكن أدى غياب اللغة إلى صعوبة تواصل واتصال، وتكيف وتأقلم المسلمين مع مكونات المجتمعات المستقرين فيها، وبخاصة المهاجرون من الجيل الأول والثاني، وقد أدى ذلك إلى انعزالهم وتوقعهم لحد كبير عن المجتمع الغربي.⁽¹⁾

كما أن تحدي البطالة، وصعوبة الحصول على فرصة عمل، ونوعيته، وطبيعته، وارتباطه بالمكانة والتأثير في المجتمع، وصياغة القرارات، قد أسهم أيضاً في صعوبة اندماج الجالية المسلمة خاصة مع تزايد صور الإساءة للإسلام والمخاوف من تشغيل المسلمين وافتقارهم لمهارات سوق العمل؛ لهذا فقد اتجهت الغالبية منهم للعمل في الأنشطة التجارية.

ومن القضايا الأخرى المهمة المرتبطة بتحدي الاندماج في المجتمع الغربي، التي تشهد جدلاً واسعاً، قضية الأئمة وخطابهم الديني، فقدوم معظم الأئمة من خارج دول الغرب، ومعرفتهم المحدودة بلغة وثقافة الغرب، وخطابهم الديني الذي لا يتماشى مع عوامل الزمان والمكان، قد جعل من الصعب عليهم توصيل رسالتهم وأفكارهم بسهولة حول الكثير من القضايا الدينية والفكرية المستجدة في الغرب، وبخاصة تواصلهم مع الأجيال الجديدة من أبناء المهاجرين.

كما أن الكثير من وسائل الإعلام الغربية تسيء للإسلام والمسلمين من خلال نشر تقارير سطحية، ورؤى وأفكار وصور سلبية هدامة؛ إما عن جهل أو تجاهل للوجه الحقيقي للإسلام؛

1- موقع بصائر الفكر المسلمون في الغرب.. بين الاندماج وصراع الهوية (رابط /http://www.basaer-online.com/

الأمر الذي يؤثر على الرأي العام الغربي؛ ومن ثم يعوق المسلمين عن الاندماج والمشاركة الإيجابية في المجتمع الغربي.

إن مفهومنا للاندماج يعكس وسطية الإسلام، ويشكّل تطبيقاً لها، ولتوضيح ذلك نعقد مقارنة بينه وبين مفهومي الذوبان والعزلة. 1

الذوبان: ليس الاندماج ذوباناً لشخصية المسلم وهويته في المجتمع الذي يعيش فيه، بغض النظر عما يتطلبه هذا الذوبان من التخلي عن ثوابت عقيدته وسلوكه.

وليست مؤثرات الذوبان ودواعيها مقصورة على الدول الغربية، فقد تتواجد في بعض بلاد المسلمين، لاسيما البلدان التي يضعف فيها الالتزام بالإسلام، وبصفة خاصة البلاد التي فرضت عليها أيديولوجيات مناقضة، بل ناقضة لتعاليم الإسلام كالشيوعية، والمادية، والعلمانية الطاغية التي تحارب الإسلام وأهله.

ولكن مؤثرات الذوبان ودواعيه أكثر تواجداً، وأبعد أثراً في الجاليات المسلمة المستوطنة في بلاد الغرب؛ ولعل من أسباب ذلك الرغبة في الحصول على القبول من جانب المجتمع، وهو أمر يشترك فيه سائر البشر؛ لأن الإنسان كائن اجتماعي يحب أن يتواصل مع من حوله، وأن يتجنب الشعور بالعزلة والرفض من جانب الآخرين.

الانعزال:

إن الانعزال عن المجتمع الذي يعيش فيه المسلم هو صورة أخرى من صور الغلو الذي قد لا يقتصر على الانعزال الشعوري، بل يتعداه إلى الانعزال المعيشي، إلا فيما اقتضته ضرورات الحياة.

وقد يتخذ هذا الانعزال صورة جماعية حيث تكون بعض الأسر دائرة ضيقة لمن تجمعهم أصول عرقية أو لغوية تتفاعل وتتعايش في شبه عزلة عن المجتمع الذي يحيط بهم.

1- المسلمون في الغرب.. (بين الرغبة في التعايش وتحديات الاندماج، جريدة العرب الدولية - الشرق الأوسط، بتاريخ 28 يونية 2011 - رابط <http://classic.aawsat.com/details.asp?section=17&article=>

وقد يكون من دواعي هذه العزلة الشعور بالارتياح للتعایش مع من هم من بني جلدتهم ويتكلمون بألسنتهم. وقد يكون من دواعيها كذلك التخوف من الآثار السلبية للتفاعل مع المجتمع على أطفالهم وأسرهـم.1

وقد لاحظنا سبباً مهماً لعدم الاندماج في المجتمع من جانب من بقي من الجيل الأول للمهاجرين يمكن تسميته "بعقلية أحلام العودة"، فقد جاء بعضهم إلى أوروبا بنية العودة إلى بلادهم بعد قضاء مآربهم التعليمية، أو المالية، وبمضي الزمن ولأسباب متباينة استقروا في هذه البلاد وحصلوا على الإقامة الدائمة، ثم الجنسية، وأنجبوا الذراري، ومع هذا فقد ظلوا يفكرون ويتصرفون كأنهم في حالة إقامة مؤقتة، وإن امتدت عقوداً طويلة من الزمن، فلا هم عادوا إلى البلاد التي جاءوا منها، ولا هم تفاعلوا وتواصلوا مع مجتمعاتهم تواصلًا إيجابيًا وفعالًا، وكأنهم يعيشون على هامش المجتمع لا كجزء منه.

وفي التواصل والتفاعل الإيجابي فرصة لإبلاغ دعوة الله والشهادة على الناس، وتبادل المنافع المتبادلة المشروعة.

وربما يسهم الانعزال في النظر بعين الريبة والشك إلى المسلمين؛ الأمر الذي يتزايد طرديًا مع أحداث العنف التي تجري في أماكن عديدة من العالم، والتي يؤثر بعضها تأثيرًا سيئًا على سمعة الإسلام والمسلمين، وتكرس التفكير النمطي السلبي عن الإسلام، والذي تحمل لواءه جهات معادية للإسلام وأهله؛ بسبب التعصب الديني، أو الاعتبارات السياسية المحلية والعالمية.

كما أن الانعزال قد يؤدي إلى شعور عامة الناس (وإن كانوا خاطئين) بأن المسلمين قوم يأخذون ولا يعطون، ويستفيدون ولا يُفيدون، بالمقارنة بالجهود الكبيرة، والبرامج العديدة التي تقوم بها جمعيات أخرى دينية ومدنية للعناية بالقضايا الاجتماعية والأعمال الخيرية.

الاندماج:

إن ما قيل عن صورتي الغلو، الذوبان والعزلة، يُسهم في تعريف الاندماج، والاندماج في مفهومنا هو التفاعل الإيجابي الحضاري مع المجتمع، دون فقدان للهوية الإسلامية، أو التنازل عن ثوابت الإسلام وقيمه أو المساومة عليها.

1- المصدر السابق.

أما فيما عدا الثوابت فقد يقتضي الأمر أحياناً غض النظر عن بعض سلبيات الاندماج استرشاداً بقواعد جلب المنفعة ودفع المضرة، واعتبار شيوع البلوى واعتبار الذرائع، والنظر في المآلات وتغليب فقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الأقليات، ما دام ذلك منضبطاً بالقواعد الأصولية تجنباً للغلو أو المغالاة، والإفراط أو التفريط. وهذا ما عنيناه في بداية البحث بأن الاندماج يعكس وسطية الإسلام، ويشكل تطبيقاً واقعياً لها. ومن الجدير بالذكر أن هناك قدرًا من الغيش في استخدام مصطلحات الذوبان والانعزال والاندماج؛ مما دعانا إلى شيء من التفصيل فيها، فإن البعض يستخدم لفظة "الاندماج"، ولكنه في واقع الأمر يعني بذلك "الذوبان".

مثال ذلك القول بأن ارتداء المرأة المسلمة للحجاب الشرعي يعوق "اندماجها" في المجتمع. ولما كان الحجاب أمرًا واجبًا شرعًا على المرأة المسلمة الملتزمة بدينها، وبما أن الدليل على فرضيته قد قام، فقد انتقل الأمر من منطقة "العفو" إلى مجال الثوابت التي تعتبر المساومة عليها والتخلي عنها "ذوبانًا" وليس اندماجًا إيجابيًا لا يتطلب التخلي عن الهوية فضلًا عن الحرية. (1)

إقامة المؤتمرات لتجنب العزلة

ونحن نقيم مثل هذه المؤتمرات غالبًا في الدول الأوروبية، وإيطاليا خصوصًا، وذلك بسبب الوضع الخاص الذي طرأ لأوروبا خلال العقدين الأخيرين؛ وذلك لإزالة الخصومات الدينية والثقافية بدوافعها وأهدافها.

وأيضًا من وراء إقامة هذه المؤتمرات توجد مسائل خاصة، خصوصًا تلك التي ظهرت لأوروبا في العقدين الأخيرين. ففي الوقت الحاضر يعيش في أوروبا أكثر من عشرة ملايين مسلم، معظمهم من مسلمي البلدان الإسلامية.

وأن غالبية أبناء البلدان الإسلامية الموجودين في الغرب، في الوقت ذاته الذي يعيشون سلسلة من الأصول والقيم التقليدية، لهم أصولهم وتقاليدهم القومية والمحلية المتأثرة بالثقافة الإسلامية.

إن الأصول الكلية التي تركز إليها الجالية الإسلامية في حياتها اليومية تتفاوت مع التقاليد الأوروبية. والمشكلة المطروحة هي كيف يتسنى لعشرة ملايين مسلم العيش في ظل الثقافة الأوروبية؟ وفي هذا المجال هناك ثلاثة آراء مطروحة. الرأي الأول: يطالب الأوروبيون المسلمين بالذوبان في الثقافة الأوروبية. والمسلمون يرفضون ذلك.

1- المصدر السابق.

الرأي الثاني: يدعو لأن يعيش المسلمون بثقافتين، فحياتهم الشخصية والأسرية وإلى حد ما الاجتماعية تستمد وجودها من الثقافة الإسلامية.

أما في مجال العمل والخدمات الاجتماعية فلا بد لهم من الانسجام والتكيف مع الثقافة الأوروبية.

وهذا الرأي أيضاً له تبعاته ومشكلاته في الجانب العملي.

الرأي الثالث: يفكر في طريق حل لم تتضح معالمه بعد، وخلصته إيجاد نوع من التعايش الثقافي الذي يراعي روح الإسلام، وكذلك لا يتعارض مع الثقافة الأوروبية.

إن تحرك عدد كبير من ملايين المسلمين المقيمين في أوروبا، موضوع حديث أثار لدى الأوروبيين هذ التساؤل وهو: إذا ما تحرك مسلمو أوروبا بشكل فاعل ومنظم، فما هي الآثار التي ستركها هذا التحرك على النسيج الاجتماعي والثقافي الأوروبي؟ كيف يمكن أن نحول دون بروز معضلات في هذا المجال؟

أهداف مشتركة من هذه المؤتمرات:

دراسة شئون شخصية من حياة المسلمين في أوروبا، التي تخلق لهم بعض المعاناة. وقد دار البحث حول كيف السبيل لإيجاد حلول لتلك الحالات الخاصة؟

نظرة الإسلام إلى المرأة والأسرة والأطفال، ذلك أن أحد جوانب الحياة غير المفهومة لدى الأوروبيين، هي نظام الأسرة في الإسلام. ومن ضمن البحوث التي أثرت هنا أن الإسلام ليس ديناً عقائدياً فحسب، بل حضارة ونظام ثقافي أيضاً؛ ولكونه كذلك فقد أعطى اهتماماً خاصاً لنظام الأسرة، وينبغي للأوروبيين أن يدرسوا هذا النظام بدقة، وكذلك لا بد للمسلمين من التنبه إلى المشكلات التي يوجدها التمسك بهذا النظام في أوروبا، وإذا ما تطلب الأمر لا بد من استنباط أمور جديدة لحل هذه المعضلة، ففي البلدان الأوروبية توجد قوانين تتعارض مع نظام الأسرة المسلمة، وهي تبحث عن صورة لتعامل المجتمعات الأوروبية مع هذه الأسر، وهل هناك ضرورة لأن توضع قوانين استثنائية للمسلمين؟

مسائل مشتركة مهمة يجب دراستها كالدين، والمجتمع، والديمقراطية.

على أية حال فإن الأنظمة السياسية الموجودة في أوروبا تدعي الديمقراطية. وتوجد في المجتمعات الإسلامية أنظمة أخرى، أو في طريقهم إلى إيجادها. والمسألة هي كيف ينبغي لأوروبا أن تتعامل مع هذه الأنظمة؟ أوروبا تريد أن تعرف تصور المسلمين للديمقراطية، وحقوق الإنسان، والعلاقة بين الدين والمجتمع. أوروبا ترغب أن تخوض حواراً جاداً وصريحاً في هذه المجالات مع المسلمين.

يبدو أن تلك المرحلة من العلاقات الدولية التي كانت تتمكن فيها هذه البلدان من إقامة علاقات سياسية واقتصادية منسجمة، رغم امتلاكها لأنظمة سياسية متباينة مائة بالمائة؛ قد انتهت. ويبدو أن التقارب في بناء السياسية أصبح ضرورة من ضرورات العصر.



الصورة من مؤتمر حوار الأديان بمسجد دار السلام بروما 2014 مع إمام المسجد محسن عرفة

وبالمثل، فقد يُنَّهَم المسلم "بالانعزال" عن المجتمع؛ لعدم مشاركته للحفلات والموائد التي تدار عليها الخمر، فليست مثل هذه المناشط الاجتماعية والثقافية من مقتضيات الاندماج وشروطه، بل يجب على المسلمين العزوف عن مثل هذه الممارسات؛ لأنها من الثوابت. (1)

1- موقع بصائر الفكر، المسلمون في الغرب.. بين الاندماج وصراع الهوية ، موقع بصائر الفكر المسلمون في الغرب.. بين الاندماج وصراع الهوية (رابط <http://www.basaer-online.com/>).

المبحث الرابع

كيفية تفعيل دور المركز في الدعوة إلى الله

دور المراكز في الدعوة إلى الله:

بعدما أصبح دور المسجد التربوي محل تساؤل من الكثيرين؛ لعدم العمل في كل مناحي الحياة، واقتصارها على الجانب التعبدي فقط، دون التصدي لأي سلوكيات خاطئة يعاني منها المجتمع، سرت مطالبات بين أهل العلم والحريصين على أن يقوم المسجد بدوره، بإطلاق يد الأئمة والدعاة للقيام بالدور المنوط بهم من توجيه وإرشاد ونصيحة بالوجه الصحيح لتبيان موقف الدين من كل سلوك مستجد، سواء أكان مستحدثاً، أو منقولاً من الغرب.

واستشعاراً من "الرأي" بأهمية هذه القضية، عمدت إلى البحث في هذه القضية وجوانبها المختلفة، وعقدت هذا الدراسة لتفعيل دور المراكز الإسلامية في الغرب، وجعلتها في محاور:

1- الاهتمام بتطوير الخطاب الدعوي لدى الدعاة، وتعديل وتطوير المادة العلمية بتنوع المستفيدين منها.

مثلاً: الحديث للمرأة يتطلب عبارات عاطفية، وإثارة الجانب العاطفي أكثر من الرجل، وضرب الأمثلة من واقع المرأة.

2- متابعة الداعية لمن استشاره في مشكلته، ومعرفة مدى نجاح الحلول التي اقترحها عليه، والسؤال عن أحوالهم، وإظهار الاهتمام به، خاصة ممن يترددون عليه.

3- تنمية الروح الجماعية، واحترام مبدأ الشورى بين الدعاة، والاستفادة من الآراء والمقترحات، وإشراك الدعاة المتميزين في وضع خطة العمل السنوية للمراكز.

4- الانضباط في مواعيد من يتولى الرد على مكالمات الجمهور، واختيار ذوي الأسلوب والتميز العلمي من دعاة المركز، حتى تبقى صلة الناس بالمركز، وتزداد ثقتهم بمصداقيته.

5- تكليف أعضاء مركز الدعوة من الدعاة ببحث سنوي حول وضع حلول لمشكلات متفشية في المجتمع، ودراستها ميدانياً، والتخصص فيها.

6- الاهتمام بدعوة غير المسلمين عن طريق التنسيق مع يُحسن التقاهم معهم، وتعهدهم ببعض البرامج والتوجيه وبعض الكتب.

- 7- إقامة دورات في التدريب العلمي على الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ -.
- 8- تسجيل المواقف والتجارب من قبل الداعية، وتعميم الاستفادة منها.
- 9- الاستفادة من فنون الدعاية والإعلان؛ لترويج برامج المراكز، وتجاوز طرحها بطريقة بدائية لا تجديد وفيها ولا ابتكار، فللداعية دور مهم في الإقناع.
- 10- التواضع من قبل مدير المؤسسة الدعوية بزيارته للدعاة، وطلاب العلم، ودعاتهم للمشاركة الفعالة في برامج مؤسسته.
- 11- إكساب الدعاة مهارات في العمل الإداري بتكليفهم به، وإقناعهم أنه من العمل الدعوي.
- 12- إقامة دورات تربوية علمية لمدرسي حلقات تحفيظ القرآن من غير الجامعين بمنطقة المركز.
- 13- تبني المسابقات الصيفية في المجالات العلمية المختلفة؛ لسد الحاجة والفراغ بين طلاب العلم، ويمكن اختيار:
 - مسابقة قرآنية.
 - مسابقة في حفظ السنة.
 - مسابقة للشباب الملتزمين (بحوث - خطابة - إبداعات دعوية....).
 - مسابقة للأطفال.
 - مسابقة للنساء.
- 14 - العمل على إنشاء مدرسة نظامية إسلامية متكاملة.
وفيما يلي رؤيتنا لهذه المدرسة.

المدرسة النظامية وأثرها في بناء المجتمعات:

تطور المفاهيم والنظرة للنشاط المدرسي:

1. لم تعد النشاطات المدرسية مظهرًا وناحية شكلية، فليس بالضرورة أن تمارس في وقت محدد وداخل الصف الدراسي، بل الطالب يجب أن يكون فعالاً وله دور رئيسي حيث تتاح له الفرصة من خلال تلك الأنشطة؛ لإبراز وإخراج إبداعاته، وابتكاراته، وقدراته.
 2. مفهوم النشاط أصبح يركز على أن التعليم هو الأساس في العملية التعليمية؛ ولذا كان من المهم إبراز أهمية وفاعلية النشاط في المواقف التعليمية المختلفة، تحت إشراف هيئة المدرسة التدريسية، سواء كانت داخل الفصل أو خارجه، داخل أو خارج المدرسة.
 3. مسئولية ودور المعلم أثناء النشاط يتمثل في استثارة دافعية المتعلم (الطالب)، وتوجيهه وإرشاده في جميع الأنشطة المدرسية.
 4. تفاعل المتعلم مع النشاط يسهم في إكسابه العديد من الخبرات الجديدة النابعة من دوافعه وحاجاته الشخصية (الدوافع، الميول، الابتكار) المتلائمة مع الفروق الفردية بين الطلاب.
 5. تنوع النشاط المدرسي ليتناسب مع مستوى نمو الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة.
 6. يتناول النشاط ويعزز جميع جوانب النمو لدى المتعلم، سواء الجوانب البدنية، أو المهارية، أو الوجدانية، أو الانفعالية، أو العقلية.
- وأهمية النشاطات المدرسية تكمن في أنها تعتبر وسيلة لتحقيق العديد من الفوائد، وذلك حسب نوع النشاط الممارس، حيث إن تلك الأنشطة تؤدي إلى:

- توجيه ومساعدة الطلاب على اكتشاف قدراتهم، ومواهبهم، وميولهم، والعمل على تنميتها وصدقها.
- تعميق قيم ديننا الإسلامي الحنيف، وترجمتها سلوكياً.
- تنمية وتعزيز القيم الاجتماعية الهادفة، كالتعاون، والتسامح، وخدمة الآخرين، والمنافسة الشريفة.
- بناء الشخصية المتكاملة، مع تعزيز القيم الإسلامية، وتطبيقها والتحلي بأدائها.

- المساعدة على حسن استخدام أوقات الفراغ بما يعود على الممارسين بالفائدة، والقدرة على التفريق بين أنواع النشاطات، واختيار ما يعزز ويخصب حياتهم.
- تحقيق النمو البدني والعقلي من خلال توسيع الخبرات في مجالات متعددة.
- إتاحة الفرص للموهوبين، وتشجيعهم على التفوق والابتكار.
- إشباع حاجات التلاميذ النفسية والاجتماعية.
- مساعدة التلاميذ على التخلص من بعض المشاكل النفسية والاجتماعية، كالقلق، والتوتر، والانطواء، والضغط النفسية، والخجل، والاكتئاب.
- الإسهام في تنمية العديد من الصفات الشخصية، والعادات السلوكية الحميدة، كالثقة بالنفس، والاتزان الانفعالي، والتعاون، والتحدي، والمثابرة، والمنافسة الشريفة، وتحمل المسؤولية، وإنكار الذات.
- تنمية قدرة الطلاب على التفاعل مع المجتمع، وتحقيق التكيف الاجتماعي.
- تنمية سمات القيادة والتبعية لدى الطلاب.
- تهيئة مواقف وإتاحة فرص تربوية للطلاب؛ ليتفاعلوا فيها ومعها؛ لاكتساب خبرات مفيدة تتلاءم مع متطلبات النمو لكل مرحلة عمرية.
- إتاحة الفرص للقائمين على النشاط للتعرف على العديد من جوانب شخصيات التلاميذ.
- تقدير قيمة العمل اليدوي، والاستمتاع به، واحترام العمل والعاملين من خلال الممارسة الحسية والحركية.
- تثبيت المادة العلمية من خلال التطبيقات، واستخدام الحواس لاستيعابها.
- الارتباط بتاريخ الأمة الإسلامية، والافتداء بسيرة السلف الصالح.
- تعزيز القدرة على استيعاب وفهم المواد العلمية من خلال التطبيق الميداني.

وظائف النشاط المدرسي:

يحقق النشاط المدرسي الوظائف الأساسية التالية:

الوظيفة النفسية (السيكولوجية): تتيح تلك الأنشطة للطلاب الفرص الطبيعية الملائمة التي تنمي الثقة بالنفس، والتخفيف من حدة القلق والاضطرابات النفسية المختلفة؛ مما يؤدي إلى الصحة النفسية، وتحمل المسؤولية، والتسامح، والعمل التعاوني.

وكما أشار المنيف (1416) إلى أن التعلم لا يكون ناجحاً ومساعدًا على النمو النفسي، إلا إذا كان هو نفسه مظهرًا من مظاهر نشاط الفرد المنبعث من دوافعه وميوله.1

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

1. تنمية الميول والمواهب.
2. تحقيق الصحة النفسية.
3. تعديل السلوك إلى الاتجاه المرغوب.
4. استثمار وقت الفراغ.
5. مصدر لتنمية دافعية التعلم داخل الفصل، ورفع مستوى الإنجاز.
6. إشباع حاجات الطلاب، وتلبية ميولهم ورغباتهم.

الوظيفة التربوية:

تتيح تلك الأنشطة فرصًا للتعلم؛ لأنها جزء من البرنامج التعليمي، فمن خلالها يتم توسيع مدارك الطلاب، وتعديل سلوكهم، وتوجيهه نحو الاتجاه المرغوب، كما أنها تساعد الطلاب للتعرف على قدراتهم، وميولهم، ورغباتهم؛ ومن ثم تنميتها ليتم توسيع مجالات تلك الخبرات.2

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

1. تحقيق مفهوم التعلم الذاتي والتعلم المستمر.
2. توفير الخبرات الحسية والحركية المباشرة خلال التعليم.

1- ابن سحنون، آداب المعلمين والمتعلمين، تعليق محمد العروسي المطوي، (دار الكتاب الشرقية)، تونس 1972.

2- الزرنوجي، برهان الإسلام، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان قباني، (المكتب الإسلامي)، بيروت. 1981.

3. إكساب العديد من الاتجاهات المرغوبة، كالاتجاه إلى الدقة - النظافة - احترام الآخرين.
4. الكشف عن الميول والقدرات المتميزة وتنميتها.
5. تنمية العديد من المهارات المعرفية، كالاستنتاج - التفسير - الربط - التحليل.
6. المساعدة على تفهم المناهج واستيعابها.
7. توفير الفرص للاتصال بالبيئة والمجتمع والتعامل معهما.
8. تقوية العلاقة بين الطلاب والمدرسة، وتكوين صداقات مع الطلاب والمدرسين.
9. الوعي بأهمية وقيمة أوقات الفراغ.

الوظيفة الاجتماعية:

تتيح تلك الأنشطة الفرص الخصبة للمشاركة والتعاون والتعامل مع الآخرين؛ مما يؤدي إلى مساعدة الطلاب على التكيف مع الحياة، فهي جزء من الإعداد للحياة بشكل عام، إضافة إلى أهميتها في تكوين العلاقات الاجتماعية، والابتعاد عن التفرقة (العنصرية أو العرقية) والأنانية، وذلك من خلال العمل الجماعي، والتفاعل مع الجماعة.1

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

1. تقوية العلاقة بين المدرسة والمجتمع.
2. المساهمة في التوفيق بين البيئة والمجتمع.
3. التدريب على الخدمة العامة.
4. التدريب على التعامل مع الآخرين.
5. التشجيع على الأعمال الجماعية.
6. احترام آراء الآخرين، وحرية التعبير عن الرأي.
7. تعلم التوفيق بين الصالح الخاص (الفردية)، والعام (الجماعة).

1- الزرنوجي، برهان الإسلام، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان قباني، (المكتب الإسلامي)، بيروت

معايير اختيار الأنشطة المدرسية الهادفة:

إن الأنشطة المدرسية الهادفة هي تلك الأنشطة البناءة والمفيدة التي تحقق أهداف النشاط، بحيث يتم اختيارها وفقاً للمعايير التالية:

- يجب أن تتناسب الأنشطة مع خصائص نمو التلاميذ: (العقلية، والانفعالية، والاجتماعية، والحركية، والبدنية، واللغوية) وتحقق النمو الشامل.
- يجب أن يكون للأنشطة المدرسية أهداف محددة وواضحة لكل من مدير المدرسة، والمدرس، والتلميذ، وولي أمره.
- يجب أن تستمد أهداف الأنشطة المدرسية من أهداف التربية العامة.
- يجب أن تكون الأنشطة المدرسية وثيقة الصلة بأهداف العملية التعليمية وبالدراسة داخل الفصل.

- يجب أن تتنوع مجالات الأنشطة المدرسية حتى يجد التلاميذ العديد من الفرص للتعبير عن ميولهم، وإشباع حاجاتهم، بما يتناسب مع قدراتهم والفروق الفردية بينهم.
- يجب أن تخضع الأنشطة المدرسية للملاحظة الدقيقة، والمستمرة من قبل رواد النشاط (المدرسين) المتميزين.
- يجب أن تتلاءم الأنشطة المدرسية مع الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة بالمدرسة.
- يجب أن تتسم الأنشطة المدرسية بالمرونة من الناحية التنفيذية: (الجوانب الاقتصادية، والزمانية، والمكانية). وتكون قابلة للتقويم المستمر، والتقويم النهائي. 1

الصعوبات التي تواجه النشاط المدرسي:

على الرغم من أهمية النشاط وقيمه التربوية وأثره الفعال على سلوك التلاميذ، إلا أن هناك العديد من الصعوبات، أو المعوقات التي تحول دون تحقيق النشاط لأهدافه التربوية التي يفترض أن يحققها.

ويمكن الإشارة إلى بعض من تلك الصعوبات في النقاط التالية:

- 1- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (دار الكتب العلمية، بيروت 1354هـ)

- عدم اقتناع أولياء الأمور بممارسة / مشاركة أبنائهم في النشاط المدرسي، وتركيز اهتمامهم على التحصيل الدراسي؛ ولذا لا يشجعون أبناءهم على الاشتراك.
- قلة أو عدم توفر الإمكانيات الضرورية: (المالية - المادية - البشرية)؛ لممارسة النشاط بفاعلية.
- عدم توفر المشرف المتخصص في النشاط المدرسي، وإذا توفر فإن العبء التدريسي لا يسمح له بالإشراف على النشاط كما ينبغي.
- عدم تسهيل مهمة المعلمين للإشراف على النشاط وريادته، فجدولهم المثقله بنصاب كامل من الحصص لا تساعدهم على الإعداد الجيد لحصة النشاط.
- نظرة المعلمين للنشاط نظرة دونية تقلل من قيمته؛ وذلك لاعتباره عبئاً إضافياً.
- عدم جدية مديري المدارس بالنشاط المدرسي وحصصه، وعدم المتابعة والتوجيه.
- عدم وضوح أهداف النشاط للمعلمين وللطلاب.
- عدم إدراج حصة النشاط والإشراف عليه ضمن نصاب المعلم.
- عدم وضع النشاط المدرسي ضمن عناصر تقويم المعلمين والتلاميذ؛ مما يقلل من اهتمامهم.
- قلة الدورات المتخصصة للنشاط المدرسي.
- عدم توفر خطة واضحة للنشاط، أو دليل يساعد المعلمين على التخطيط والتفويض.
- عدم تخصيص ميزانية للأنشطة المدرسية.
- عدم وجود نظام يجبر جميع تلاميذ المدرسة على الاشتراك في الأنشطة.
- ضعف إعداد المعلمين (أثناء الدراسة) لتنظيم وريادة الأنشطة المدرسية.
- عدم توفر الوقت الكافي لممارسة النشاط.
- ازدياد الفصول الدراسية بالتلاميذ.

وللتغلب على تلك الصعوبات، وتخفيف أثر تلك المعوقات، فإنه يجب عمل ما يلي:

- * إعداد دورات تدريبية لمعلمي، ومشرفي، وموجهي النشاط المدرسي.
- * توفير الإمكانيات اللازمة لتنفيذ النشاط بشكل يؤدي إلى تحقيق أهدافه التربوية.
- * توعية الطلاب وأولياء أمورهم بأهداف النشاط وأهميته.
- * تعيين مشرف متخصص للنشاط في كل مدرسة، بعد تخفيض نصابه التدريسي.
- * التخطيط الجيد للنشاط، والابتعاد عن العشوائية / الارتجالية؛ ليصبح جزءاً من العملية التعليمية.
- * تعدد وتنوع الأنشطة ليجد كل طالب النشاط الذي يتلاءم مع ميوله وقدراته.
- * إتاحة الفرصة للتلاميذ للمشاركة في وضع خطط النشاط وتنفيذها.
- * ربط الأنشطة بالبرامج والأهداف التربوية، وممارستها في بيئة تروحية تتسم بروح الهواية والمتعة.
- * تحفيز أولياء الأمور لتشجيع أبنائهم على الاشتراك في الأنشطة، وذلك من خلال دعوتهم للاطلاع على أنشطة أبنائهم وإنتاجهم. 1

ومن أنشطة المراكز الإسلامية في الدعوة:

المسجد الإلكتروني:

يُعدّ المسجد المؤسسة الإسلامية الأولى التي أدت أدواراً متميزة ومتعددة في تاريخ حضارة الإسلام عبر العصور المختلفة.

فعلى مدى التاريخ منذ بدء الدعوة الإسلامية، ظل المسجد منارة إشعاع روحي وثقافي وتعليمي واجتماعي وأخلاقي، فلم يكن داراً للعبادة فحسب، بل مدرسةً للتربية والتعليم، كما كان داراً للغريب وابن السبيل، ومنتدى للشورى والقضاء، ومركزاً للعلاج والتخطيط للحروب، واستقبال الوفود والسفراء...

1- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1354هـ).

أي إنه كان مكاناً يجمع بين جميع المسلمين لتدبير أمور دينهم ودنياهم.

وتواجه المساجد الآن مجموعة من العقبات في سبيل الدعوة تتابعت على مدى السنين، وبتأثير من الغزو الثقافي الغربي والتشويه الإعلامي، فترجع الدور الدعوي للمساجد، وانصرف كثير من الشباب عنه، واقتصرت المساجد على أماكن لإقامة الشعائر الدينية خصوصاً لكبار السن، وفي ظل التضيق الأمني على المساجد بات الأمر أكثر جدية لمحاولة ابتكار أساليب جديدة تقوم بدورها الإيجابي في تفعيل دور المسجد الحقيقي في حياة المسلمين، وبخاصة الشباب الذي هو وقود الدعوات ومحركها الأول.

وفي ظل العصر الرقمي الذي نحيا فيه بات تأثير التكنولوجيا واضحاً في سائر مجالات الحياة، ولعبت شبكة الإنترنت دوراً فعالاً في بناء المجتمعات الافتراضية، وفي تنمية طرق التواصل التفاعلية بين الأفراد، مخترقةً بذلك حواجز الزمان والمكان، وبرزت مفاهيم جديدة غيرت نظرتنا للحياة كالتجارة الإلكترونية، والدفع الإلكتروني، والإعلام الإلكتروني، والتدريب الإلكتروني، والكتاب الإلكتروني، بل والدعوة الإلكترونية.

وأصبح كل ما يعيش على أرض الواقع يمكن تفعيله في الفضاء الشبكي؛ ومن هنا تأتي أهمية مفهوم "المسجد الإلكتروني" باعتبار دور المسجد المحوري في المجتمع الإسلامي.

مما لا شك فيه أن الإنترنت أصبحت تتغلغل في كافة الأنشطة التي نمارسها يومياً، ويتزايد أعداد مرتادي الشبكة يومياً زيادات هائلة، وتتوسع الخدمات التي تتيحها الإنترنت بدءاً من تصفح البريد الإلكتروني، والأخبار، وانتهاء بإقامة مجتمعات تفاعلية عبر الشبكة.

وبالنظر إلى تراجع دور المسجد في المجتمع المعاصر، فكيف يمكن الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، وخدمات الإنترنت في تفعيل دور المسجد؟

أقصد بالمسجد الإلكتروني "نشر رسالة المسجد باستخدام الأدوات التي توفرها شبكة الإنترنت، وبالاستفادة من تكنولوجيا الاتصال التفاعلية الحديثة".

ولأن بيوت الله في الأرض المساجد، فرسالة المسجد هي نفسها رسالة الإسلام؛ لذا فإن الهدف من المسجد الإلكتروني هو تفعيل دور المسجد، ونشر رسالة الإسلام الشاملة، بالاستفادة من الإمكانيات التي تتوفر في الفضاء الشبكي.

وقد بدأت بعض المحاولات المتواضعة من قبل مساجد في المجتمع الغربي، ولكنها ما زالت في طور التجريب وفي مرحلة المهد، مقارنة بدور المسجد الإلكتروني في المجتمعات الأمريكية على سبيل المثال، حيث نلاحظ أن مواقع هذه المساجد في أوروبا متواضعة وخدماتها بسيطة وتستخدم وسائل بدائية، وعلى العكس فإن بعض المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب قد قطعت شوطاً لا بأس به في مجال تقديم الخدمات للجاليات الإسلامية، ربما يعود ذلك لشعور المسلمين هنا بأنهم أقلية؛ لذلك كان البحث عن وسائل لتجميع الجهود تداركاً للذوبان في المجتمع، فيتزايد هنا دور المسجد المحوري في حياة المسلمين. وحديثنا هنا يقتصر على المساجد في الأقطار الأوروبية، حيث يمثل المسلمون أقلية فكيف يمكن تفعيل المسجد الإلكتروني ودوره الدعوي في حياة المسلمين؟

وسائل تفعيل المسجد الإلكتروني:

إنشاء الموقع الإلكتروني للمسجد:

تلعب المواقع الإلكترونية دوراً حيوياً ومهماً في تفعيل دور المسجد؛ نظراً للإقبال الهائل على شبكة الإنترنت؛ لذا فإن موقع المسجد الإلكتروني يُعدّ ضرورةً عصريةً تحشد لها الجهود المادية والتقنية، وتعتمد على إستراتيجية العمل الطوعي؛ ومن ثم فإن تخصيص جزء من التبرعات التي يقبلها المسجد يمكن توجيهه لإعداد فريق يقوم بتطوير موقع للمسجد من الناحية التحريرية والتقنية، كما يمكن تخصيص وقفية لنفقات استضافة الموقع، وحجز "الدومين"، وتصميم الموقع. ولا عجب في ذلك فقد لعبت الجاليات الإسلامية الدور الأكبر عبر العصور الحديثة في إنشاء المساجد، وتمويل أنشطتها وخدماتها، ولا شك أن الموقع الإلكتروني يُعدّ من الخدمات التي يقوم بها المسجد لخدمة قطاع من رواد المسجد لا يمكن إغفاله.

وهذا الموقع الإلكتروني لا بد أن يشتمل على خدمات أساسية، تصنف إلى أقسام رئيسية، مثل:

صفحة التعريف بالمسجد:

وتشتمل على معلومات المسجد الأساسية، مثل موقعه الجغرافي، وتاريخ نشأته، وخريطة الوصول إليه، وصور حديثة وقديمة للمسجد، خاصة إن كان من المساجد الأثرية أو التاريخية،

وتُعدّ هذه الصفحة بمثابة توثيق لنشأة المسجد تستفيد منه الأجيال اللاحقة.

صفحة رسالت الموقع:

وتعرض هذه الصفحة لرسالة الموقع، ودوره في تفعيل دور المسجد، كما يمكن أن تعرض كلمة إمام المسجد لرواد المسجد والموقع، ويمكن توضيح أهم الأهداف التي أنشئ من أجلها الموقع، باعتباره مقاماً دعويّاً وفضاءً للتواصل بين المسجد والمجتمع فيما يهم شئون الدين والدنيا، ويجيب عن انشغالاتهم المختلفة في التصور، والمفهوم، والتطبيق.

صفحة أنشطة المسجد:

وتختص بعرض الأنشطة الأساسية التي يقوم بها المسجد، وأهمها: الدروس، وحلقات العلم، والتحفيظ، والتجويد، وخطب الجمعة والعديد، وذلك بالإعلان عن مواعيد الدروس، وإتاحة تحميلها من الموقع في أي وقت ليستفيد منها رواد المسجد الذين حالت ظروفهم دون الحضور، كما يمكن أيضاً إتاحة البث المباشر لهذه الدروس عبر الموقع، وإتاحة الاستماع المباشر لخطب الجمعة؛ لتستمع إليها النساء مباشرة، أو تحميلها في أي وقت.

صفحة أحداث وفعاليات:

وهذه الصفحة مهمة لعرض أهم الأحداث الجارية والفعاليات التي تتم في المسجد كمسابقات القرآن الكريم، أو المسابقات البحثية، أو الرمضانية وغيرها؛ لتيسير مشاركة أبناء الحي بهذه الفعاليات، كما يمكن أن تشتمل هذه الصفحة على لوحة إعلانات للمسجد تعرض في شكل جمالي جذاب، وتقدم هذه الصفحة الفرصة لإمام المسجد لتوجيه كلمات تهنئة لرواد المسجد بالمناسبات الإسلامية المختلفة.

صفحة الفتاوى والاستشارات:

وتختص هذه الصفحة بتلقي الفتاوى والأسئلة من رواد الموقع؛ ليجيب عنها العلماء، كما يمكن توفير أرشيف بأهم الفتاوى والاستشارات التي يحتاج إليها المسلم، وخصوصاً تلك الفتاوى اللصيقة بسمات المجتمع الذي يقع فيه المسجد، ففي الغالب مثلاً ستكون الفتاوى اقتصادية وتجارية إذا كان الحي الذي يقع فيه المسجد حياً تجارياً، وهذا يبرز خصوصية المكان والناس.

صفحة المسجد والمجتمع:

لا ينفصم المسجد عن المجتمع الذي أنشئ فيه؛ لذلك لا بد من تفعيل التواصل بين مرتادي المسجد والمجتمع من خلال عرض أهم الأنشطة المجتمعية، وحث الزوار على المشاركة فيها

كالتكافل الاجتماعي، ورعاية الأيتام، والقوافل العلاجية المجانية، ودروس التقوية...

ثانياً: الخدمات التفاعلية للمسجد الإلكتروني:

من مزايا الخدمات التفاعلية للمسجد الإلكتروني ضمان بقاء الاتصال بالزوار اتصالاً تبادلياً مستمراً؛ مما يجعل الرسالة الإعلامية للمسجد تسير في مسارين:

- من مشرفي الموقع إلى رواد المسجد.
 - ومرة أخرى من رواد المسجد إلى مشرفي الموقع.
- والذي بالطبع ينعكس على إدارة المسجد، وأئمته، ومرتاديه، وسبل تطوير وسائل الدعوة داخل المسجد.

وتتعدد وسائل رصد آراء واتجاهات الزوار عبر الخدمات التفاعلية التي يتيحها المسجد الإلكتروني بما يسمح بقياس رد فعل زوار الموقع تجاه الرسالة الإعلامية للمسجد؛ مما يفيد في تعديل محتوى الرسائل التالية التي يقدمها المسجد من خلال وسائل التفاعل المختلفة، والتعرف على الاحتياجات الدعوية الحقيقية لرواد المسجد، ومن أهم هذه الوسائل:

المنتديات:

تسمح بتبادل الخبرات، والآراء، والاتجاهات، حيث إن ظهور اتجاه عام لدى أبناء الحي من رواد المسجد والمشاركين في المنتدى قد يؤدي للنتبه لبعض المشكلات غير المتوقعة، كظهور نزعة تعصب لدى بعض الزوار، أو فهم الإسلام فهماً خاطئاً، أو ظهور سمات سلبية لدى سكان المنطقة، فيفيد مشرفي المنتدى التعرف على هذه المشكلات، والدفع بآراء تتبنى مفاهيم الوسطية الإسلامية؛ مما ينبه أئمة المسجد للقضايا الحقيقية التي ينبغي توجيه الاهتمام إليها خصوصاً في مجتمعنا الأوروبي.

المجموعات الإلكترونية:

وتتيح المجموعات الإلكترونية الفرصة لتجميع وحشد الجهود لأبناء الحي الواحد، والذين يمكنهم بسهولة الانتقال بين الفضاء الشبكي والواقع الحقيقي، فيسهل تبادل الأفكار وأيضاً تنفيذها واقعياً في المجتمع المحيط بالمسجد، ومثال ذلك دعوة الأطفال والشباب في ليلة العيد للحضور للمسجد في ساعة معينة لتعليق الزينات؛ ولأنهم في الحي نفسه فإن فرصة التجميع أكبر بكثير.

القوائم البريدية:

وهي إحدى طرق استخدام البريد الإلكتروني، يتمكن من خلاله المستخدم من إرسال رسائل بما لديه من معلومات وآراء في أي قضية محل مناقشة، على عدد يقدر بعشرات أو مئات الآلاف من الأشخاص حول العالم، بمجرد ضغط زر واحدة من حاسبه الشخصي، فإذا كان الأمر كذلك فإن إنشاء قائمة بريدية لرواد المسجد يُعدّ من السهولة بمكان بطلب إضافة المتصفح للموقع لبريده الإلكتروني، فتصله رسالة دورية بكل أنشطة وفعاليات المسجد وأهم الأخبار.

البت المباشر:

وتُعدّ هذه خطوة متقدمة يقوم بها موقع المسجد، والذي يشتمل على بث مباشر لحلقات إذاعية حوارية مع الجمهور، أو استشارية مباشرة كتحديد ساعة معينة للاتصال، واستقبال الفتاوى والاستشارات؛ ليرد عليها إمام المسجد بالبت المباشر، وهذه تضيف ميزة تفاعلية تشعر المشاركين فيها بالحيوية والتفاعل أكثر مما تتيحه الفتاوى والاستشارات النصية المكتوبة.

الاستبيانات:

وتمثل الاستبيانات الوسيلة المثلى لرصد اتجاهات واحتياجات رواد الموقع مباشرة، وبالطبع يكون استهداف الاستبيان حول القضايا والاهتمامات المباشرة بالمحيطين بالمسجد ورواده، كأن يسعى المسجد لإقامة أنشطة جديدة فيستطلع آراء رواد المسجد حولها؛ مما يشعر الناس بأن هناك من يسمع لهم، ويتعرف على احتياجاتهم الحقيقية فتزداد ألفتهم بالمسجد.

رسائل الجوال:

يتيح الاشتراك في خدمة رسائل الجوال الفرصة لمزيد من التآلف والتعارف بين مرتادي المسجد، بإرسال رسائل تهنئة في المناسبات الإسلامية المختلفة، وتبادل المعلومات السريعة، وربما إتاحة الفرصة لإيقاظ المشتركين فيها لصلاة الفجر على سبيل المثال.

ساحة المواهب:

كثير من المواهب تُؤد في مهدها؛ لأنها لم تكتشف في حينها، وساحة المواهب في المسجد الإلكتروني تعمل على كشف مواهب مرتادي المسجد من: خطابة، وإلقاء، ونظم الشعر والنثر، وكتابة القصص... وغيرها من فنون الإبداع؛ وهذا من شأنه تحقيق العديد من المزايا، فهو من ناحية يتيح الفرصة لهذه المواهب لاكتشافها وتميئتها، وخصوصاً لمن يتسمون بالانطواء والخجل، ولا يجيدون التعبير عن أنفسهم، فاللقاء هنا من وراء حجاب الإنترنت يتيح انطلاق

هذه المواهب والقدرات بلا استحياء.

ومن ناحية ثانية، فإنه يعود بمردود إيجابي على المسجد نفسه وتطوير الخدمات التي يقدمها، ففي هذه الساحة مثلاً يمكن التعرف على الأشخاص المتمتعين بالحس الفني، أو بالخط الحسن، فربما شاركوا في تجميل المسجد، أو كتابة اللوحات الجمالية فيه.

وكل هذا يسهم في تقوية الروابط بين المسلمين في المسجد.

إلكتروني أو افتراضي؟

والآفاق ما زالت تتسع لكل جديد يمكن أن يسهم في تفعيل دور المسجد، ولكن ينبغي التأكيد على أن ما ندعو إليه ليس بديلاً عن دور المسجد نفسه، بل إنه الفرصة لتفعيل دور المسجد الحقيقي، وزيادة ترابط مرتاديه بالمسجد نفسه، وبيعضهم البعض وبالمجتمع، فسيظل المسجد دوراً للعبادة، وملتقى للمسلمين، إلا أن المسجد الإلكتروني ربما يؤدي دوراً مفقوداً - في الغالب - وهو الدور الاجتماعي والدعوي الريادي للمسجد، كما رسمه الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية.

لذا فإن المسجد الإلكتروني يختلف عن المسجد الافتراضي كلية، فالمسجد الإلكتروني "E- Masjid" هو خدمات إلكترونية لتفعيل دور المسجد الحقيقي، وتعميق الارتباط به، وليس بديلاً عنه، أما المسجد الافتراضي "Virtual Masjid" والذي برز في إطار ما يسمى بالـ "سكاند لايف" أو الحياة الافتراضية "Second Life" فهو فضاء افتراضي خيالي موجود على شبكة الإنترنت، ويحاكي دور المسجد الحقيقي من حيث إقامة الصلاة، والتجول فيه، وتناول المصاحف، وحضور الدروس، والاستماع إلى الخطب من خلال أسلوب المحاماة¹.

وهذا العالم على الرغم من أنه مفرط في الخيال، والبُعد عن الواقع، فإنه يُعدّ أيضاً وسيلة للدعوة إلى الإسلام في هذا العالم الافتراضي الذي يرتاده الملايين.

إلا أنه بهذه الكيفية ينعكس بمردود سلبي على بيوت الله في الأرض، حيث إن هذا العالم الافتراضي يأخذ الإنسان إلى عوالم خيالية مفرطة في البعد عن الواقع، فيصبح المسجد الافتراضي كأنه بديل عن المسجد الحقيقي، فالصلاة فيه تغني عن الصلاة في المسجد،

1- التعليم الإلكتروني، د. إبراهيم بن عبد الله المحيسن، مدير البحوث التربوية، جامعة الملك سعود بالرياض، 1423 هجرية.

والاستماع للدروس والخطب يغني عن حضورها في المسجد، والدعوة إلى الله فيه تصير بديلاً للدعوة على أرض الواقع، وفي هذا مظنة انغماس الشباب في هذه العوالم الافتراضية والانصراف عن المساجد.

أما المسجد الإلكتروني فلا يهدف إلى تبديل دور المسجد الحقيقي، بل إلى مزيد من تفعيله، فالمسلمون لن يقيموا شعائر الصلاة في المسجد الإلكتروني، بل سيدعوهم المسجد إلى الصلاة فيه، والشباب لن يستبدل العكوف على الموقع الإلكتروني للمسجد بالدعوة إلى الله في المسجد نفسه.

يمكن القول إنه في الوقت الذي يُعدّ فيه الـ"سكاند لايف" والمسجد الافتراضي محاولة للعالمية والكونية المخترقة للحوازر المكانية فيصبح المسلم الأوروبي والعربي أشد التصاقاً بمسلم أمريكي مثلاً في الفضاء التخلي أكثر من ارتباطه بجاره الذي يسكن معه في البيت نفسه، ويصبح متابعاً للأحداث العالمية في هذا الفضاء أكثر من متابعته لما يجري في الحي الذي يقطن فيه، ويصبح فرحه لإسلام شخص واحد من بلاد السند أحب إلى قلبه من هداية أبناء جيرانه جميعاً.

فإن "المسجد الإلكتروني" هو محاولة للعودة للمحلية والعالمية، وارتباط المسلمين بأحيائهم السكنية بالعودة لأحضان المسجد الذي يناديهم يومياً على شبكة الإنترنت، وتجميع شتات نفوسهم، وحشد جهودهم، حيث يمثل كل مسجد إلكتروني نسيجاً متفرداً يعبر عن خصوصية المكان والبشر واحتياجاتهم الحقيقية، يؤدي فيه المسلمون واجبه الدعوي تجاه أبناء مجتمعهم من رواد المسجد على أرض الواقع.¹

بعض المقابلات مع بعض المسلمين والأئمة بروما :

أجرى الباحث مقابلات مع رواد بعض المراكز من حملة المؤهلات العليا، وبعض أئمة المراكز الإسلامية بروما، وبعض المسلمين حديثي عهد بالإسلام من الإيطاليين، مع العلم بناء على قانون حفظ المعلومات الخاصة بالأشخاص لا نتطرق لذكر أسماء من أجرينا معهم هذه المقابلات.

كان هذا أول لقائتنا بإمام أحد المساجد في روما

1- المصدر السابق.

س. ما هي اهتماماتك اليومية؟

الدعوة إلى الله.

س. ما هي المشاكل التي تواجهك كمسلم في الغرب؟

العادات والتقاليد المختلفة بين الشرق والغرب، والمفاهيم الخاطئة التي استقاها الغرب من الإسلام والمسلمين سواء أكانت مرئية أو مسموعة أو مكتوبة، ومما ساعد على ذلك سلوك المسلمين غير الفاهمين لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

س. هل تؤدي المراكز الإسلامية دورها في الغرب؟

مما لا شك فيه أنها تؤدي عملاً إسلامياً، ولكن هناك من القصور ما يجعلها غير قادرة على القيام برسالتها على الوجه المطلوب.

س. ما هي اقتراحاتك لتفعيل المراكز الإسلامية لدعوة غير المسلمين؟

أولاً: إيمان الدعوة بواجبهم نحو الإسلام بعيداً عن أي مطامع شخصية.

ثانياً: تطوير الأشخاص القائمين على العمل الدعوي والإداري بالمراكز عن طريق دورات متعددة أو متفرقة عن إدارة العمل الدعوي.

ثالثاً: عدم التدخل والسماح للقائمين على الشؤون الدعوية بأن يمارسوا أعمالهم بحرية يضبطها الدين الإسلامي الحنيف، وليس لأهواء القائمين على إدارة العمل، كما أنه لا ينبغي للداعي أن يتدخل في عمل ليس من اختصاصه بالعمل الإداري بالمراكز.

س. ما هي اقتراحاتك لجذب المسلمين إلى المراكز الإسلامية؟

أولاً: القيام برحلات دينية وثقافية يدعى إليها غير المسلمين، مع مراعاة الجالية الإسلامية للسلوك الإسلامي أثناء اختلاطهم بغيرهم من غير المسلمين.

ثانياً: تقديم المعونات والمساعدات للفقراء والمحتاجين، وتقديم يد العون للمحتاجين.

ثالثاً: تشكيل لجان لحل وفض المنازعات على أساس من العدالة، وعدم المحاباة التي تؤكد مصداقية هذه اللجان.

رابعاً: إلقاء الدروس والمحاضرات المفيدة التي تربط واقع المسلمين بدينهم.

وجاء رد بعض المسلمين أصحاب الأعمال الحرة في نطاق المسجد كآلاتي:

عن دور المراكز الإسلامية في أوروبا:

إنه يجب بناء المدارس والنوادي في الغرب؛ لأن ذلك له أولوية قصوى بالنسبة لهم طبعاً، ثم قال الدعاة لم يستطيعوا استغلال أجواء الحرية في الخارج بشكل مناسب.

ثم أعقب بقوله: صراعات أبناء الجاليات الإسلامية أكبر إساءة لصورة الإسلام في الغرب.

أما خريجو المؤهلات العليا كان لهم رأي مختلف فقالوا:

قضايا الغرب تحتاج إلى دعاة خبراء.. والشباب الموجودون هنا لن يسدوا الفراغ.

سألتهم فقلت لهم:

س. لديكم انطباعات عامة عن الدعوة والمسلمين في الخارج.. هل يمكن أن

نتعرف على هذه الانطباعات؟

أول انطباع يمكن التركيز عليه هو افتقاد المسلمين لرؤى مستقبلية لواقعهم هناك؛ وذلك بسبب عدم وجود قيادة - أياً كانت هذه القيادة -.

وحتى إذا وجدت هذه القيادة فإنها تكون وقتية أو متذبذبة، لكن هناك - مع ذلك - بعض التيارات القوية التي تحاول وضع إستراتيجيات وخطط لواقع المسلمين ومستقبلهم في الدول التي يعيشون فيها، وأعتقد أن أهم شاغل هو توطين الدعوة الإسلامية في الغرب، وهو شيء طيب، لكنه يحتاج إلى جهود سياسية، واقتصادية، وإعلامية، وتربوية.

والانطباع الثاني المهم هو مشكلة المسلمين الجدد الذين لا يجدون رعاية ولا اهتماماً حقيقياً بهم لتعليمهم الدين الصحيح، وطبيعة الإسلام، وذلك على الرغم من فرحة الدعاة المسلمين بإعلان شخص إسلامه، ولكنهم يظنون أنهم بعد فترة وجيزة من الرعاية قد فهموا الإسلام وفهموا كل شيء، بينما هم في حقيقة الأمر ما زالوا بعيدين عن الإسلام، ولذلك فكثيراً ما يفاجأ المسلمون أن شخصاً أسلم ثم ما لبث أن ارتد عن الإسلام، ويحدث هذا غالباً مع النساء، وإذا لم يرتد هذا الشخص، أو هذه المرأة فإنه يصبح مسلماً بالهوية فقط، وهذا يجعلنا نؤكد أن المسلمين الجدد في حاجة إلى رعاية خاصة من خلال وضع برامج للارتقاء والاهتمام بهم وتنمية معارفهم الإسلامية.

ثم سألتهم ماذا عن المسلمين الوافدين على الدول الغربية ويعيشون فيها؟

من انتقلوا إلى دول الغرب للإقامة الدائمة أو المؤقتة بها هم إلى حد ما تربوا على قيم ومبادئ إسلامية؛ الأمر الذي يساعدهم على الحفاظ على دينهم بصورة أكبر، ولكن المشكلة الحقيقية في أبناء هؤلاء المهاجرين الذين يواجههم عدم وجود مؤسسات تعليمية إسلامية مستقلة إلا نادراً، فيتوجهون إلى المدارس الأجنبية التي تجعلهم يذوبون فيها، فينسون اللغة العربية والعادات والدين، وتفرض عليهم عادات وتقاليد أخرى، خاصة مع طول وقت الدراسة من خلال الأنشطة الدراسية المختلفة، وهي أنماط وثقافات غربية بحثة، والمطلوب لمواجهة هذه المشكلة أن تتصرف جهود المسلمين إلى بناء المدارس الإسلامية؛ لأن ذلك يعتبر في نظري أولى من إنشاء مساجد جديدة؛ فالمساجد كثيرة جداً، وهناك بفضل الله مسلمون أثرياء يمكنهم القيام بهذه المهمة، والمسلمون يحتاجون أيضاً إلى أندية خاصة يمارسون فيها أنشطتهم الترويحية، بعيداً عن الأنماط الغربية في هذا الشأن.

سألت بعض الأئمة والدعاة لبعض المراكز فقلت لهم:

س. كثيراً ما توجه أصابع الاتهام للمسلمين في الغرب بسبب خلافاتهم المذهبية.. ما حقيقة ذلك؟

مشكلة الخلافات والانشقاقات بين المسلمين هناك تأتي نتيجة نقلهم أمراضهم الاجتماعية والفكرية من بلادهم إلى البلاد الجديدة التي نزحوا إليها، وذلك فضلاً عن الخلافات المذهبية في فهم الدين الإسلامي ومقاصده، والتركيز على الخلافات الفقهية في الفروع، وأعتقد أن هذه المشكلة من إفراز المجتمعات التي كانوا لا يشعرون فيها بالأمن، فعندما يخرجون ويجدون حرية التعبير عن الرأي يحاولون استغلال ذلك بشكل خاطئ، فيسعون إلى فرض آرائهم على غيرهم من المسلمين، وهو ما يخلق كثيراً من المشكلات.

س. هذه كلها مشكلات تحيط بالمسلمين في دول المهجر.. فماذا عن الإيجابيات؟

بالطبع هناك إيجابيات، ومبشرات تحمل على التفاؤل، ومن بين ذلك نذكر الإقبال المتزايد على الإسلام من قبل غير المسلمين - حتى بعد أحداث سبتمبر - وسعيهم للتعرف على حقائقه، وهناك أيضاً حرية الحركة، وإقامة الأنشطة الإسلامية المختلفة في إطار القانون.. هذا بالإضافة طبعاً إلى عدم التضييق على المسلمين، وعدم الرقابة على المراكز الإسلامية.

س. تتحدثون عن الحرية في الغرب.. فهل يحدث بسببها مواجهات بين الدعاة والمستشرقين أو أي مُعادٍ يحاول تشويه صورة الإسلام؟

أنا لم أقل إنها حرية مطلقة، فهي حرية لها سقف، ولكنها غير متاحة للدعاة في بلاد المسلمين، والشيء الآخر أن دعوة أي مسلم لغيره من المسلمين لا تجد معارضة من سلطات البلدان الغربية؛ لأن هناك حرية رأي و عرض للأديان - وليس فرضها طبعاً - وبالنسبة للمواجهات التي تسألني عنها، فهناك بالتأكيد صراع مع كل من يتصدى للإسلام في هذه الدول بإثارة الشبهات حوله، وللأسف الشديد فإن هذا الصراع يبدو غير متكافئ - حتى الآن - لأن إمكانات المسلمين للتصدي لهذه التيارات تبدو ضعيفة.

س. هل ترى أن تأهيل الدعاة وإعدادهم بشكل جيد.. وإيفادهم إلى تلك الدول يمكن أن يكون مجدياً في القضاء على الخلافات المذهبية التي نقلها المسلمون إلى المجتمعات الجديدة؟

أنا شخصياً مهتم بهذا الموضوع غاية الاهتمام، ولذلك فقد قمت بكتابة دراسة عن فكرة إنشاء معهد أو مؤسسة تحتضن الدعاة، وتكفلهم مادياً ومعنوياً، وتكون مهمة هذه المؤسسة تعليم الدعاة اللغات المختلفة بجانب حفظ القرآن، ودراسة العلوم الإسلامية المختلفة، وهذه الدراسة عرضتها على عدد من علماء المسلمين الكبار، ومنهم الدكتور يوسف القرضاوي الذي قال لي بعد ذلك: إنه حاول محاولات كثيرة لإخراج هذا الاقتراح إلى النور، لكنه لم يجد - بعد - معيناً عليه. ويكفيني القول: إنني رأيت في إحدى الدول الغربية أشخاصاً يسمون أنفسهم دعاة وعلماء دين، إلا أنهم يسهمون في إعطاء صورة سيئة عن الإسلام؛ بسبب أمور شخصية، مثل طلبه الحصول على أموال، أو بسبب أخلاقه ومعاملاته الشخصية، وفي المقابل أيضاً فهناك دعاة مخلصون، وهم كثير، ولكن أوضاعهم المعيشية سيئة ولا تساعد على الحركة للدعوة.

س. ماذا عن دور المراكز الإسلامية في الدعوة إلى الله؟

يجب أولاً إعداد وتأهيل الدعاة، فنقول: إنه توجد الكلية الإسلامية الأوروبية في أوروبا، وتجري الآن مساعٍ لإقامة فرع لها في إنجلترا، إضافة إلى الجامعة الإسلامية في الولايات المتحدة، ويبقى أن نقول: إن مشكلة هذه الجامعات أن العلم فيها يتم عن بعد؛ أي بالمراسلة، وهذا غير كافٍ، لكنه يحل جانباً من مشكلة إعداد الدعاة.

س. لكن ما هو دور المؤسسات الإسلامية الرسمية في تأهيل الدعاة؟

ما لمستَه أن الجهود التي بذلت لهذا الغرض، مثل تأسيس تعليم اللغات والترجمة ببعض المراكز، من خلال إنشاء قسم للدراسات الإسلامية باللغة الإيطالية، لم تؤتِ الثمار المرجوة بعد، ولا بد من بذل مزيد من الجهد والوقت والمال؛ من أجل بلوغ المراد، وتحسين صورة الإسلام في الغرب.

س. ما تقويمكم للمستوى العلمي للعلماء والدعاة المسلمين في الغرب؟

كثير من القيادات الدينية والعلماء في هذه الدول - سواء الأئمة أم غيرهم - من الشباب الذين يفقدون حنكة الشيوخ، وفقههم، وتعمقهم في العلم، هذا فضلاً عن كون أكثرهم من المتطوعين غير المتخصصين، وأوضاع الدول الغربية تتطلب عالماً قادراً على علاج المشكلات والمسائل المستجدة التي تطرح عليه، وتحتاج إلى اجتهاد أو قياس، وهو ما لا يفيد فيه غالباً عالم محدود المعارف قليل الخبرات.

وحتى إذا زار العلماء الكبار هذه الدول، فهي زيارات مؤقتة لا تشبع نهم المسلمين ورغبتهم في التعلم، وتجب الإشارة هنا إلى أن الإنترنت والقنوات الفضائية تسد جزءاً من هذا الفراغ، لكن يبقى وجود شيخ وسط الناس يستفتونه ويلجئون إليه في أي وقت أمراً مهماً.

س. أريد أن تصف لي كيف ينظر الغرب الآن للمسلمين؟

معظم الناس في الغرب غير متقفين؛ لأنهم يشغلون أنفسهم بالعمل طوال الوقت، والقلّة فقط متقفون، وهم الذين يهتمون بالقضايا الخارجية، وغالباً ما يتأثرون بما تبثه وسائل الإعلام التي تصور المسلمين دائماً في موقف المتهم بالإرهاب.

س. وهل هناك محاولات لتصحيح هذه الصورة.. وكيف؟

بالطبع هناك جهود للتصحيح، لكنها فردية، فقد رأيت مثلاً المسلمين هنا في إيطاليا يسعون للوصول إلى كل الأماكن لتصحيح صورة الإسلام - حتى في الكنيسة - وهناك يقومون بعرض الإسلام والتعريف بحقيقته، وهذا هو محور تركيز المسلمين الآن..

س. وحركة الترجمة هناك.. وصلت إلى أين؟

هناك فرق كبير في حركة الترجمة بين الشرق والغرب، وهي تحتاج لأناس أصحاب كفاءة علمية ولغوية، يساندهم دعم مالي، من خلال مؤسسات تقوم على أمر الترجمة؛ حتى لا تكون مجرد جهود فردية.

أين أنتم من التقدم التكنولوجي لنشر الإسلام الصحيح؟

أخي، أنت محق ولكن ضعف المادة، وعدم وجود تنمية حقيقية للمراكز الإسلامية في إيطاليا تقف عائقاً أمام استخدام هذه الوسائل المتاحة عن طريق الشبكات العنكبوتية، ولربما يكون لنا دور فعال قريباً، إن شاء الله.

التوصيات والنتائج بعنوان الماء مول

التوصيات والنتائج بعنوان المأمول

مصاعب اليوم وهموم الغد:

المصاعب والهوموم تتبع كما هو معروف من اختلاف البيئة، وتحديات التأقلم مع البلد، مع تجنب ما في هذه القضية من سلبيات ومخاطر خصوصاً على الجيل الناشئ، وقد بدأت فعلاً بعض نتائج الاندماج غير المدروس وغير المراقب تظهر على مستوى الشباب الناشئ من الجنسين من تقلت أخلاقي، وانجراف مع التيارات المشبوهة، والانسلاخ عن كل ما هو إسلامي وأخلاقي، إضافة إلى تورط بعض منهم في شبكات تهريب المخدرات والسرقة. الانسلاخ الحضاري أكبر الأخطار وأعظمها:

وتعد هذه المعضلة الكبرى وهاجس الخوف الذي يلوح للمغتربين عند أول وصولهم للبلد، وبدء احتكاكهم بمشاكله وظروفه، وتبقى هاجساً مسيطراً على الأهل الذين يخشون من انجراف أبنائهم مع موجة الفساد، والإباحية السائدة، والتي تحاصر المجتمع في البيت، والشارع، والمدرسة، وأماكن العمل.

التحديات:

- 1- حالة الذوبان في المجتمع الأوروبي ومشكلات الزواج المختلط.
- 2- جهل بعض المسلمين بتعاليم الإسلام.
- 3- الخلافات بين القوميات.
- 4- المعاناة من الفرق الضالة والتحديات المحلية.

المتطلبات والمأمول:

بعد هذه الخبرة التي من الله بها علينا في إيطاليا وبعد أن أتمنا البحث من فضل الله ، نستطيع أن نجمل واجبات المسلم في أوروبا إزاء هذه المواقف في النقاط التالية:

- 1- السعي الحثيث للحفاظ على الهوية والشخصية الإسلامية الفردية والجماعية.
- 2- السعي لتقديم النموذج الأكمل للإنسان الواعي المدرك لواجبه تجاه مجتمعه وعقيدته.
- 3- العمل على تفهم الموقف الإسلامي الصحيح وإعلانه للآخرين، وتوضيح الموقف الإسلامي أمام الشبهات المثارة ضده.

- 4- تحقيق التواصل الإسلامي بين كل المجموعات الإسلامية، والإحساس الكامل بآلامها وآمالها، وملء الفراغات الاقتصادية والاجتماعية قدر الإمكان.
- 5- السعي لإيجاد التوازن المطلوب بين مقتضيات الهوية ومتطلبات المواطنة بالشكل الذي يحقق الاستجابة لكليهما، ولن يعدم المسلم السبل الكفيلة بذلك.
- 6- المساهمة الجادة في كل الخطوات الاجتماعية الإيجابية، سواء على الصعيد الوطني، أو الاقليمي، أو العالمي، والحذر من الخطوات السلبية التي يرفضها الإسلام، وللمسلم متسع في تجنبها.
- 7- المطالبة التامة والملحة بالحقوق الاجتماعية والسياسية الطبيعية، واتخاذ مختلف السبل لإعلان الصوت الإسلامي الحق.
- 8- الوقوف الصُّلب مع القضايا الإسلامية الحقة في شتى أنحاء العالم الإسلامي، والانسجام الكامل مع المسؤولية الإسلامية العامة.
- 9- التركيز على عملية التوعية الداخلية بأحكام الإسلام ومفاهيمه، وهذا يعني القيام بمختلف النشاطات التي تؤمن استمرار التدفق المعنوي للمعلومات إلى العقول والأذهان، مع التركيز في هذا الجانب على الناشئة والشباب؛ لأنهم في معرض الخطر الإعلامي المضل، أو للأخلاقي المحطم للشخصية.
- 10- تأكيد حضور الاجتماعات العبادية العامة، كالجمعة، والعيد، والحج، وأمثال ذلك.
- 11- السعي الجاد والحثيث؛ لكسب التقدم العلمي والاجتماعي المطلوب.
- 12- الحاجة إلى دعاة يجيدون اللغات المختلفة لتبليغ دين الله.
- 13- الحاجة إلى المدارس الإسلامية لتدريس العلوم الإسلامية.
- 14- الحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغات المختلفة.
- 15- تخصيص بعض المنح الدراسية لأبناء المسلمين بإيطاليا.
- 16- العمل على وحدة الصف بين المسلمين في إيطاليا.
- 17- العمل الجاد الموحد لنزع اعتراف إيطاليا بالدين الإسلامي.

وبعد . فقد آن لهذا القلم أن يوضع ولهذا البحث أن يبلغ غايته وإن لم أقض منه كل لباناتي ففي النفس منه بقيات لاكن لم يعد في قوسي منزع والأمر إذا اتسع ضاق والرجاء أني أتيت بجملته وأشهر مسائله وأظهر أمثلته ومايد لي منه دقة نظر أو تجلية مدرك فقهي معتبر أو وضوح دلالة أو فقاهاة تخريج أو طرافة موضوع أو ماكان منها في حاجة العصر ومدرجة إلى تجديد الاجتهاد فيها لم آل فيه جهدا ولم أدخر عنه وسعا ولم أقصر فيه عن ندى وأرجوا أن يكون ما قدّمته في هذه البحث لبنةً طيبةً متماسكةً تصلحُ لاعتمادها والبناء عليها في المجتمع الاسلامي و الغربي .

وهذا منها هو مبلغ العلم وجهد المقل وقدر الوسع ومدى الوقت وغاية الطاقة وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان .

اللهم إنّي أسألك حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، اللهم توفّني مُسليماً وألحقني بالصالحين، ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله ربّ العالمين .

الباحث : محسن مبارك عرفة

المصادر والمراجع

مراجع شرعية:

- 1- الأقليات الإسلامية والحل الإسلامي؛ ليوسف القرضاوي، دار وائل للنشر، عمان 2003، ط 1 -
- 2- الدعوة إلى الإسلام، لتوماس أرنولد، ترجمة وتحقيق حسن عابدين، الناشر مكتبة النهضة المصرية 1971.
- 3- الإسلام والآخر الحوار هو الحل؛ لحمدي شفيق، الناشر فهرس مجلة رسالة الإسلام، عام 1949م.
- 4- أحكام أهل الذمة لابن القيم (الناشر: رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت 1418 - ط 1).
- 5- أصول الدعوة: المؤلف: عبد الكريم زيدان الناشر مؤسسة الرسالة عام 2002 عدد المجلدات: 1 الطبعة الثالثة
- 6- كنز العمال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين، ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري، تحقيق بكري حياني، (الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، عام 1401 هجرية).
- 7- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار.
- 8- جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، تقديم مشهور بن حسن آل سليمان، ط 1 - دار ابن الجوزي.
- 9- مصنف ابن أبي شيبة، لأبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، دار النشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- 10- الاستقامة، لابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، عام 1421 هجرية.
- 11- الصواعق المرسلية، لابن القيم، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر دار العاصمة، 1408هـ - ط - الأولى.
- 12- جامع البيان، للطبري. (تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي)، الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، عام 1422 هجرية - ط - الأولى.

- 13- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: دار الكتب العلمية - بيروت: 1988م.
- 14- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت: 1988م.
- 15- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، الناشر دار سحنون، دار السلام عام 2006.
- 16- البدعة: أسبابها ومضارها، لمحمود شلتوت، بواسطة علم أصول البدع، لعلي بن حسن الحلبي. الناشر مكتبة ابن الجوزي - السعودية - ط - الأولى عام 1408 هجرية.
- 17- فيض القدير، للعلامة المناوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م.
- 18- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي - تحقيق محمد باسل عيون السود، (الناشر دار الكتب العلمية، بيروت. ط-الأولى عام 1418 هجرية).
- 19- البداية والنهاية، لابن كثير. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر دار الحديث القاهرة، ط. الأولى.
- 20- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- 21- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد للطباعة، عام النشر: 1416هـ/1995م.
- 22- جامع البيان، لمحمد الشيرازي الشافعي. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى عام 1424 هجرية.
- 23- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا الويحق، (الناشر دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ط - الأولى 1422 هجرية 2010 م).
- 24- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبي محمد، حققه الشيخ أحمد شاكر، ط-1، الناشر دار الآفاق بيروت.

- 25- الإسلام وضرورات الحياة، للدكتور عبد الله بن أحمد الأهدل، ط - 2 (1410 هجرية 1990م).
- 26- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد بن أحمد مسعود اليوبي، الناشر دار الهجرة - ط. 1 عام 1418 هجرية 1998م.
- 27- فتح القدير للشوكاني، الناشر دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت عام 1414 هجرية. ط 1.
- 28- المسلمون في أوروبا، للدكتور علي بن المنتصر الكتاني، الناشر دار الكتب العلمية، ط 1 سنة 2005 م 1426.
- 29- الأسلوب التربوي للدعوة في العصر الحاضر، لخالد الخياط، ط 1 (دار المجتمع: جدة ، 1412هـ).
- 30- أسس الدعوة وآداب الدعاء، للدكتور السيد محمد الوكيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1-1.
- 31- سماحة الإسلام، للدكتور أحمد الحوفي، الناشر المطبعة الأميرية القاهرة، ط - 1 1422 هجرية.
- 32- تلبيس مردود في قضايا حية، لصالح بن حميد، الناشر دار العاصمة - الرياض - 1431 هجرية.
- 33- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام؛ للشيخ محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط 1، 1409هـ.
- 34- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام؛ لصالح العايد، طبعة الأوقاف السعودية 2011.
- 35- المغني، لابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلوم. الناشر التراث العربي - ط 1 عام 620 هجرية.
- 36- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة؛ لأحمد الريسوني، ومحمد الزحيلي، ومحمد عثمان شبير، الناشر وزارة الأوقاف السعودية عام 2009.
- 37- الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة، لعبد السلام الهراس - وزارة الأوقاف السعودية 2010.

- 38- التعامل مع الآخر، شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية؛ لإبراهيم بن محمد الحمد المزيني، الناشر مركز الملك عبد العزيز 2006.
- 39- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي، الناشر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، عام 1418 هـ.
- 40- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت عام 1415 هجرية.
- 41- القول السديد، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تقديم الشيخ صالح بن فوزان (الطبعة الأولى - دار ابن القيم، الرياض).
- 42- القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة، لمحمد أحمد خلف الله، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1982.
- 43- رجال حول الرسول، لخالد محمد خالد - ط 1، المكتبة العصرية بيروت.
- 44- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية: رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت - ط-1.
- 45- محمد بن وضاح القرطبي، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، عام 1416 هجرية ط - 5.
- 46- الأقليات الإسلامية والحل الإسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي، دار وائل للنشر عمان، 2003 ط - 1.
- 47- الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة وتحقيق حسن عابدين، الناشر مكتبة النهضة المصرية 1971.
- 48- الإسلام والآخر الحوار هو الحل، لحمدي شفيق، الناشر فهرس مجلة رسالة الإسلام، عام 1949م.
- 49- حول تطبيق الشريعة، للأستاذ محمد قطب، الناشر دار القلم، دمشق، سنة 1432 هجرية.
- 50- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار.
- 51- جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، تقديم مشهور بن حسن آل سليمان، ط - 1 - دار ابن الجوزي.
- 52- مصنف ابن أبي شيبة، لأبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، دار النشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

- 53- الاستقامة، لابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- 54- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط -1 الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1423هـ.
- 55- الصواعق المرسله، لابن القيم، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر دار العاصمة 1408هـ - ط - الأولى.
- 56- جامع البيان للطبري. (تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي)، الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان عام 1422 هجرية - ط - الأولى.
- 57- تاريخ الطبري، لأبي جعفر الطبري، الناشر دار التراث بيروت ط - 2 عام 1387 هجرية.
- 58- فتوح مصر، (تحقيق محمد الحجيري، الناشر دار الفكر بيروت، عام 1416 ط - الأولى).
- 59- الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل، تحقيق صبري بن سلامة شاهين، الناشر دار الثبات للنشر والتوزيع ط -1 2010.
- 60- البدعة: أسبابها ومضارها، لمحمود شلتوت، بواسطة علم أصول البدع، لعلي بن حسن الحلبي. الناشر مكتبة ابن الجوزي - السعودية - ط - الأولى عام 1408 هجرية.
- 61- فيض القدير، للعلامة المناوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ - 1994م.
- 62- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي - تحقيق محمد باسل عيون السود (الناشر دار الكتب العلمية بيروت. ط-الأولى عام 1418 هجرية).
- 63- البداية والنهاية، لابن كثير. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر دار الحديث القاهرة ط. الأولى.
- 64- دور الأسرة في تعليم الأبناء، للدكتور راغب السرجاني - مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع القاهرة ط - الأولى.
- 65- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد للطباعة عام النشر: 1416هـ/1995م.

- 66- جامع البيان، محمد الشيرازي الشافعي. تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى عام 1424 هجرية.
- 67- أسامة بن زيد: أصغر قائد في الإسلام، لعلي الجمبلاطي، وعبد المنعم قنديل، طباعة جمهورية مصر العربية، وزارة التربية والتعليم، قطاع الكتب، نهضة مصر سنة 2004.
- 68- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا الويحق، (الناشر دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ط- الأولى 1422 هجرية 2010م).
- 69- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبي محمد، حققها الشيخ أحمد شاكر، ط-1 الناشر دار الآفاق بيروت.
- 70- الإسلام وضرورات الحياة، للدكتور عبد الله بن أحمد الأهدل، الناشر دار المعرفة - بيروت ط - 2 (1410 هجرية 1990م).
- 71- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، لمحمد سعد بن أحمد مسعود اليوبي، الناشر دار الهجرة - ط. 1 عام 1418 هجرية 1998م.
- 72- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، وهداية المرشدين، دار الاعتصام عام 1399 هجرية، ط - التاسعة.
- 73- العمل الفردي والجماعي، للدكتور عبد الله ناصح علوان، ط-1 الناشر دار القلم دمشق.
- 74- تفسير المنار؛ للأستاذ رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.
- 75- عقيدة المسلم، لأنور الجندي، الناشر دار الاعتصام، القاهرة سنة 1946.
- 76- تفسير البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.
- 77- فتوح مصر والمغرب، لأبي القاسم المصري، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: 1415.
- 78- حقوق الإنسان في الإسلام؛ لعبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
- 79- البيهقي، دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق د- عبد المعطي قلعجي الناشر، دار الكتب العلمية، 1408 هجرية.

- 80- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب. الناشر - دار الشروق - بيروت، ط 17، عام 1412 هجرية.
- 81- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير. الناشر - دار طيبة للنشر والتوزيع، عام 1422 هجرية.
- 82- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر الطبري، الناشر دار المعارف مصر - ط 2 - 1998.
- 83- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، الناشر دار الجبل - بيروت، عام 1973.
- 84- الإسلام والآخر الحوار هو الحل، لحمدي شفيق. الناشر الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - عام 2010.
- 85- الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة؛ لعبد السلام الهراس، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية من دون بيانات، 2010.
- 86- كتاب الاستقامة، لابن تيمية، الناشر جامعة محمد بن سعود المدينة المنورة 1403.
- 87- الطريق إلى جماعة المسلمين، لحسين بن محمد بن علي جابر، الطبعة الثانية 1408هـ - 1987م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ش م م المنصورة.
- 88- كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة - موقع الشيخ سعيد بن وهف القحطاني.
- 89- سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 90- كتاب عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، للدكتور محمد أحمد ملكاوي- الناشر: دار ابن تيمية الرياض 1992.

مراجع ثقافية

1. شمس العرب تَسَطَّعَ على الغرب، لزيغريد هونكة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط-1، 2001.
2. أصول العمل السياسي للحركة الإسلامية المعاصرة، لعدنان سعد الدين، طباعة مكتبة مدبولي القاهرة، سنة 1989.
3. الطفل والعلاقات الأسرية، للدكتور أحمد أوزي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2002.
4. دور المدرسة والأسرة في تنشئة الأفراد وتنمية الجماعات، بحث أنجزه الأستاذ: عبد الوهاب بوتعلولت.
5. التنمية في عالم متغير، للدكتور إبراهيم العيسوي، الناشر دار الشروق القاهرة، سنة 2001.
6. دور الإعلام في تنمية الانتماء لدى الطفل، لوليد نادي، 2012، وزارة الثقافة، الإدارة المركزية للدراسات والبحوث.
7. دراسات في الإعلام والتنمية العربية، لصلاح أبي إصبع، الناشر مؤسسة البيان، دبي 1989.
8. الجابري، لمحمد عابد: «الروافد الفكرية العربية والإسلامية لمفهوم التنمية البشرية»، ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م).
9. التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات - لإبراهيم العسل: (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996م).
10. مهارات التفكير، للدكتور جودة أحمد سعادة، دار الشروق للطباعة الأردن، سنة 2003.
11. الحوار من أجل التعايش، للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق - القاهرة الطبعة الأولى 1419هـ/1998م.
12. علم الاجتماع السياسي، للدكتور إبراهيم أبراش، (الناشر دار الشروق للنشر والتوزيع عام - ط 1998).
13. مختار الصحاح للرازي، الناشر، مكتبة لبنان بيروت عام 1986.

14. آداب المعلمين والمتعلمين، تعليق محمد العروسي المطوي، دار ابن سحنون (دار الكتاب الشرقية، تونس 1972).
15. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لابن جماعة (دار الكتب العلمية، بيروت 1354هـ).
16. برهان الإسلام، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان قباني - الزرنوجي، (المكتب الإسلامي، بيروت 1981).
17. ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (دار الكتب العلمية، بيروت 1354هـ).
18. الزرنوجي، برهان الإسلام، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان قباني، (المكتب الإسلامي، بيروت 1981).
19. مفهوم التنمية من منظور إسلامي، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، دار الباز، الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار الباز، الطبعة الأولى.
20. مكافحة جريمة السرقة في الإسلام: تأليف خليفة البراهيم الصالح الزرير، الطبعة الأولى، نشر مكتبة المعارف بالرياض.
21. علم الاجتماع السياسي، للدكتور إبراهيم أبراش (الناشر دار الشروق للنشر والتوزيع - ط1 1998).
22. التعليم الإلكتروني، للدكتور إبراهيم بن عبد الله المحيسن، مدير البحوث التربوية جامعة الملك سعود، الرياض، 1423 هجرية.

الدوريات والمجلات

1. عمر أمريس، قراءة لكتاب مصطفى حدية "سيرورة التنشئة الاجتماعية في الوسط الحضري بالمغرب"، مجلة الرسالة التربوية 1993م.
2. ندوة مجتمع ظفار (سلطنة عمان) التربوي، بعنوان دور الإعلام في تنشئة الأجيال عام 2012م.
3. نظرية التنمية السياسية المعاصرة، لنصر محمد: (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992م).
4. التربية والتعليم والمجتمع المدرسة والأسرة أية علاقة؟ مقال لمحمد أذخيس، في مجلة فضاءات تربوية، العدد 3 السنة 3 مارس 1997م.
5. مجلة (الرسالة) العدد: 662. 20 سبتمبر 2012م.
6. منار الإسلام، العدد: 8 السنة: 21 غرة شعبان 1416هـ.
7. المسلمون في الغرب.. بين الرغبة في التعايش وتحديات الاندماج، جريدة العرب الدولية - الشرق الأوسط بتاريخ 28 يونية 2011 - رابط
(=http://classic.aawsat.com/details.asp?section=17&article
8. جريدة العرب الدولية - الشرق الأوسط، بتاريخ 28 يونية 2011م - رابط
(=http://classic.aawsat.com/details.asp?section=17&article
9. نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، للدكتور موسى رشيد حتاملة، كلية الدراسات العربية والإسلامية- دبي (مجلة المجتمع رابط.
http://www.majma.org.jo/G05/05/04/06

المراجع الإلكترونية

1. المسلمون في الغرب، المسلمون في الغرب واقع وآفاق، للأستاذ عمر محاسن، (رابط
http://www.imames.com/index.php?option=com_content&view=article&id=50:2010-01-23-11-28-31&catid=36:moslimoun-fi-gharb&Itemid=55)
2. موقع بصائر الفكر، المسلمون في الغرب.. بين الاندماج وصراع الهوية (رابط
[/http://www.basaer-online.com](http://www.basaer-online.com))
3. بناء الدولة الصالحة، للدكتور يوسف القرضاوي (رابط)
[-http://www.qaradawi.net/new/library2/280-2014-01-26](http://www.qaradawi.net/new/library2/280-2014-01-26)
4. موقع طريق الإسلام، مقال تحت عنوان: المسلمون في الغرب أخطار وتحديات (رابط
[./http://ar.islamway.net/article/19543](http://ar.islamway.net/article/19543))
5. مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات، للدكتور صبري محمد خليل/ أستاذ فلسفة القيم
الإسلامية بجامعة الخرطوم- رابط [http://www.alrakoba.net/articles-action-](http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-31272.htm)
[show-id-31272.htm](http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-31272.htm)
6. إبراهيم جلال أحمد محمد، أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا. نشر في جامعة أم القرى،
بتاريخ 24 أكتوبر 2014 (رابط <https://uqu.edu.sa/page/ar/93204407>)
7. وسائل التعليم وتأثيرها في بناء الشخصية، (مدونة الأساتذة، بقلم الأستاذ حميد الحجاجي
رابط - <http://alkhatib.alafdal.net/t191>)
8. صحيفة اليوم التالي السوداني، بتاريخ 21 ديسمبر 2013م (رابط
<http://www.alyoumaltali.com>)
9. أثر التقنيات الحديثة على سلوك الطفل (مركز أملي للتدريب والاستشارات، حققه الإمام
محمد بن سعود) - موقع السعودية اليوم
[http://www.alriyadh.com/Contents/2001/01/22-01-](http://www.alriyadh.com/Contents/2001/01/22-01-(2001/page15.html)
[2001/page15.html](http://www.alriyadh.com/Contents/2001/01/22-01-(2001/page15.html))
10. إشكالية العنف في التربية ووسائل الإعلام، للدكتور محمد أحمد النابلسي، أستاذ الطب
النفسي / لبنان - رابط
http://www.hayatnafs.com/mona3at_fi_alnafs/violenceineducationandmedia.htm

11. رسالة في الدماء الطبيعية، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين.

(11/ 332 – 333) رابط (www.islamport.com)

12. الوظيفة الأيديولوجية والتسلق الطبقي. مقال للأستاذ محمد الحنفي في منتديات أسرة التعليم،

بتاريخ 30 مارس 2007م (رابط <http://ousrattalim.jeun.fr/t162-topic>)

13. نقلًا عن ويكيبيديا، الموسوعة الحرة رابط <http://ar.wikipedia.org/wiki>

14. وزارة الداخلية الإيطالية (رابط

<http://www.interno.gov.it/mininterno/export/sites/default/it/temi/i>
([mmigrazione](#))

15. المهارات الفنية للخطيب، للدكتور يسري محمد هانى، (رابط -

<http://www.manaratweb.com>

الفهارس

مقدمة البحث - 4

1- جغرافية إيطاليا 14

جغرافية إيطاليا: 15

كيف وصل الإسلام إلى إيطاليا؟ 19

الفصل الأول Error! Bookmark not defined.

المراكز الإسلامية ودورها في الغرب 33

المبحث الأول: 33

فضل الدعوة إلى الله: 34

الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد: 37

فصل: 40

المبحث الثاني Error! Bookmark not defined.

ثمرة نشر الدين الحنيف: 46

مقاصد الشريعة في حفظ الدين: 46

مقاصد الشريعة في حفظ النفس: 51

مقاصد الشريعة في حفظ العرض والنسل: 55

1- الترغيب في تكثير النسل: 57

2- الترغيب في النكاح: 58

مقاصد الشريعة في حفظ العقل: 67

1 - جعل الله العقل مناط التكليف: 67

أ- مفسدات حسية: 67

ب- مفسدات معنوية: 69

- 69 3- عقوبة شرب المسكر:
- 70 مقاصد الشريعة حفظ المال:
- 72 مكانة المال في الإسلام:
- 73 وسائل حفظ المال من جانب الوجود:
- 75 المقاصد الشرعية في الأموال:
- 80 مقصود الشريعة في السلام النفسي والمجتمعي والعالمي:
- 87 المبحث الثالث**
- 87 دور المراكز الإسلامية في دعوة عصاة المسلمين:
- 88 الموعدة الحسنة وأنواعها:
- 88 النوع الأول: وعظ التعليم:
- 90 الترغيب والترهيب:
- 91 المسلك الأول: الترغيب والتبشير ():
- 95 النوع الثالث: الترغيب بالوعد بالخير الآجل الأعظم في الآخرة:
- 95 النوع الرابع: الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم:
- 96 القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات:
- 97 المسلك الثاني: الترغيب والإنذار:
- 99 النوع الثاني: الترغيب بالإنذار من حلول العذاب العاجل:
- 105 المبحث الرابع**
- 105 دور المراكز الإسلامية في دعوة غير المسلمين:
- 105 أولاً كيفية إعداد الداعية:
- 105 د الداعية .وجوب تبليغ الدعوة وإعداد الدعاة:
- 106

- 110 السلام النفسي والعاطفي للداعية:
- 112 مكانة الدعوة في الإسلام:
- 115 دور القرآن الكريم وأهميته في دعوة غير المسلمين
- 121 الشروط الواجب توفرها في الداعية الذي يدعو غير المسلمين
- 122 المبحث الخامس**
- 122 دراسة حالة المركز الإسلامي - دار السلام - روما
- 122 جغرافياً - دعويًا - تربويًا - تنمويًا - اقتصادياً
- 122 جغرافياً:
- 122 أنشطة المسجد الدعوية:
- 125 نبدأ أولاً في بيان المقصود من الدعوة الفردية:
- 126 ثانياً بيان المقصود من الدعوة الجماعية:
- 127 أولاً: أبرز سلبيات الدعوة الفردية للخطيب وإيجابياتها:
- 130 ثانياً: إيجابيات الدعوة الفردية:
- 135 تربويًا:
- 136 دور الأسرة:
- 138 دور الأب والأم:
- 140 مفهوم المدرسة:
- 141 وظائف المدرسة:
- 142 وظائف المدرسة:
- 142 أ - الوظيفة التعليمية التكوينية:
- 144 ب - الوظيفة التربوية:

- 145 ت - الوظيفة الأيديولوجية:
- 152 الإعلام ودوره في تنشئة الأجيال:
- 154 أولاً: الإعلام وأهميته:
- 154 تعريف الإعلام:
- 154 وظيفة الإعلام:
- 155 أهمية الإعلام:
- 156 ثانياً: دور الإعلام في تنشئة الأجيال:
- 156 المؤثرات (التربوية) على الناشئة:
- 158 كيفية تأثير وسائل الإعلام على الناشئة:
- 158 مدى تأثير الإعلام على الناشئة:
- 159 العلاقة بين الإعلام والتربية:
- 159 الاستفادة من الإعلام في خدمة الجانب التربوي لدى الناشئة:
- 160 الناشئة والتلفزيون:
- 162 مجالات الأطفال:
- 163 التلفزيون:
- 165 الكمبيوتر والإنترنت وألعاب الكمبيوتر:
- 166 تقييم المواد الإعلامية المقدمة للناشئة:
- 167 (الأسرة، المدرسة، الإعلام، الناشئة):
- 171 تنموياً:
- 171 تعريف التنمية لغة واصطلاحاً:
- 172 التنمية الفكرية:

175	التمية البشرية:
177	التمية التطويرية:
179	اقتصادياً:
179	مصادر الدخل:
179	كيفية تنمية مصادر الدخل:
182	الفصل الثاني
182	الاندماج الفكري والثقافي في الغرب
Error! Bookmark not defined.		
183	العقيدة:
183	الخلل العقدي في الغرب:
184	أسباب الخلل العقدي:
192	العبادات:
192	تعريف العبادة لغةً واصطلاحاً:
192	تعريف العبادة اصطلاحاً:
193	الإسلام منهج وسط في كل شيء:
203	الأخلاق:
203	الخلق لغة واصطلاحاً:
203	التعريف المميز للأخلاق الإسلامية:
204	نبذة من أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم -:
205	منافع الخلق الحسن ومضار الخلق السيئ:
207	كيف تكتسب الأخلاق الحسنة؟

- 208 أهمية الأخلاق:
- 210 ثانيًا: أهمية مكارم الأخلاق:
- 210 الله يحب مكارم الأخلاق:
- 214 المعاملات:

Error! Bookmark not defined. المبحث الثاني: العلاقة بين المسلم وغير المسلم.

- 222 العقيدة:
- 223 غير المسلمين ينقسمون إلى أربعة أقسام:
- 225 حق الحرية في الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين:
- 232 حق العدل والمساواة والبر والإحسان:
- 243 علاقة المسلم بغير المسلم من جانب المعاملات:
- 243 حفظ الكرامة الإنسانية في الإسلام:
- 245 التعامل مع غير المسلمين في الإسلام:
- 248 تعامل المسلم مع غير المسلم من ناحية الأخلاق:
- 251 فضل مكارم الأخلاق:

Error! Bookmark not defined. المبحث الثالث: تحليل الاندماج الفكري وآثاره الإيجابية والسلبية

- 256 تعريف الاندماج لغة واصطلاحًا من حيث الذوبان والانعزال:
- 261 الاندماج:
- 262 إقامة المؤتمرات لتجنب العزلة
- 263 أهداف مشتركة من هذه المؤتمرات:

Error! Bookmark not defined. المبحث الرابع: كيفية تفعيل دور المركز في الدعوة إلى الله ...

- 266 دور المراكز في الدعوة إلى الله:
- 268 المدرسة النظامية وأثرها في بناء المجتمعات:
- 268 تطور المفاهيم والنظرة للنشاط المدرسي:
- 270 وظائف النشاط المدرسي:
- 270 الوظيفة التربوية:
- 271 الوظيفة الاجتماعية:
- 272 معايير اختيار الأنشطة المدرسية الهادفة:
- 272 الصعوبات التي تواجه النشاط المدرسي:
- 274 ومن أنشطة المراكز الإسلامية في الدعوة:
- 274 المسجد الإلكتروني:
- 281 أجرى الباحث بعض المقابلات مع بعض المسلمين والأئمة بروما.
- Error! Bookmark not defined.** التوصيات والنتائج بعنوان المأمول
- 288 مصاعب اليوم وهموم الغد
- 289 التحديات:
- Error! Bookmark not defined.** المصادر والمراجع:
- 292 مراجع شرعية:
- 300 مراجع ثقافية:
- 302 الدوريات والمجلات:
- 303 المراجع الإلكترونية:
- 305 فهرس الموضوعات

